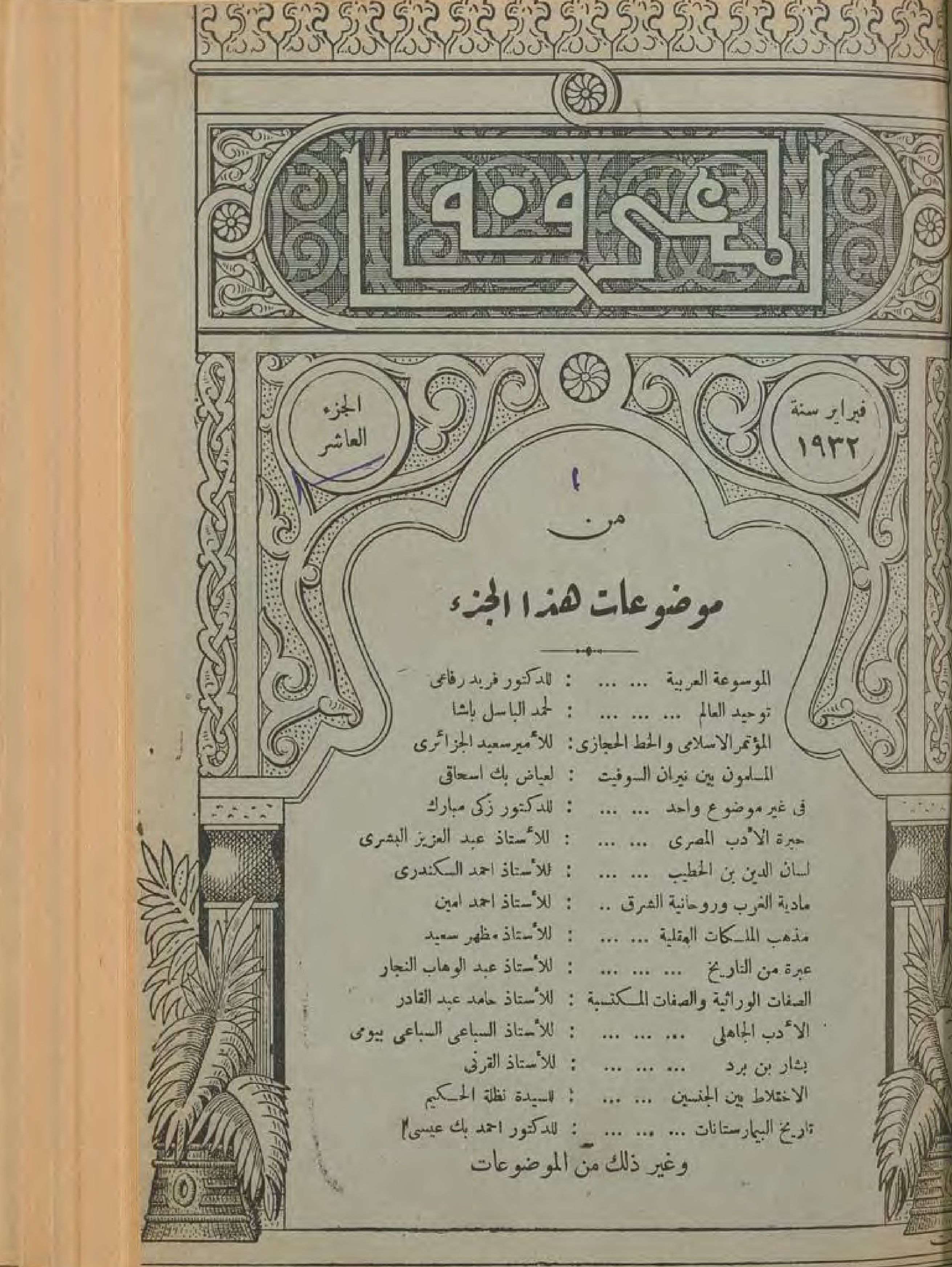


الجزء العاشر

فبراير سنة ١٩٣٢

من

موضوعات هذا الجزء

وغير ذلك من الموضوعات



صاحب السعادة حمد الباسل باشا
لمناسبة كتابه إلى تاجور في (توحيد العالم)



رابندرانات تاجور
بمناسبة كتاب حمد الباسل باشا

المعرفة

أول فبراير سنة ١٩٣٢
رمضان سنة ١٣٥٠

الجزء العاشر
السنة الأولى

مجلة — شهرية — جامعة

لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الإسلامبولى

المجلد | شعارها : اعرف نفسك بنفسك | الثانى

هديتنا الاولى

ابن سينا والغزالى

بقلم الاستاذ حامد عبد القادر

أستاذ علم النفس والتربية بدار العلوم وكلية أصول الدين

كتاب ممتع وجماع بحث مستفيض توفر عليه الاستاذ حامد عبد القادر ، بأسلوبه الطلى ، وتفكيره السديد، وهو يصور لك ما أنتجه هذان الرجلان العظيمان أروع تصوير، بما أذاعه من ترجمتهما ترجمة دقيقة وافية ، حلل فيها فلسفتهما وآراءهما الاجتماعية والدينية والعلمية والطبية والصوفية وغير ذلك.

وليس من شك فى أن هذا الكتاب يعتبر بحق فتحا جديداً فى الثقافة العربية ، وأنه جدير بالعناية والتقدير من المعلمين والمتعلمين، والأدباء والمتأدبين، وجمهرة المشتغلين بالثقافة الاسلامية .

وقد أخذت (المعرفة) فى طبعه، وستقدمه هدية إلى من سددوا اشتراكها عن السنة الأولى.

ولا نحسب إلا أن ذلك الكتاب سيكون فرصة تحفز المتأخر فى اشتراكه على تسديده لاقتناء هذا المؤلف الجليل .



صورة المرحوم الامير عبد القادر الجزائري
جد الأمير سعيد الجزائري
ننشرها بمناسبة حديث المؤتمر الاسلامي والخط الحجازي



صورة الامير سعيد الجزائري
اقرأ حديثه عن
المؤتمر الاسلامي والخط الحجازي



الدكتور احمد فريد رفاعى
بمناسبة حديثه عن «الموسوعة العربية»



الاستاذ عبد العزيز البشرى
اقرأ مقال «حرية الأدب المصرى»



الدكتور زكى مبارك
بمناسبة حديثه (فى غير موضوع واحد)



صورة عياض بك اسحاقى
مندوب مسلمى روسيا فى المؤتمر الاسلامى
انظر مقال (المسلمون بين نيران السوفيت)



صورة الشاب المصرى النابه
محمد افندى بهجت بدر
واضع تصميم طابع مشروع القرش
ننشر صورته تشجيعاً له ولأمثاله
من الشبان الناهضين

هل يسمع رجال الجامعة المصرية؟

الموسوعة العربيـــــــة

آراء جليـلة لداعيـة من دعاتها

الدكتور أحمد فريد رفاعى

مدير المطبوعات الاسبق

قد يكون من واجب (المعرفة) أن تجعل بواكير بحوثها فى تكوين الموسوعة ، صادرة عن لسان ذلك الرجل الخصب العقل ، اللبق الكيس والباحث المحقق الاستاذ الدكتور احمد فريد رفاعي ، الذى تخرج على أكتاف (صاحبة الجلالة) وانتهى الى صميمها من يفاعه الى دخيلة شبابه الى آخر مرحلة من هذا الشباب — أعنى الى اليوم — فقد عرفناه كاتباً فذاً فى : الجريدة ، والمحروسة، والمؤيد والاخبار، والمقطم، والاهرام، ومصر، وفى عشرات أخرى غير هذه الزميلات. ثم عرفناه بعدئذ صاحب (المأمون) وحسبك هذه الصحبة التي احتمل منها ما يحتمله العالم الجهبذ من جلال الاحدوثة ونباهة الصيت ؟

المحرر

سألت صديقى الدكتور رأيه فى الموسوعة العربية وخرجت منه بهذا الجواب القيم الذى مهد له بقوله :

تخلق الموسوعة العربية لها فى هذه الفترة دعاة يهتفون بها ويدعون إليها ، ويفزعون فى ذمة تكوينها من رأى إلى رأى ، ومن فكرة إلى فكرة . وليست الموسوعة العربية بالأمر الطارىء ، ولا بالفكرة ا دثة ، حتى يكون الحديث عنها جديداً يقتحم الآذان ، ويفجأ الأذهان… وإنما هى فكرة درجت مع التطور الذى لابس وجوه النهضة العربية ، والذى احتملته النهضة المصرية بنوع خاص .

وقد يكون من حق الدعاة علينا أن نحمد إليهم ذلك الجهد الذى يبذلونه ، وهذا اليقين الذى يفعمهم إيماناً بالمضى ، وإيماناً بالأمل ، وإيماناً بالنهاية التى تستقر عندها أطماعهم ، وقد بلغت فى مراحل التوفيق غاية الشأو — قد يكون من حق اولئك الدعاة أن نحمد إليهم ذلك الجهد وهذا اليقين ، وان نذكر لهم ماتوجهوا به من رأى سديد ، وقول رشيد ، وفكرة موفورة التوفيق .

أول صوت رسمى دعى إلى الموسوعة

على أننا نتوجه بالموسوعة العربية وفكرتها إلى مدى بعيد ، وعهد قد يتقبله بعض دعاتها على أنه بداءة الهتاف بها والتفكير فيها ، وقد يتقبله البعض الآخر على أنه إغراق فى

التوجيه ، وإسراف فى تسجيل يوم المولد، ولكننا نرى أننا حين ندفع بالموسوعة العربية إلى تاريخ يتقدم تاريخها الحديث ، فأنما يدفعنا إلى ذلك الضن بضياع حلقة من حلقاتها ، وخطوة من خطواتها ، وإنما يدفعنا إلى ذلك الحرص على ان يكون تاريخها متسقاً منسقاً ، بعيداً عن ملابسة الريب والظنون ... وما من ريب فى ان القارىء ستهزه هذه الحقيقة التى أذيعها عليه هزاً ، لأنها قد احتملت معها رأس رجل طالما نفح الشرق بالخير ، وكثيراً ماتعهده بالضوء الباهر ، يزدلف فى سنا بهره إلى مواضع النجاة ، ويختلف فى فتنة لألائه إلى مواطن التوفيق ، خالصا من لوثة الضلة وشائبة التيه .

كان هذا الرأس المتوقد الذهن ، الصافى النمير المستنير ، هو رأس المرحوم عبد الخالق ثروت باشا ... واى رجل كان ثروت باشا ؟ إنه السياسى فيمايعرف الكافة وفيما تفصح عنه ظواهر حياته ، ولكنه - يرحمه الله - كان الأديب المفكر الذى استوثق من صلته بكتبه ، والذى استوثقت هذه الكتب من آصرتها به ، وعهدها معه حينما كان - وكثيراً ما كان - يستنفد فى صحبتها الليالى طويلة مراحلها ، والأيام بطيئة خطاها ... ولست بمحدثك ياصديقى عن علاقتى بالفقيد ، فقد كنت له الطيف والصدى ، وكان لى الظل والنهى ، وكنا فيما يحدس الناس لاتتجمع صلاتنا إلا بين ألياف ذلك اللقب المتواضع « السكرتير الخاص » على ان الفقيد - يرحمه الله - كان يسمو بهذه الصلة عن مستواها المألوف ووضعها المعروف، لأن نفسه العالية كثيراً ما كانت تنفذ إلى الصميم لتدرك ما أهجس به ، وما أضن على فمى بالافصاح عنه .

ولقد كانت الموسوعة العربية واحدة من هجسات النفس ولمحات الحس، وكان التفكير فيها وليد آراء طالما امدنى بها الفقيد ، وطالما اخذناها على ضوء الحقائق ، يجلوها كلانا بفكره ، ويصورها بريشته ، ويدافع عنها بعيداً عن ضجيج المتفرجين ، وصخب الألسنة ، حتى إذا ما احتملنا ميراثها ، وسحقنا اغلالها ، وأصرناها فكرة جديرة بالذيوع ، خليقة بالمضى فى غمرات البحث ، كان من شأن الأقدار أن مدتنا بالظفر ، ووفرت علينا أسباب النصر ، فقد تقلد الفقيد منصب الرياسة فى وزارته الأولى عام ١٩٢٢ ، وأقام على أريكة المعارف ذلكم الرجل ، الحق الرجولة ، السرى النفس ، مصطفى ماهر باشا .

ولقد تمثلت شواغل الفقيد فى صوالح الدولة ، حينما اضطلع بها فى هذه المرحلة الحرجة من مراحل الكنانة ، فأيقنت أن حديث « الموسوعة » قد حقت عليه كلة الموت ، وقد أصابته السياسة واحداثها بالضربة القاضية ، والعاصفة التى تذرى به فى مدارج الريح ... ولكن الفقيد العظيم كان من هذه الطائفة التى لاتقنع بالسبح فى لجة واحدة .. مهما تكن هذه اللجة شديدة النوء مروعة الأعاصير ، فقد فاجأتنى منه دعوة إلى العمل ، وأى عمل .. ؟ أجل ، لقد رغب إلى أن أضع له مذكرة ، أو ما نسميه « تقريراً » عن الموسوعة العربية ، ليقدمها إلى زميله مصطفى ماهر باشا وزير المعارف .. !

وهنا علمت كل شيء . . . علمت أن المغفور له ثروت باشا، لم يكن فى تفكيره خلق « الموسوعة العربيــة » رجلا يساير حالة الزمن الطارئة ، حتى إذا ما تحورت به خرج عن طوق أفكاره السوالف . . . علمت أنه أذاع هــذه الفــكرة على ماهر باشا ، وأن ماهر باشا تقبلها فى نسقها الذى أذيع عليه ، ولــكنه أراد أن يمضى بها فى طريقها « الرسمى » فهو يأمل فى رئيسه أن يزوده بتقرير يضم أشتاتها ويسجل ميزاتها .

ولقــد كان من حظى أن أنتهز الفرصة السانحة، فكتبت التقرير وافياً ، وزودته بما كان الفقيد قد فكر فيه ، وما كنت قد ارتأيته فى صدد الموسوعة المرتجاة.

على أن طبيعــة البطء التى تتميز بها الحكومات فى تحقيق المآرب والأحلام قد لابست هذه الفكرة الرشيدة ، فأسلمتها إلى رقاد بغيض .

ولئن دلت هذه القصة على شيء فإنما تدل دلالة صريحة على أن صوت المغفور له عبد الخالق ثروت باشا كان أول صوت « رسمى » دعا إلى خلق الموسوعة العربية، كما كانت يراعة صديقك ـ دون زهو أو فخار — أول يراعة سجلت هذه الفكرة وارتفعت بها عن مستوى الهمس .

وتلك كلمــة للتاريخ بعيدة ، فيما أرى ، عن أن يتسلمها متقول ، أو يعقب عليها بالبخس قلم رشيد ...

تاريخ

إننا نطلب تكوين الموسوعة ، وندعو إلى ذلك فى إلحاف وإلحاح ، لا لأنها تسد نقصا معيبا ، ولــكن لأننا نقلد بها أوروبا . وما من ضير يصيبنا حين ندعو إليها ونهتف بها ، ولــكن الضير كله أن تكون لنا فى تــكوينها طفرة تباعدنا عن السداد ، فلم تــكن تلك الصور الــكاملة ـ أو القريبة من الــكمال ـ التى نشاهد عليها حال أوروبا اليوم بنت يومها ، ولم تولد بهــذا الــكمال الذى تستبدعه لحياته ، وقيم منتجاته ، وكذلك لم تــكن القاطرات ، ولا الأسلاك البرقية ، ولا العالم اللاسلــكى ، أو الــكهربائى ، أو الصناعى ، أو العلمى ، أو الاجتماعى ، الذى تأخذنا روعته ، ويدر علينــا بأخلاف نفعه ، ورغد إسعاده ، وليد يومه وأمسه ، ولم يدرج من حجر أمه ، يافعاً فتياً قوى الأسر ، عبل الساعد ، متين البنيان . كلا . . . فأن علينا أن نرجع إلى الوراء ، وإلى الوراء القريب ، ثم إلى الوراء البعيد ، علينا أن نرجع إلى عصر النهضة فى إيطاليا ، عصر البعث العلمى ، أيام (آل بديسى) وغيرهم ، ثم تتدرج إلى آثاره فى مختلف الفنون ، ومناحى الحيــاة ، من أدب وشعر ، ومن فن وعلم ، ومن سياسة واجتماع ، وأن تنظر إلى آثاره ومنتجاته لا فى إيطاليا فقط حيث : (بوكاتشو) و (دانتى) وأضرابهما بل انظر أثره فى فرنسا ثم فى المانيا : ثم فى انجلترا ، واذكر (بوتنبرج) (ومارك لوثر) و (لوك) و (جون نــكس) و (ابرل سميث) ومن إليهم من دعاة الأصلاح الدينى والفلسفى

والاجتماعى ، ومن مخترعى الطباعة ، ورجالات الفنون الجميلة ، ومن زعماء العلم والاستنباط فى العوالم العلمية جميعا .

وليس من شك فى أن هذه النظرة السطحية تصور لنا فى بساطة وجلاء ، كيف تكونت المدنية الغربية - أستغفر الله - بل كيف تطلبت من زمن اقتضته سنة الارتقاء ، ولم تكن عقباتها كعقباتنا ، لأن ذخائر تلك الأمم العلمية أو الادبية ، قد تكاثفت وتساندت وتآزرت الواحدة مع الأخرى فى إيجاد الوحدة التعليمية ، أو وحدة الثقافة ، لسبب وحدة الأصل اللغوى من لاتينى و يونانى .

جهود تدعو إلى التأمل

لقد صورت لنا وثبة الفقيد العظيم المغفور له ثروت باشا أننا فى حاجة وحاجة ماسة إلى موسوعة ومعجم ، ولقد كانت الوثبة الجديدة التى طفرت إلى الآفاق من أمد غير بعيد، باعثا لنا على أن نتلمس حاجتنا إليها مرة أخرى ، ولقد يبدو تكوين الموسوعة بعدئذ أمرا لا أمل فيه ولا رجاء.

ولكنى لست أرى المستقبل مظلما قاتما رحيب الكآبة فياض العبوسة ، فأن أفرادا من أولئك القادة الذين انتهت اليهم زعامة الشرق العربى فى عصور بعيدة ، وأجيال سالفة ، قد استطاعوا - كل واحد بمفرده - أن يبدعوا لنا فى « الموسوعات » نهجا ليس علينا إلا أن نتأثره ونحتذيه حتى نبلغ بها قنة الكمال ، وما أدرى حين أذكر لك (الأوراق) و (المنظوم والمنثور) و (طبقات ابن سعد) و (أسد الغابة) و (الأنساب) و (النجوم الزاهرة) و (الأغانى) و (معجم ياقوت) ومئات أخرى غير هذه الكتب التى تعرفها حق المعرفة، والتى وضعها مؤلفوها وضعا محكما دقيقا، وسجلوا أمهات بحوثها وشخصياتها على حروف المعجم ، والتى لقى الضوء بعض منها فى القرن الثالث الهجرى - ما أدرى حين أذكرها لك ، أى أثر تخلقه فى نفوسنا حالة القعود التى تجثم على صدورنا ولا نفتح من مغاليقها .. ؟ إنه دون ريبة لأثر بغيض إلى اللسان ذكرانه ، وإلى القلم تبيانه ، لأنه يصور لنا عقولنا وقد محلت وأجدبت حتى لتهوى بالطامة الكبرى على رءوس اولئك الذين اقترحوا علينا - من أمد - أن نقتصر فى تكوين « الموسوعة » على ترجمة دائرة المعارف الأسلامية ، فهى فى زعمهم غنية لنا عن أثقال البحث والنحت والابتكار .. ! ألست ترى معى ان هذا الرأى لسخفه قد هوى على نفسه من الضعف والهوان؟

جامعتان :

تسألنى الرأى فى تكوين الموسوعة فاسمع إذن :

إن عندنا جامعتين : جامعة أزهرية ، وجامعة مصرية ، تعنى الأولى بالدينيات وما يتعلق بها من الثقافات ، وما أراها - على الرغم مما يتلقفها من نقدات ومطاعن إلا المعهد الاسلامى العالمى ،

وإن كنت أطمع هنا أن تعنى تلك الجامعة بدراسة اللغات الشرقية الاسلامية لتكون شديدة الصلة وطيدة العلاقات بالعالم الاسلامى: كالترك والأفغان والهند وفارس وما إليهن من دول إسلامية لا ينطق أهلها الضاد، فانى أرى إلى ذلك إلمام رجالات الدين، أو تخصص بعضهم فى هذه اللغات أو بعضها، ففى ذلك توحيد للثقافة الاسلامية وعمل على توسيع العلوم الاسلامية واللغة العربية الصحيحة، والنهوض بالعالم الاسلامى نهوضاً علميا يقف على أرجله، ويمشى فى قوة وحياة لائقين بالقرن العشرين.

ما علينا ... أقولها لك ياصديقى فى لوعة وأسى. لأن جامعتى (اكسفورد) و (كامبردج) بل كل الجامعات فى أوروبا تدرس اللغات الشرقية، بل يدرس بعضها فروعاً فى العلوم الاسلامية كالقراءات مثلا، ونحن هنا .. ! ماذا أقول لك . ؟ لا شىء، فالاسلام بخير، ومصر أم الدنيا، أليس كذلك يا استاذ؟

هل تسمع الجامعة المصرية ؟

قلت لك : عندنا جامعتان : إحداها للدينيات، والأخرى .. ماذا أسميها ؟ قل إنها للعصريات .. أليس معقولا ـ ونحن فى صدد الموسوعة ـ ان تؤلف عدة لجان : عشرة، عشرون، مائة، فلا يهمنى الكم ولا العدد، وإنما يهمنى الانتاج، وإنتاج الجماعات خير من شقشقة خيال الفرد، وطول لسانه، وخلب وعوده، وأنا ممن لا يهمهم القال، والذين يهمهم المقال، وممن لا يحفلون بالجاه، ويحفلون بالانتاج، وممن لا يخدعهم الأناء، بل يطلبون الماء.

لتؤلف اللجان إذن : الفقهية من رجال الفقه، واللغوية من رجال اللغة، والأدبية من رجال الآداب، والكيميائية من رجال الكيمياء، والطبية من نطس الأطباء، والقانونية من جهابذة القانون، والهندسية من أفذاذ الهندسة، والزراعية من رجالات الزراعة، ولتعمل كل فى الدائرة المخصصة لها عملا إنتاجياً متواصلا، ولا غضاضة علينا ـ إلى جانب جهودنا المحلية، وما ستقوم به تلك اللجان من جمع وترجمة وتأليف ـ أن نمد إليها بعض المستشرقين، وأن نشرك من نشاء ـ او تأبى كفاءته العلمية إلا أن نشركه من علماء الشعوب الاسلامية المجاورة، ثم إلى العمل فنعمل، ثم نعمل، ثم نعمل، لنجمع ما نعمل بطريقة (الاندكس كار) أو نظام الفهارس الأبجدى.

رابطة العلماء

وبعد فأنى مقتحم بك ياصديقى أبواب فكرة جريئة، ولكنى أرى فيها الخير جم الخير، وأرى أن الضن بها يثقل صدرى إثقالا ... أرى ألا يترك أمر الموسوعة بين أذهان رجالات الجامعة وحدهم، ولا بين أذهانهم صحبة طائفة من عقول العلماء الشرقيين والمستشرقين فحسب، وأن لا تكون الحكومة من السيطرة والهيمنة على أشخاص الذين يؤلفونها بحيث تولى مقاليدها من تشاء، لا من يشاؤه العلم والعمل.

لا أنكر أن فى الجامعة أساتذة أجلاء ، وأن فيها شخصيات بارزة ، لها خطرها وأثرها ، فهنالك : على ابراهيم ، وطه حسين ، ومشرفه ، ونجيب محفوظ ، وسليمان عزمى ، وعبد العزيز اسماعيل ، وحسبك بهم من قادة لهم نباهة الذكر والصيت البعيد ، لا أنكر أن فى الجامعة هذه الشخصيات وأشباهها ، ولكنى أرى أن تركيز اللجان فيها واقتصارها عليهم ، خطر أوفر الخطر ، لا بالموسوعة وحدها ، بل بكل عمل يمت إلى العلم ، ويتصل أثره بالعلماء .

أريد أن أقول : يجب أن ينظر حين تأليف اللجان — سواء أكانت فى هذا العمل أو فى غيره — نظرة حرة طليقة ، لا يحدها شيء إلا التقدير العلمى ، وإلا الرغبة فى الاستفادة من العقليات البارزة ، سواء أكانت ، فى صفوف الحكومة ، أو خارج الجو الحكومى .

وإنى أتساءل : لماذا لا نستفيد من علمائنا الأحرار ؟ ونحن نعلم أن كثيراً من الرءوس المفكرة المبدعة تأنف الجو الحكومى ، ولا تتنفس إلا فى الهواء الطلق ؟ وما معنى العباقرة ؟ أليسوا هم صنفا من الناس أكثر مستوى من المجموع ، خرجوا بمقتضى عدم مساواتهم — لا فى الكثير ولا فى المدنية العلمية والعقلية — عن جمهور العلماء الحكوميين ؟ فلماذا اللجان ؟ أو المشروعات العلمية ؟ وهى ملك للعلم وللامة وللاجيال القادمة ، لا للحزبية الوقتية ؟ لماذا نحرم هذه اللجان من أمثال : كردعلى ، أو هيكل ، أو العقاد ، أو شوقى ، أو فريد وجدى ، أو زكى باشا ، أو المراغى ، أو خليل ثابت ، أو الرافعى ، أو رشيد رضا ؟

تقاليد يجب القضاء عليها

لا أدرى لماذا يحرم أولئك الذين ذكرتهم لك من اللجان الحكومية التى تؤلف للسير بحياتنا العلمية إلى اتجاه يساير طبيعة العصر الحاضر .. ولكنى أدرى ياصديقى : أن هنالك تقاليدا تعهدتها الحكومات — أو بعض منها — بالرعاية ، والرعاية على طول الطريق ... أما هذه التقاليد . فمن دستورها النافذ حرمان العقل الخارج عن جدران الحكومة من العمل ، عملا تقره الحكومة ، وإنى ذاكر لك مثلا :

حينما عدت من تمثيل الحكومة المصرية فى مؤتمر الصحافة الدولى ، كنت مكلفا — مع زميلى الأستاذ حسن فهمى رفعت بك — بالتجول فى فرانسا وانجلترا وألمانيا وإيطاليا ، لدراسة النظم الحديثة الخاصة بالتمثيل والسينما والصحافة والمطبوعات ، وقد تقدمت إلى وزارتى الداخلية والمعارف بطائفة من المقترحات ، أذكر منها ماتقدمت به إلى وزارة الداخلية خاصاً بما أسموه لجنة الرقابة الأدبية التى تراقب أشرطة السينما والأغانى والروايات ، فبينما قلت لها : إن انجلترا مثلا ، تتبع رقابة الروايات إلى ديوان كبير الأمناء ، لأنها ترى أن الملك هو الراعى الأول للاداب ، اذا بنا نتبعها إلى إدارة الأمن العام ، وهى إدارة خلقت لمراقبة الاجرام كما تعلم ! وهناك يقرأ

الروايات عالم من علماء النقد الذين يشار إليهم بالبنان ، وهنا يقرأها موظفون ظهورات – من غير طعن فى أشخاصهم ، ولا فى أقدارهم – فهم زملاء الأمس ، وهم لى اصدقاء .

وبينما قلت : إن إيطاليا مثلا – ألفت لجنة رقابة الأشرطة السينمائية من قاض قانونى ، وأديب ، ومؤلف ، وفنان ، ورب بيت ، أو ربة بيت ، وواحد من رجال الأمن ، بينما اقترحت أن يؤلفوا لجاننا على هذا النحو ، ويلبسوها ذلك الثوب ، إذا بالحكومة تخرج اللجنة من رجال الأمن العام وحدهم جريا وراء السياسة الحكومية فى تأليف اللجان ، فكانت فى تأليفها خارجة عن طبيعة مهمتها .

تلك هى التقاليد ، أذعت لك من مثلها مثلا ، وما أحسب إلا أن فكرة الموسوعة قد جاءت فرصة سانحة نستطيع فى صددها أن ننظر إلى الكفاية التى وجدت فى الخارج كانت أم فى الداخل فى الحكومة ، أم بعيداً عن جدرانها ، وأن ننظر إلى المصلحة العلمية – والمصلحة العلمية فقط – تلك المصلحة التى يجب أن تسمو فوق الحكومات ، وفوق مايتصل بها ، وفوق الألوان السياسية ، والشهوات الحزبية ، حتى يكرس ما للعلم للعلم ، وحتى يعيش ما للفن للفن .

آمال ... هل تتحقق ؟

ثم استطرد الدكتور يقول : لقد استعرضت لك ياصديقى جمهرة من الآراء التى كونتها عندى فكرة « الموسوعة » ولقد أفصحت لك عنها فى جلاء ، وفى غير لبس ، وقد يفهمها بعض الباحثين على أنها دعوة حارة إلى اليأس ، ولكنى وقد ذكرت لك جهود أفراد من قادة الشرق العربى فى عهود سالفة ، أنت بها جد خبير ، لا أستطيع إلا أن أحمل نفسى على الأمل – بعض الأمل – فى أن ندفع عنا عبء عار فادح .. أليس حقاً علينا أن نخجل من جهودنا الكلامية اليوم ، وجهود آبائنا العملية فى الأمس ، فجهودنا سلبية ، بل هى جامدة جوفاء ، وجهودهم إيجابية فيها الكفاية والغناء ؟ بل أليس مدهشاً أن نجد معاجم خاصة لتعابير (شلرى) وأخرى للغة (شكسبير) وثالثة ورابعة لغيرهما وغيرهما من كتاب العالم الأوروبى ؟ بل أليس مدهشاً أن نجد فى لغة العرب معاجم لكل شىء ، وكل فن ، بينما نحن نتحدث دائماً ونتحدث عن الموسوعات والمعاجم ، حتى إذا ما جد الجد ، تسلل المتحدثون لواذا ، ومن ورائهم كلمة واحدة .. عليكم السلام ورحمة الله .

ذلك هو رأيى أبنت لك عنه ، فى غير ما مواربة او إنكار ، وكل الذى آمله أن تدرسه وأن تذكر رأيك فى « المعرفة » أيضاً (١) فأمر الموسوعة ليس أمراً هيناً و « المعرفة » ببحثه والتمهيد له أحق وأجدر .

---

(١) أشكر صديقى الفاضل الاستاذ الدكتور فريد رفاعى على هذه الثقة الغالية وأرجو – صادقا – أن يعلم بأنه لم يترك بعده لقائل قولا ، ولا لكاتب رأيا ، على أننا نعرف أستاذنا بأننا – منذ الساعة – نفسح المجال لحضرات الكتاب الذين يتفضلون ببحث هذا الموضوع الجليل ، وقد نعود – فى فرصة أخرى – للكتابة عنه ، استنهاضا لهمم وحفزاً للعزائم ، أما الآن فقد حرمنا صفحاتنا المخصصة لنا حرصاً منا على نشر تلك الآراء السديدة والأفكار القيمة .
المحرر

خواطر ونقدات

رمضان والعيد

تعيش « المعرفة » فى جو يتصل بالدين ، كما يتصل بالعلم الجديد .. كلاهما له فى صفحاتها أثر بعد أثر .

وإذا كان « رمضان » من هذه الطلائع التى تتصل بالدين، فمن حق « المعرفة » أن تخلده فى بضعة أسطر ، وماهو بالخلد الذى تتفهمه بعض الأذهان على أنه انتشال لأمر معدوم ، وانتزاعه من عدمه إلى مواطن الخلد ، ولكنه صورة من العرفان بروعة « رمضان » وخطره وأثره فى عقائد المسلمين .

ولئن تكن لهذا الشهر ميزة يستطيع مكبره أن يقررها له ، فأوفر ماله من ميزات أنه يجمع المسلمين « المؤمنين » فى ساعة واحدة ، ليفرقهم على ملايين الموائد ، فإذا العظيم ينال اللقمة فى اللحظة التى ينالها فيها المجدب ، وإذا الأمير يجترع الماء فى الآونة التى يجترعها فيها من لم يجر فى عرق منه دم نبيل .. بل إن « لرمضان » فضائل أخرى، فأنه يعصم النفس عن متابعة شهواتها، ويحقر حيالها أسباب الأوضار .

على ان اكثر الناس لايعلم من الصيام غير الامساك عن الطعام والشراب لسواع محدودة وقد نسوا اثره فى رياضة النفس وكبح شهواتها والاخذ بيد المعدم والمسكين .

***

أما « العيد » وحسبك به من يوم تلابس القلوب فى نهاره حلة الصفاء ، فلا حقد، ولا ضغينة ، ولا موجدة ، وإنما سلام بالأيدى ، ودعاء بالألسنة ينطلق من صميم القلوب ..

***

وفى يقين « المعرفة » فى مناسبة هذين الموسمين الرائعين – أنها قد استطاعت أن تمد إلى قرائها فى المشرق والمغرب يد التحية عاطرة ندية ، والتبريك حافلا سخياً ... فهنا «رمضان» بخيره وبره ورحمته ومناعة اليقين فيه ، وبعد أيام ينهض العيد على وجوه المسلمين بشرا وبشاشة وإيناساً .

عود الله الأسلام والمسلمين لقاء امثالها إلى الأبد ، فى فيض من السعادة وغمرات من الحبور .

فكرة المؤتمر الاسلامي

للمؤرخين القدماء فى تسجيل التاريخ ألوان من الخلف الدائم ، فاذا تناول أحدهم مولد مؤلف عبقرى ، أو شاعر رقيق ، أو كاتب رشيق ، أو عالم محقق ، وسجل له يوما بعينه ، تلفت اليه مؤرخ آخر ، ونقض غزله ، ومشى على الضد منه .

وهذه الحالة البغيضة تثقل كاهل الباحث الجديد وتكد ذهنه ، وتدفع اليه أثقال الحدس والتخمين . ولقد كنا نؤمن بأن هذه الظاهرة العتيقة – من ظواهر التاريخ – قد ضرب عليها الزمن ، وأسلم الى الأبد أنفاسها الاخيرة .

ولكن زميلنا الاستاذ (كريم ثابت) قد رضى اقلامه أن يحى هذه الظاهرة البائدة ، وأن يجعل أمام الباحث فى المستقبل عقبات لا يستطيع معها أن يقرر الحقائق على وجهها الصحيح .

وليس من شك فى أن المؤتمر الاسلامى الذى عقد بمدينة القدس فى أخريات العام الميلادى الفائت ، سوف يكون مثار بحث حافل بين المفكرين الاسلاميين فى المستقبل البعيد .

وليس من شك ايضا فى أن أولئك الباحثين سوف تروعهم حالة الخلف التى انتهى اليها مؤرخو المؤتمر ، وتسجيل فكرة مولده ، فأن الأستاذ كريم ثابت قد أذاع فى (الهلال) أن فكرة المؤتمر انما تنتهى الى خيال مولانا شوكت على .

ولقد كانت (المعرفة) قد أذاعت من ثلاثة شهور بأن هذه الفكرة قد أتيح لها أن تنتهى إلى الضوء فى (دار المعرفة) ، حينما أقامت لطائفة من قادة الشرق حفلة متواضعة من شهور .. وحينما صرح لنا السيد الثعالبى بها ذلك التصريح الذى نشر فى حينه .

لم يقل صاحب « المعرفة » إنه صاحب تلك الفكرة ، وإنما قال إنها تعود إلى احد هذه الرءوس التى اجتمعت فى دار صحيفته يوما بأكمله .

وإذا كان الأستاذ كريم قد غاظه هذا الكسب ينال « المعرفة » فى خطواتها الأولى ، وإذا كان بعض من رجالات الشرق قد أمضتهم ألا تكون فكرة المؤتمر وليدة خيالهم الخصب ، فليس الذنب فى ذلك ذنب « المعرفة » بحال ، لأنها حينما كسبت لنفسها تسجيل أول صوت دعا إلى المؤتمر ، إنما كانت تعنى ما ينتهى إليه هذا الصوت ، كما كانت ترى أن صداه سوف لا يكون من شأنه أن يذهب بهذه الفكرة مع الريح .

وعلى الأستاذ كريم ثابت أن يتأثر « المعرفة » فى غير هذه الخطوة الجريئة ، فأن أمامه ميدانا قد يتسع لكلماته التى يتحرق على قراءتها بعض الناس .

ولكن (الناس) الذين نعنيهم لن يكونوا ، بحال ، من طراز يهنأ به من له عقل رشيد .

رابطة الصحافة

حين وفد الصحفيون الذين يمثلون الصحافة اللاتينية إلى مصر، ليعقدوا مؤتمرهم فيها، توجهت جهودنا إلى التفكير فى الرابطة التى نعتصم بها نحن الذين نعمل فى الصحافة التى تصدر بمصر.

ولقد فتح الصحفيون المصريون عيونهم فاذا بها تقع على الحقيقة المرة . ذلك أن الرابطة هنا تجتمع عند كلمات لا صدى لهـا ، وتأتلف إلى ألفاظ جوفاء لا حياة فيها ، ولكن الصحافة المصرية على الرغم من ذلك قد استطاعت أن تؤهل بزميلاتها الاجنبيات فى أشخاص ممثليها، فأقامت حفلة شاى لهم فى فندق « شبرد »

ولقد أسند الصحفيون المصريون إلى الأساتذة : عبد القادر حمزة ، وأميل زيدان ، وكريم ثابت ، مهمة القيام بأعباء تلك الحفلة ، وخطب الأستاذ عبد القادر حمزة ، فأية خطبة كانت؟

لا نستطيع أن نقول عن الاستاذ عبد القادر حمزة إلا أنه لم يكن موفقا أوفر التوفيق فى خطبته التى ألقاها ، فقد تناول فيها بالتسجيل أسماء صحف ليس فى مقدور صحفى إلا أن يحمد إلى الأستاذ عنايته بتسجيلها ، ولكن الصحفى الزميل قد غض النظر، وأعطى كتفه لحشد من الصحف العلمية التى تعنى بالثقافة العلمية ، وتؤتيها جهدا حافلا ، وتوليها عناية كبرى . أعطى الزميل كتفه لهذه الصحف ، فلم يكن مؤرخا سديد الرأى ، ولا منقبا وثيق الرواية .

وما يضير « المعرفة » فى شىء أن يكون الأستاذ عبد القادر حمزة قد أمسك عن ذكراها لسانه ، وليس عليها من غبن أن تكون آذان الصحفيين الأجانب قد تسمعت أسماء (اللطائف المصورة والكشكول وما اليهما) دون أن تتسمع اسم «المعرفة» التى يكتب فيها وزراء سابقون وشيوخ محنكون ، وعلماء نابهون ، وأساتذة معروفون ، وكتاب مثقفون ، والتى سأل عنها بعض زملائنا واصدقائنا الفرنسيين فلم يظفروا من غير مدام دى سان بوان بجواب، لا يضير «المعرفة» فى نسيانها على لسان الأستاذ صاحب البلاغ شىء ، فانها حين احتملت مشعل البعث الجديد إلى آفاق الشرق لم تلبس إهاب الزهو ، ولم تتطلب حالة الاطراء ، ولم تنشد كلمات التقريظ .

لقد كنا نفهم ألا تتطرق « المعرفة » إلى لسان الأستاذ أميل زيدان أو كريم ثابت ولهما جزيل العذر حين ينسيانها . . وهو العذر الذى لا يخفى على أحد .

ولكن صاحب البلاغ ، الذى وسعت صحيفته دعاة « المصرية » قد أسلم دعاية أشياعه إلى الرمس ، وهذا فى الحق أمر عجيب ، وقد يكون أعجب إذا ما علمت أن الأستاذ عبد القادر كان من الذين أطروا مجهودنا وأثنوا عليه كثيرا .

على أن « المعرفة » ستبقى أبدا صحيفة مصرية للشرق كله ، ولن تفنى جهود صاحبها إلا أن يسلم الروح .

ثم . . . أليس هنالك ما يحفزنا إلى التفكير فى رابطة الصحافة ؟

توحيـــــــد العالم

من حمد الباسل باشا

الى رابندرانات تاغور

كان من محاسن الصدف ـ وقد انتوينا زيارة صديقنا الدكتور فريد رفاعى للتحدث اليـه فى موضوع الموسوعة ـ أن دعانا عديله الاستاذ محمود سامى ناظر مدرسة الاسماعلية الثانوية بشبرا إلى حفلة شاى أقامها للاستاذ أمين لطفى بك سكرتير عام وزارة المعارف سابقا ـ وهو شعلة من ذكاء، ومنطق من تفكير، ووفرة من علم، وسرعة من بديهة ـ فلقينا هنالك طائفة من رجالات الفضل وأصحاب الشخصيات البارزة ، نذكر منهم فى الطليعة حضرة صاحب السعادة زعيم البدو حمد باشا الباسل .

وكان هذا الرهط الكريم يتحدث ـ وكأنه فى سوق عكاظ ـ عن معنى الثقافة، وهل لكل أمة ثقافة خاصة حتى للامم الوحشية المنحطة ؟ كما كانوا يتحدثون فى الفوارق بين النبوغ والعبقرية وغير ذلك من طريف الموضوعات وقيم البحوث، وكم كان حمد باشا موفقا جد التوفيق فى كسب المعركة.

وقد كان من الممتع أن أثار صديقنا الدكتور فريد رفاعى موضوعا قديما لحمد باشا الباسل خاصا بمستقبل العالم وتوحيد الثقافات فيه، وأشار إلى كتاب قيم كان قد بعث به سعادته إلى (رابندرانات تاجور) شاعر الهند وفيلسوفها ، وقد فقد أصله العربى، ولكن من محاسن الصدف أن أبقت الأيام على ترجمته .

وقد وعدنا قراء (المعرفة) فى عددها الماضى أن نتحدث اليهم فى طرف منه راجين أن تتاح الفرص فى المستقبل القريب : إما بالعثور على الاصل، أو بالتحدث إلى الباشا فى فرصة أوسع، أو بتعريب لترجمته التى قد تعطى صورة تقريبية لهذا الموضوع القيم فى تفكيره، الفذ فى منطقه.

ولسنا بحاجة إلى أن نتحدث عن حمـد باشا ، لا من حيث لونه السياسى أو عقيدته الحزبية أو ماضيه ، فهذا ما تسمو عليه مجلتنا التى وقفناها دائما على العلم ، والعلم فقط ، والتى رأينا منذ اللحظة الأولى أن نربأ بها عن السياسة ، وما فيها من لوثات ولذعات وفتن واعنات ، وإن كان من حقنا أن نجول فى ميدان السياسة أحراراً طلقاء .

وخير ما نستهل به هذه الكلمة، أن نعرب لك استهلال كتابه الممتع ، ثم نجزىء نقطه . ونلخصها لك فى ايجاز واختصار.

***

قال الباشا الجليل بعد الديباجة :

الى أستاذنا فيلسوف العصر !

«لست أظنها بجرأة أن أتقدم إليك من غير صلة تعارف سابقة، ومن غير تقدمة إلى شخصكم الكبير ، ذلك لأننى سبق ان لاقيتك بمصر ، وطالعت فيما طالعت شيئا غير قليل من آرائك الفلسفية ، وفضلا عن ذلك فان شخصيتكم الفذة شخصية عالمية ، لاتحدوها مملكة خاصة، وتحلق ذهنيتها على العالم قاطبة فينتهلون من منهلها ويهتدون بهديها.

وأظننى على حق إذا ما أهبت للتحدث الى عقليتكم الخصبة، وإذا ما التجأت الى رجاحتكم الفذة، وإذا ما اقتبست من فلسفتكم السديدة، وإذا ماتزودت بحكمتكم الرشيدة .

على انه رغما عما أحس به فى أعماق الأعماق بالصلة الروحية التى تجمعنا، ورغما عن مكانتك العالمية التى ترفرف على الآفاق، فاننى لا أكتم عنك ياسيدى الجليل بأنى أشعر بالفارق العظيم والبون الشاسع الذى بيننا وأقدر شأو مكانتك .

لست أقصد بذلك البون تلك المهامه والفيافى التى بين بلادى وبلادك، ولا بعد المزار، ولا ما بين عاداتنا وعاداتك من فارق وخلاف ،ولا مابين لهجاتنـا ولهجاتك، وإنما أقصد بالفارق اختلاف مناهج تفكيرنا وتباين نشأتنا العلمية، وما يحيط بكل منا من ظروف وبيئات خاصة، ولكل هذه الاعتبارات أثرها البليغ فى تكويننا وما نحن عليه من حال الآن .

إنك ياسيدى قد قرأت كثيرا، ثم إنك ـ ولاشك ـ مصلح خطير لك حنكتك وسعة تجاريبك وعلمك وسداد نظرياتك، ثم انك ياسيدى فيلسوف تملأ السمع والبصر، قد حسرت عن ساقك فى العمل لتوطيد أركان السلام العام.

وصفوة القول : إنك شخصية بارزة عمت صفاتها أنحاء العالم، وجهبذ يشار اليه بالبنان، بينما أنا بدوى ساذج، فى البادية نشأت حيث لاحد لها ولا حصر ، وفى تلك الأرجاء الواسعة تأملت وفكرت، ثم فكرت، ثم تدبرت، وكان لى فى ذلك كله نعم المدرس والمثقف، ونعم المربى والمعلم.

ألست على حق إذن ، إذا ما اعترفت بما بيننا من فرق عظيم وبون شاسع؟

فلا مندوحة لى ياسيدى الجليل، وقد وقفت على نشأتى التى صورت حقيقة ميلى إلى كل ماهو طبيعى وساذج، من أن أرفع إليك ماأراه منطقيا معقولا، وسهلا ميسورا، عن مستقبل العالم وعما يجب أن يكون عليه ، وربما كان من الحق على أن أقول لك إنى جربت كثيرا، وعاشرت أناسا كثيرين ، فدرست شخصياتهم عن كثب واختلاط ، وربما كان اشتغالى بالشؤون السياسية المصرية مدعاة لصلتى بأصحاب العقول البارزة من الساسة المصريين والغربيين.

لقد سافرت ياسيدى! إلى معظم البلدان الأوروبية المتحضرة ، ثم جست خلال الكثير من بلدان آسيا وأفريقيا ، وأتيح لى أن أدرس الانسان المثقف المتحضر ، كما أتيح لى تعرف

أخلاق الأنسان الطبيعى الساذج، وخرجت من هذا كله بالحكمة العربية التى تقول: « الناس فى خير من الله وفى شر من أنفسهم »

لقد تأملت طويلا منـذ امد بعيد، وفكرت كثيرا فى موضوعات معينة، وانتهى بى مطاف تفكيرى إلى ماصارحتم العالم به من طريف الآراء حين الاحتفال بكم لبلوغكم سن السبعين.

ولتسمحوا لى ياسـيدى الفيلسوف! أن أتقدم إليكم بالقول بأن تلك الآراء السديدة قد شجعتنى على ان اتحدث إلى فيلسوف الشرق لما لها من شبه غير قليل بوجهة نظرى.

اتحدث إليكم لأبعث فى نفسكم المسرة والارتياح، ولأساهمكم لحظة ما تستمتعون به من متع تفكيرية فى سواع راحتكم، ولأكشف لكم عن آراء طال بها العهد وهى دفينة فى صدرى إلى أن أتيحت لها تلك الفرصة السعيدة، فرصة التحدث إليكم.

ولست أرتاب البتة فى انكم إذا مارأيتم ان هذه الآراء منطقية معقولة، وصحيحة ناضجة، انكم ستعملون على إلفات النظر إليها وتوجيه عنـاية اولئك الذين يضحون الشىء الكثير فى سبيل المصلحة الانسانية العامة فى سبيل السلام الانسانى »

***

وبعد أن تحدث حمد باشا بهذا الأسلوب الممتع فى تفكيره، الأخاذ فى عبارته، الصريح فى لهجته، الجميل فى تواضعه، انتقل إلى أن صوت « تاجور » أبلغ أثرا وأوسع مدى من صوته، لحضه على العمل للسلام العام، للرجوع إلى ماهو طبيعى فى الاخاء الانسانى والمحبة الانسانية، وانتقل إلى عيوب الانسانية الحاضرة التى تئن منها وتشكو: من أثرة وتعصب وحقد وكفاح، بأروع عبارة، وأجمل تعبير، فى سلاسة وحلاوة وطلاوة.

وانتقل إلى أن اختلاف الجنس لايمنع من الوحدة العالمية، وان اختلاف اللهجات واللغات يمكن التغلب عليه بنشر ألوية العلم، وتوحيد البرامج التعليمية، وقال: « إن العالم واصل لامحالة إلى ماتنشده جمعية الأمم من وحدة عالمية، لقرب المسافات، وما تطورت إليه وسائل الانتقال الحديثة تطوراً ربط الشرق بالغرب رباطا لا انفصام له، أراد الانسان او لم يرد » وتنبأ بوحدات علمية ومناطق فنية: فجماعة للأطباء يعملون لخير الانسانية عامة من غير دخل للغة والجنسية، وجماعة للهندسة وتعمير العالم تعميرا كليا لا اقليميا، وجماعة لمحاربة الأوبئة الانسانيـة، والأمراض العالمية تتصل بجماعة الأطباء، وأخرى للشؤون الزراعية والتجارية تنظر فى حاجات العالم ومطالبه، بقطع النظر عن مصلحة اقليم دون آخر، وخامسة للشؤون العلمية العالمية تواصل بحوثها لخير الانسانية فى هوادة واستقراء، وفى إخلاص علمى ومحبة علمية، لاتعرف للأحقاد الطائفية، ولا للخلافات الشعوبية معنى او أثرا، وسادسة للشؤون الأدبية

(البقية على الصفحة رقم ١١٧٥)

مع نزلاء مصر العظماء

المؤتمر الاسلامى والخط الحجازى

حديث قيم وآراء جليلة

لسمو الامير سعيد الجزائرى

ليس فى الشرق رجل واحد لا يعرف من هو الأمير سعيد الجزائرى ، فحسبه فى عراقة المحتد أنه حفيد ذلكم الرجل الخالد الذكر، الجرىء القلب ، الثابت الجنان ، المرحوم الأمير عبد القادر الجزائرى ، وحسب الشرق عرفاناً به أنه — وهو النبيل سليل النبلاء — قد خرج عن طوق بيئته وطبيعتها فى الرفه والنعيم ، وعن سليقتها فى البعد من ملابسة الشعب ، ومسايرته والاتجاه معه فى تفكيره بما يزحزح عنه أثقل الأعباء التى تحز فى كتفه، وتثقل أصفادها عنقه.

خرج الأمير عن مستوى بيئته ، لا ليكون حاكما مستبداً ، ولا ليملأ يده خديعة ثم يبسطها على الناس ، ولا ليكون داعية إلى الشر — ودعاة الشر فى الشرق تنجبهم دائماً أسره العريقة — وإنما خرج ليكون إنساناً يحتمل مثل الذى يحتمله الكافة ، ويهتف بما يهتفون به، وهو يتجلى بينهم فى عقل رشيد ، أو فكر سديد ، يدفعانه إلى طلب الحقائق على وجهها وإذاعتها فى ثوبها الصريح دون أن تأخذه فى ذلك رهبة من عسف ، أو خوف من جبروت .

ذلك هو الأمير سعيد الجزائرى أول لسان هتف باستقلال الشام قبل ان تزحف عليها جيوش الحلفاء، وحينما تولى الأمر فيها، وقبل ان تتصل بها اسباب الانتداب البغيض، وحسبه فى تقرير منزلته بين الخاصة ان يكون فقيد العرب العظيم جلالة الحسين بن على قد كتب إليه من سبعة عشر عاما كتابا يقول منه: « ... ويكفيك يا بنى من الفخار ان تمثل بمناهجك السامية جلال فضائل شرفكم الباذخ، ومجدكم الشامخ، الذى تتوجت به مفارق آبائك واجدادك من سلالة ذلك البيت الطاهر الكريم ... »

واختتمه بقوله : « انجالنا يهدونك سلامهم، لابدان فيصل قد حظى بمشاهدة طلعتك البهية الفيحاء ، إننا لم نزل نذكرك كما تذكرنا »

ولقد كان من أسباب الغبطة أن تتحدث « المعرفة » إلى سموه ، وأن يكون لصاحبها شرف عرفانه والترحيب به أول الأمر فى حفلة الافطار الجامعة التى أقامها شيخ العروبة تكريماً له ، ثم كان من سعادته أن تمتد آصرة العرفان إلى شأو بعيد ، فلا يكون الأمر لقاءاً واحداً، وإنما ينتهى إلى أن تتعدد ألوان الشرف فى زورات كثيرات ، كانت مجاع آراء ناضجة نذكرها

لقراء « المعرفة » شاكرين لسموه جزيل ما أسدى من رائع أفكاره وسديدها .

خط الحجاز الحديدى

كانت الدولة العثمانية فى عهد الخليفة السلطان عبد الحميد قد هالها ما يتجشمه الوافدون على « المدينــة المنورة » من صعاب ومشاق ، وخاصة أولئك الذين يفدون من أقطار بعيدة ، وكان المفكرون قد أخذوا يتعهدون هذه الحالة بآرائهم عسى أن يكون للجميع من ورائها ما ييسر عليهم أسباب الانتقال ، ولقد استقر الرأى على أن يقوم العالم الاسلامى بانشاء خط حديدى يصل ما بين الشـام والمدينة ، وكان للعالم الاسلامى يومئذ حبه القوى للتآزر والتساند ، فما كادت الفكرة تطفر إلى الضوء حتى لقيت صداها ، وحتى احتملها أنصار مخلصون ...

دعاية واسعة النطاق

ولقد أثار أولئك الأنصار المخلصون دعاية واسعة النطاق ، دعوا فيها العالم الاسلامى إلى التبرع — كل بما يستطيعه — حتى يتأتى للدولة العثمانية إنشاء هذا الخط الكبير ، وكان من شأن أولئك الدعاة أن تفرقوا فى بلدان الاسلام كلها : طائفة فى مصر ، وأخرى فى الشام ، وثالثة فى الهند ، ورابعة فى الصين ، وخامسة وسادسة ... فى أشتات البلاد الاسلامية جميعاً ، وكانت هـذه الدعاية فرصة سانحة للمسلمين ، الذين تناولوا الفكرة بالاكبار ، إكباراً جماً ، والذين أقبلوا على التبرع له إقبالا مقطوع النظير فى روعته وسخائه .

تذكارات

وأدركت الدولة العثمانيـة يومئذ — أو أدرك الخليفة بتعبير أدق وأفصح — أن عطفه قد يدعو عظماء المسلمين إلى التنافس فى التبرعات ، فأحدث حشدا من الأوسمة الذهبية والفضية وأطلق عليها اسم « أوسمة إعانة السكة الحـديدية الحجازية » وكان الدعاة يحملون معهم أكداساً منها ليعملوا بها باسم الخليفة عمل أولئك الذين كانت لهم فى وثبة التبرع خطوات محمودة .

على أن الأموال التى جمعتها من التبرعات — على ضخامتها — لم تكن على النحو الذى يعدل مصاريف هذا الحدث الكبير ، فكان من أثر ذلك أن أصدرت الدولة العثمانية طوابع بريد خاصة بهذا الخط ، وكان إقبال الجماهير عليها باعثاً على استبقائها حتى عام ١٩١٣ .

إنشاء الخط الحديدى

تحققت الآمال إذن ، وتكدست الأموال فى خزائن الدولة ، وتم إنشاء الخط الحديدى فى كثير من الجهد ، وكثير من العنـاية ، ثم كان مصيره مستقراً عنـد حسبانه وقفاً شرعيـاً لا سيطرة لدولة عليه ...على أن الخليفة يتولى نظارة وقفه ، وقد كان الأمر متمشياً فى سياقه

الطبيعى، فإراد الخط ينفق منه مبلغ على العناية به والسهر عليه ، وينفق المبلغ الآخر فى تبرعات تسدى إلى طوائف الفقراء من الوافدين على البيت الحرام .

النكبة الأولى

على أن عادية الدهر قد أخذت تدفع على ذلك الخط من صواعقها، فقد نشبت الحرب الكبرى ، ومزقت فى خلالها أوصال خط الحجاز ، بينما كانت خيراته كفيلة باحيائه إلى الأبد ، ولقد زعمنا أنه سيعود سيرته متى انتهت الحرب،ولكن شيئاً من ذلك لم يكن،فكأنه كان اللقمة الطيبة التى يترقبها الناهم الجشع ...

نكبات أخرى

ذلك أن الشركات التى تتولى إدارة الخطوط الحديدية فى سوريا وفلسطين قد ضربت بخط الحجاز عرض الحائط،وقد حالت بذلك الصنيع بين المسلمين جميعهم وبين التمتع به ، وهم أولئك الذين أنفقوا عليه وتعهدوه . .

ولقد حسبنا أن احتجاجاً واحداً نبعث به إلى الوزارة الفرنسية أو الوزارة الانجليزية سيحدث أثره فينتهى الأمر فى شىء من السلام وشىء من الهدوء ، ولكن سيلا من احتجاجاتنا لم يفد شيئاً...

لجنة الدفاع

هنا رأى الكثيرون من رجالات دمشق وأخيارها،أن الأمر قد انتهى إلى صميم المهانة بمركز المسلمين، والزراية بهم زراية جريئة،فألفوا منهم لجنة همها الدفاع عن ذلك الخط واعتباره وقفا شرعيا ، واسترداده من مغتصبه،ولقد تفضلت اللجنة فأسندت رئاستها إلى...

وما من ريب فى أن تأليف هذه اللجنة قد أحدث أثره، وانتج إنتاجه الحق، فإن دعايتها فى العالم كله كانت حتى اليوم دعاية واسعة النطاق،فقد اسمعت صوتها رجال عصبة الأمم ومحكمة العدل الدولية ، كما أسمعته لرجال الوزارة فى فرانسا وانجلترا ، ومازال ماضية حتى اليوم دون هوادة أو موااناة ...

فى المؤتمر الأسلامى

على أن المؤتمر الاسلامى الذى عقد بمدينة القدس كان فرصة سانحة لنا ، وقد انتهزناها أيما انتهاز،فأهبنا بالمسلمين جميعهم — فى أشخاص ممثليهم من أعضاء المؤتمر — أن يكون دفاعهم عن الخط الحجازى دفاعاً جريئاً، وكان لنا فى عناية المؤتمر بهذا الأمر مشجعا على المضى، وحافزاً على أن يكون استبسالنا فى الدفاع بالغا أشده ...

قرارات المؤتمر

وما دمنا قد ذكرنا لك المؤتمر الاسلامى ، فمن حقنا أن نعقب عليه بكلمات قلائل، حتى يدرك

المسلمون مبلغ خطره وأثره — ولقد كنا من أوفر الناس تشيعاً لفكرته وإيمانا بسدادها .
أما خطره فما فيه من ريب، لأنه مكن المسلمين أن يتلاقوا — فى أشخاص ممثليهم — على أديم واحد ، ومكن لهم إلى ذلك أن يظهروا على أن للأسلام صوتا مايزال قويا وقلباً مايزال قبساً وروحاً مايزال حيا . . .
وأما أثره فانه الأثر الجليل الرائع الذى يفهم المسلمون منه أن لهم الآن مرجعاً — ولو أنه مرجع محدود النفوذ — يلجأون اليه فى آلامهم وآمالهم ، ولست أرى ما يراه غيرى من أن قرارات المؤتمر لن تكون لها قيمة الورق الذى كتبت عليه، فانى أومن بأن الكثير منها سينفذ تنفيذاً لا يدع كلمة لمتقول، ولا تعقيباً لحقود...
وإذا كنا قد كسبنا فى مؤتمراتنا الأولى هذا الكسب المجيد، فالحق أن مايستقبلنا فى مؤتمراتنا القادمة سيكون كسباً أمجد .
حقق الله آمال المسلمين، وقوى عزائمهم، وضم إلى صميم التوفيق والسداد خطاهم ؟ ع

توحيد العالم

(بقية المنشور على الصفحة رقم ١١٧١)

والعرفانية والاجتماعية والفلسفية والصناعية ، وهكذا دواليك ، فى منطق وقوة حجة ، وسرعة بديهة ، ومن غير كلفة ولا تعنت ولا استكراه .
ثم تحدث عما ينتهى إليه امر توحيد البرامج التعليمية من توحيد فى النتائج، وتوحيد فى الميول ، وتوحيد فى الثقافات، وتوحيد فى الاذواق، وخلق جو جديد للمحبة والصداقة ، ولحمة القربى، لا فى الدم، بل فى الروح والعاطفة.

***

ثم ناشد (تاجور) أن يعمل، وأن يوجه نظر الساسة المسؤولين إلى العمل معه على تدعيم عصبة الأمم ، وتوسيع سلطانها ، ومسايرة الطبيعة مسايرة مخلصة بريئة فى تحقيق مشيئتها من توطيد العلاقات العالمية وتوحيد الصلات البشرية لخير الانسانية وإسعاد مستقبل العالم.

***

فما رأى العلماء والفلاسفة فى هذه الأفكار الاصلاحية الجريئة، وأى قول لهم يعقبون به عليها ؟
وما رأى شيخ العروبة احمد زكى باشا ؟ هذا هو الميدان فدونك به ؟ ع

المسلمون بين نيران السوفيت

صحفى ، وعالم ، وزعيم يتحدث إلى (المعرفة)

عياض بك اسحاق

مندوب مسلمى روسيا فى المؤتمر الاسلامى

لم يكن فى يقيني وقد انتويت زيارة الزعيم الاسلامى الروسى «عياض بك اسحاق» ـ الذى عرفنى به العلامة احمد زكى باشا، وجمعنى إليه زعيم سوريا الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر ـ للتحدث معه والترحيب به باسم « المعرفة » التى كان من حظها حتى اليوم أن تكون الصحيفة المصرية التى تتلاقى على مسرحها اقلام الشرق بما تبثه من آمال وآلام وآراء وأحلام ... لم يكن فى يقيننا أن هماً واسع الجنبات ضافى الحلقات يترقبنا فى زيارة الزعيم الكبير، وان ألماً رحيب الأسى سيمطرنا فى مجلسه بوابل كالسيل ... ولكن هكذا قدر فكان، ومن الحق ان يكون ذلك الألم فى كل نفس تعرف السبيل إلى التوجع، كلما هزتها فجيعة، أو تعدتها مأساة ... وما من ريب فى ان قراء « المعرفة » سيتولاهم الفزع ، وتحتويهم الحسرات .. لأن الصحيفة التى يذيعها « عياض بك » قد اجتمعت إليها الوان من الظلمة والظلم ، وهى قبل ان تكون صحيفته وحده ، وقبل ان تكون جماع مأساته وحده ... إنما هى صورة واضحة من صور الاجحاف الهائل الذى ينصب على رءوس إخوان لنا تتجهم لهم مدلهمات الحوادث ، عسى ان تضلهم او تقصم منهم الظهور، ولكنهم صامدون ، وبها مستخفون ، وتلك لعمر الله مناعة العقيدة تسمو بأولئك الاخوان على مستوى الضعف ... وويل للطغاة من عقائد الأقوياء، وويل لهم من مناعة النفوس.

والزعيم عياض بك رجل يتعجل خطاه فى ذمة عقيدته ، فليست به هوادة الضعيف ، ولا جبن الرعديد الخائر ، وإنما هو يتعجل خطاه فى السير إلى الأمام ، لأن العقيدة التى يدفع عنها غوائل المستبدين ، هى العقيدة التى تجمع إلى صميمها ملايين البشر ، هى الاسلام ، وحسبك به حافزاً يدعو النفوس إلى الاستماتة دون أن يناله بيده معتد أثيم ..... والرجل إلى ذلك عالم صحفى ، عالم يدرك مواضع الحياة ، وصحفى يدرى مايؤثر فيه صرير القلم ، ويا له من اثر يلتمس إلى صاحبه نوال السعادة حينا ، ليقض مضجعه حينا آخر ... وهو إلى ذلك سياسى يخلع على السياسة إهاب الدين حتى يدفع عن إخوانه ـ وهم ثلاثون مليونا من المسلمين ـ كوارث الشيوعية المزدراة ، وحسبك به من رجل سياسى، ما يكاد القيد يفلت من يده حتى يتولاها قيد جديد .... ذلك هو « عياض بك اسحاق» .

اما حديثه فنسوق إليك فصوله ، منوهين بذكر الأديب الفاضل الاستاذ حمزة طاهر الموظف بالخزانة الزكية ، والذى قام بيننا بمهمة الترجمة من التركية إلى العربية ، لأن عياض بك يستطيع القراءة والكتابة العربية تماماً، لكن النطق يعسر عليه أحياناً .

صحفى قديم :

قال عياض بك : « تعود علاقتى بالصحافة إلى عام ١٩٠٦ فقد بدأت فى ذلك العام حياتى الصحفية حين توليت رئاسة التحرير فى جريدة (طان) أى الفجر، ولقد كان لى فى تحريرها لون غير هذا اللون الذى ألفته الحكومة الروسية (القيصرية) من اقلام الكتاب، فلم اكن محابيا ولا مداهنا،ولا مرائيا ، ولا منافقاً يتخذ من قلمه وسيلة إلى الكسب كيفما كان ، وإنما كان شأنى فى التحرير ـ وهذا ما أفاخر به ـ شأن الرجل العف النزيه الحر الذى يتطلع إلى المثل الأعلى ويتطلب السعادة للجماعة قبل ان يدعو بها لنفسه ، وأية جماعة كنت أتطلب الخير لها؟ إنها ملايين من المسلمين الذين تنهبهم فى كل يوم أحداث العدوان ، والذين لاينفضون ايديهم من غل ، إلا لتحتمل أعباء غل آخر .. لأن الحكومات الروسية ـ قيصرية كانت ام شيوعية ـ ترى الاسلام صاعقة تهد أركانها ،وعاصفة تعصف بمبادئها »

سيل من الصحف :

« ولقد كان من اثر هذه الروح الحرة التى تتعهد قلمى بالمضى فى حلبة الجهاد ان حكومة القيصر قد نقمت على صحيفتى (طان) فعطلتها بعد تسعة شهور، ولكنى ـ وقد انتويت الجهاد حتى الموت ـ لم أجد فى ذلك التعطيل مايحدو بى إلى الصمت، فأصدرت جريدة (طان بولندى) أى (كوكب الشرق)، فلما أن عطلتها الحكومة أصدرت جريدة اخرى باسم (الصدى) وكنت أصدر هذه الصحف فى مدينة (قازان) وهى المدينة الاسلامية التى طالما نفخت أعداء الاسلام بالويل، وطالما هبت من آفاقها الاعاصير عليهم، لأنها تجمع إلى مجد القرم ـ حيث تم بناؤها على انقاض مدينة بلغار ـ مجداً آخر ، هو مجد العظمة الذى تركز فيها وأصارها العاصمة الكبرى لجمهورية التتار . . وحسبك فى تصوير روعتها وخطرها ، أنها كانت المركز الرئيسى لجماعات المسلمين فى روسيا يوم هبوا عن بكرة ابيهم لتزويد الحركات التركية بالمال ، فمنها كانت ترسل الاعانات على ضروبها ،وإليها كانت تفد الوفود الداعية إلى نصرة الاسلام فى بلد يصطلى أهله من اعداء الاسلام العذاب .... تلك هى المدينة التى انبثت منها صحفى إلى أشتات المدائن ، والتى احتملت غير قليل من صور حياتى الكثيرة المتعددة . وإنى لأعود بك إلى جريدة (الصدى) ثالثة الصحف التى اصدرتها حرباً عوانا على أعداء المسلمين ، فأحدثك بأنها لم تعمر غير عام واحد ، ثم تعهدتها يد التعطيل على نسق كان فى جبروته أروع من سوابقه ، ذلك أن حكومة القيصر قد فرضت على المطابع فرضا يحتم عليها ألا تطبع هذه الصحيفة، ثم عمدت إلى

ناحية أخرى من مناحى التنكيل فقبضت على أعوانى فى التحرير ... وأتمت حلقات سوءاتها بالقبض على ....

إلى المنفى:

« لم يكن هنالك مايدهشنى - شهد الله - فلا السجن ولا المنفى يدهشان واحداً رضى الدفاع عن حق طائفته وحق دينه ، لأنهما غاية ما تصل اليه يد البطش، ولقد قضى على بالنفى إلى (ارخنجين) وهى بلاد فى اقصى السواحل الشمالية بالقارة الاوروبية ، بل هى البلاد التى تبعد عن عاصمة الروس بخمسين واربعمائة من الكيلو مترات ، بل قل إنها البلاد المنجمدة التى يعيش فيها الدب الابيض ! قضى على بالنفى فيها ثلاث سنوات ، ولكنى لم أمض بها غير عامين حيث كانت أسباب الهرب قد هيئت لى من جانب الأنصار المخلصين، فغادرت هذا الجحيم ، ومضيت إلى مدينة بتروغراد »

حياة قلقة:

« لقد كانت حكومة القيصر تريد لى من وراء النفى أن أموت،وما فى ذلك من ريب مطلقا، لأن المنطقة التى أسلمتنى إليها ليست من هذه المناطق التى يسهل على المرء أن يعيش فيها طويلا ، ولكنى حين هربت لم أكن أدرى أنى أسلم نفسى من قلق إلى قلق، ومن خطر إلى خطر ، فقد اتخذت لى فى (بترو غراد) أسماء عديدة حتى أسلم ممن يتعقبون أثرى . ولقد عاودتنى فى هذه الفترة - فترة الهرب - نزعتى الصحفية، واستحوذت على الرغبة فى الكتابة والتحرير ، واستفزتنى دوافع الظلم إلى السياحة فى غير روسيا ، ومن ثم مضيت أكتب فى جريدة الصراط المستقيم التى كانت تصدر فى مدينة (فرسوفيا) كما تناولت الكتابة فى زميلات لها فى الروسيا وتركيا ، ثم أخذت نفسى بالسياحة فى السويد وفى داخلية البلاد الروسية داعياً إخوانى المسلمين إلى التآزر والتساند حتى لا يفت فى عضدهم خطر الدولة البغيض ، وحتى لا تهد صرح قوميتهم مكائدها الهائلات »

ذكرياتى عن الهرب:

«وإذا كانت ذكرياتى عن أيام الهرب تجمع شيئاً من القصص المؤثرة الباقية ، فان أخلق هذه القصص بالبقاء تلك القصة التى تدلك على مبلغ ما أحطت به من إخوانى المسلمين من رعاية، فقد كان التجسس فى العهد القيصرى بالغاً أشده ، وكنت فى (بتروغراد) أيام هربى من المنفى أطالع ثلاثين ألف مسلم يسكنون هذه المدينة ويعرفنى أكثرهم ... على أن واحداً منهم لم يفضح حقيقتى ولم يتقول على — ولو أنه فعل لكان نواله من الحكومة عطاءا كثيراً — بل لقد أحاطوا امرى بالكتمان ، وكانوا اعوانا لى على ان تكون حياتى فى صميم الهدوء ، وكان من اثر هذا الهدوء ان تعهدت الكتابة — باللغة التترية — فى الوان الآداب حتى انتجت — إلى اليوم — خمسة

وثلاثين مؤلفاً، بينها خمس عشرة قصة تمثيليـة للمسرح. وإذا كنت قد حدثتك عن « قصصى المسرحية » فانه يجمل بى ان اقول لك بأنى كنت فى تصوير شخصياتها ألبسها دائما الثوب الدينى حتى يكون لى من ورائها ما ابتغيه من دعاية وتبشير. ولقد لقيت إحدى قصصى واسمها « زليخا » كل عسف من حكومة القيصر، فحرمت على المسارح تمثيلها لأنها تصور حالة امرأة مسلمـة قضى عليها قسراً ان تترك شعائر الدين.. ولـكن الرواية مثلت بضعة شهور متتابعة بعد زوال الحكم القيصرى »

عود إلى المنفى :

« توافرت على صنوف الآلام، ولقيتنى يدها من جديد، فان طبيعـة الهرب قد احتملت معها غير قليل من الريبة، وكان حتما على ان اتخذ لنفسى جوازات سفر لا تفصح عن اسمى الحقيقى ولا شخصيتى التى صحبتنى إلى منفاى فى المرة الأولى، ولقد قبضوا على عام ١٩١٢ لأنى احمل جواز سفر مزور، وأبعدونى إلى (ارخنجيل) وهى تبعد عن منفاى السابق بثلاثمائة كيلومتر.. وكانت دهشتى فى ذلك المنفى الجديد لا يحدها تصوير، لأنه كان من هذه الأمكنة السحيقة فى المنطقة المتجمدة، بل من هـذه الأمكنة التى تغيب الشمس عن سمائها أياما برمتها، ثم تطلع فيها اياما برمتها دون أن تغيب، ولقد مكثت فى منفاى حتى عام ١٩١٣ ثم أفرج عنى لمناسبة مرور ثلاثمائة سنة على تكوين روسيا القيصرية »

إلى القلم :

عدت إلى مدينتى (قازان) وكانت رغبتى متجهة بى الى أن أصدر بها صحيفة اكتب فيها، ولكن محافظ المدينة قد دعانى إليه فى اليوم الثانى من عودتى، وأظهرنى على انه ينفذ معى قراراً صدر بطردى من المدينة مادامت الأحكام العرفية مبسوطة عليها وهى مبسوطة دائما. !فسافرت إلى مدينة (بتروغراد) وأصدرت فيها جريدة كبرى اسميتها (إيل) أى (وطن) على أن هذه الجريدة قد ارتطمت بالصخرة التى اودت بزميلاتها من قبل، فقد شهدت هـذه الصحيفة طلائع الحرب العظمى، وكان لها موقفها فى حادث تاريخى أستطيع ان أقصه عليك.. ذلك أن الرقابة على الصحف أيام الحرب كانت تجاوز حدود التضييق، وكانت الجيوش التركية قد زحفت على جنوب القوقاز فى منطقة تدعى (سرى قمش) وكان من شأن الأتراك ان مدوا بالسلاح مسلمى بلاد الجرج — وهم طائفة من طوائف القوقاز — حتى يحاربوا فى صفهم ضد الروس، على ان الأتراك حاصروا هذه المنطقة وجلوا عنها، فأصبح المسلمون تحت تأثير غضبات الروس والأرض، أولئك الذين مزقوا من ديار إخواننا مائة قرية، وأصاروا منهم ثلاثين الف امرأة دون رجال او مال او مأوى ... هنا أخذت جريدتى تذيع هذا الهول — على رغم الرقابة — حتى استطاعت ان تردد صداه فى صحف كثيرة بالنمسا والمانيا، وفى صحف إسلامية اخرى،

وكان من أثر هذه الحادثة أن الحكومة القيصرية هددتني باغلاق الجريدة وتعطيلها وطردي من (بتروغراد) ولكنني لم اعبأ بذلك التهديد ولم أحفل به ، فقد مضيت إلى حادث آخر اكتب فيه .. ذلك أني أذعت أنباء الفتنة التي حدثت في تركستان،لأن رجال الحرب قد دفعوا من بنيها نصف مليون ليلاقوا حتفهم في طليعة الجيش،ولم تصمت حكومة القيصر تلك المرة ، فعطلت الجريدة تعطيلا ابديا ، على أن طبيعة العمل حفزتني إلى المضي ، فأصدرت جريدة اخرى دعوتها (كلام الوطن) وكان مولدها قرين التفكير في (الاحتلال الروسي) حتى إذا ما تمت القذيفة البلشفية في ٢٦ فبراير سنة ١٩١٧ الغيت جريدتي مختاراً ، واستعضت عنها بجريدة (آيل ـ وطن) مرة اخرى،على أن يد الروس الحمر كانت شراً من يد القيصر ، فقد عبثت بكل شيء وطوحت بعقائد الأحرار وافكارهم إلى الأعماق ..»

تناقص مروع :

« تسألني عن اروع حوادثي ؟ إذن فاسمع ! زعم المسلمون ان البلشفية في مستهل عهدها قد اتاحت لهم نصيبهم من الهواء الطلق ، ولم تكن سوءاتها قد رفعت بعد اعلامها في افق البلد المنكوب ، زعم المسلمون ذلك،فأرادوا ان يقدموا لي هدية ـ من صنف مهنتي ـ ولم تكن هنالك سابقة عرض علي ، ولا طلب مني،فكم كان رائعاً ان يفاجئني اولئك الاخوان بعقد أمضوه باسمي مع شركة من شركات المطابع الكبرى لترسل إلى اكبر مطبعة تضمها دار طباعة في روسيا كلها .. وثمنها ؟ لقد دفعوه بأكمله ..!»

« لا اكتمك اني كنت في ذلك الحين املك اكبر دار للطباعة ، ولطالما صدرت عنها كتب دينية ورسائل قيمة تدعو إلى اخاء المسلمين ،وكذلك جريدتي التي نسقتها تنسيقاً بديعا .. ولكن الشيوعية التي طغت على كل شيء قد وقفت اعوانها على ان ينكلوا بهذه الدار تنكيلا هائلا ووقع لهم ما ارادوا،فان جندهم قد احتلوا الدار وطردوني من مكتبي في الجريدة . واستعملوا « الورق » في رسائل دعايتهم، ثم فرقوا آلات الطباعة كل واحدة منها إلى مكان قصي بعيد! أليس في هذا التناقض ، ما يدعو إلى الروعة ... ؟ وماذا عساك تفسر سعادة ضافية تتوفر علي،ثم تذهب عني في لحظة واحدة ..؟ لا أريد أن أقص عليك ما يهولك ، ولكن حسبك أن تعلم بأن « الورق » الذي كان في هذه المطبعة — والذي أهداه المسلمون إلى — قد غذى الدعاية الشيوعية بالمنشورات والكتب والرسائل ثلاث سنين كاملات.. فأي هول فادح ؟ ..»

من الجحيم :

« لقد رأيت المسلمين في الروسيا يطوح بهم أعوان البلشفية إلى الأعماق ، ولقد هالتني تلك الفجيعة تحتوي إخواناً لي ، وإخواناً للمسلمين جميعاً ، وكان موقفنا نحن الأحرار موقفاً صعباً،فليس في مقدور أحدنا أن يهرب من ملابسة عذابه ، إلا أن يفر بعيداً عن هذا الأتون

ولقد تحققت لى آمالى فى الهرب، فتركت الروسيا وتجولت فى بلدان أوروبيـة كثيرة ،مذيعاً فظائع الشيوعيين،منددا بما يجلبونه من دمار، ويصبونه على رءوس المسلمين هناك ، ثم أصدرت صحيفة (الطريق القومى) فى برلين ، وما تزال تصدر بها حتى اليوم ، منتهياً فى اقامتى إلى هذه الدولة التى أتلاقى فيها بطائفـة كبرى من إخوانى المسلمين ، هى « بولندا » ومن خير الاسلام أن يكون له أتباع بين أهلها فانهم من الثقافة فى الصميم ...»

المؤتمر الاسلامى:

وسألت أخيراً عياض بك عن الحافز الذى حفزه إلى حضور المؤتمر الاسلامى فقال :

« كانت تحفزنى إلى المؤتمر دوافع جمة ، منها التعارف إلى طائفة من قادة المسلمين ، ومنها إظهار العالم الاسلامى على ما يعانيه إخوانهم فى روسيا من آلام ، ومنها الافصاح للمسلمين عن طوايا الشيوعيـة الخبيثة حتى يكونوا بمنجاة منها ، لأنها كالغازات الخانقة متى أدركت الجو سممته وقتلت من يتنفس فيه. . .

وإذا كان المؤتمر الاسلامى لم يؤد آمال المسلمين جميعها على النحو الذى كانوا يأملون،فمن حقنا أن نقول عنه بأنه كان حدثاً حافلا بالخير ، وكان إلى ذلك بداءة لرابطة قوية بين المسلمين بعضهم بعضاً ، وما من شك فى أن خطوات المؤتمر ستكون فى مستقبلها سديدة رشيدة ، وأن قراراته سيكون لها من النفوذ ما يكبر من شأنها ويزيد من قيمتها .. ذلك إذا توجهت الشعوب الاسلامية إليه متحدة آراؤها ، قوية إرادتها »

مصر :

ولم يشأ الزعيم الكبير أن ينهى حديثه إلينا دون أن يحملنا آمالا لمصر والمصريين، وقد رجانا — وقد انصرفنا إلى أحاديث صحفية خاصة — أن نذيع على قرائنا انه من الخطر على مصر جد الخطر ، أن تنادى بالفرعونية ، دون الشرقية ، او العربية ، فان مصر يجب ان تكون دائما على رأس بلاد الشرق ، فهى كعبة آمالنا ، وملتقى أمانينا معشر المسلمين ، فلماذا تخسرون جيرانكم ؟

نبه إخوانك المصريين إلى الخطر الداهم الذى يحل بهم من جراء هذه الدعوى، وقل لاخواننا المسلمين ، حاذروا الشيوعية ،وحاربوها ، وقاطعوها فى كل معاملاتـكم ، وإلا فالويل كل الويل للمسلمين جميعاً ، لـكم ولنا على حد سواء ، من هذا المذهب الخطر ، الذى يتدسس إلى النفوس الضعيفة تدسس الجراثيم الفتاكة .

وبعـد : لقد احتملنا هذه الآمال وأذعناها شاكرين له ذلك الحديث الذى يظهر قراء « المعرفة » على جوانب جديرة بالذيوع والشيوع ؟

ع

حديث ساعة

فى غير موضوع واحد ....

مع الدكتور زكى مبارك

أدب ، وفكاهة ، وفن

كنا نسمر فى (قهوتنا) المتواضعة ، وكان « البرد » فى هذه الليلة قد احتجزنا فى ركن لا ينازعنا فى أرائكه عدو أو صديق ، وكانت جماعتنا ، جماعة (المعرفة) ، قد أفلتت من زمهرير الليل، فانتهى كل واحد إلى بيته .. إلا أربعة لا يزيدون .. ولا أطيل عليك فى تصوير انكماشنا وما كان يدفعنا إليه من صمت . . . على أن السماء قد أمطرتنا شعلة من اللهب — وليس هو باللهب المحرق، فقد كانت ناره سلاما — ذلك أن الدكتور زكى مبارك قد حملته نفسه الطائرة إلى مكاننا القصى .. فزدنا واحداً .. وكان فى الحق واحداً كبيراً ...

ثم تحدثنا . . وهل كان من شأننا أن نصمت وأن يواتينا فى مجلس الدكتور انكماش؟ لقد تحدثنا ، وتحدثنا طويلا جداً، وكان حديثنا شهياً لا أستطيع إلا أن أدفع إلى قراء (المعرفة) منه نصيبهم المحفوظ .

***

غبن الأدباء:

تحدثنا عن غبن الأدباء ، وكان من رأى صديقى صاحب (المعرفة) أن فى الأدباء من هم مغبونون حقاً ... ولكن أكثرهم يدعى « الغبن » ويؤلف له فى صدده الأقاصيص ، ولم ينته الصديق دون أن يسجل على الدكتور بأنه نفسه مغبون ، ومغبون جداً . . .

هنا شاء الأستاذ الدكتور أن يسمو على مستوى الغبن والمغبونين ، فقرر — فى صراحته المعهودة — بأنه من ذلك الصنف الذى لا يعنى بالجو الملبد ، والأفق الضيق ، وأنه خير له وألف خير أن يمسك قلمه ويصعد المنبر — منبر الصحف — فاذا هو ملاق أنصاراً لا عداد لهم، وإذا هو ملاق تلاميذ مخلصين يتوجه بهم فى تعرف الآداب الوجهة التى يستطيعون معها أن يقدروا البحث الخالص ، والفكر السديد الجرىء ....

***

وإذا كان القراء — فى الشرق العربى كله — يدركون مبلغ ما يتعهد الدكتور زكى مبارك من

بباهة الذكر وذيوع الصيت ، وإذا كانت رسائله الكثيرة الداوية في جوانب الصحف قد وفرت عليه أسباب السعادة — سعادة الضمير — فما من شك في أن نظراته إلى رسائله قد توقف القراء على ناحية من تفكيره ، وهذا ماذهبنا إليه حين سألناه : كيف ترى رسائلك بعد إذاعتها ؟ فانظر ماذا أجاب :

« قد لا يعرف الكثيرون عنى أننى حريص كل الحرص على رسائلى جميعاً ، لأنى أتمثلها قطعاً متناثرة من نفسى وحسى ، وهمك بهذه القطع المتناثرة من حس صاحبها كيف يكون تقديرها فى نفسه ؟ ليس من شك فى أنه تقدير جم التقدير ... ولا أستطيع أن أكتمك بأنى أرى فى بعض رسائلى مالا يعجبنى بعد نشره ، ولكنى لا أدع الفرصة السانحة دون أن آخذ فيها تلك الرسائل بالتحوير حتى تثير فى طويتى روح الاعجاب... »

كيف أرى رسائلى القديمة ؟

وسألنا الأستاذ الدكتور : وكيف ترى رسائلك القديمة التى كتبتها قبل أن تفعمك الحياة بهذه الألوان الجديدة التى تبدو عليك .. ؟ فأجاب :

« أرى أن الأمر ينتهى بى فى صدد هذه الرسائل من حرص إلى حرص ، ومن ضن إلى ضن ، فقد احتملت نظراتى فى فترة كانت تتعهد النفس فيها حالة التطور ... ولا أكتمك أنى أرى أن هذه الرسائل قد احتملت آراء لى لم أتحول عنها حتى اليوم . . . على أن بعضاً منها كانت تفعمه خيالات لا أستطيع أن أواجهها الآن دون عاصفة من الضحك الوفير ... وإليك مثلا : كتبت من أمد بعيد رسالة أدعو فيها إلى تجديد الأزهر ، وأنحيت باللائمة على أولئك الذين لا يبيحون غرس البساتين فيه ، حتى يكون مثلا لجامعة باريس التى تحوطها الأفنان وبفيض فى أبهائها الدوح .... كتبت هذه الرسالة قبل أن أغادر مصر إلى باريس . . . فلما مضيت إلى العاصمة الفرنسية وشهدت الجامعة التى أردت أن يتأثرها مصلحو الأزهر . . كان من شأنى أن هزنى العجب ومادت بقلبى الغرابة ، لأن جامعة باريس لا يكتنفها الدوح ولا تتسامى فى أبهائها الأفنان ...! ألم يكن ذلك الخيال مضحكا ..؟ إنه كان مضحكا ولا ريب، ولكنى لم أشأ أن أزحزح الرسالة القديمة عن موضعها فى كتاب « البدائع » مطلقا .. وإنك لترى من ذلك أنى على رسائلى جميعها جد ضنين »

كيف أتقبل النقد والتقريظ؟

وسألنا الدكتور: كيف تقابل الرسائل التى يتناولك أصحابها بالنقد أو التقريظ ؟ فأجاب:

« أؤكد لك أن الرسائل التى يتناولنى أصحابها بالتقريظ لا تستهوينى إلى الحد الذى يثير فى نفسى الاعجاب والزهو ، فأن لى فى تلاوة رسائلهم مذهباً متبلداً لا يتنقل بين سطور تلك الرسائل إلا فى شىء من التردد والعى ، ولقد يبدو ذلك الأمر عجيباً مدهشا ، على أننى

لا أعجب منه ، لأنى — فى الساعة التى أشكر فيها من يقرظنى — أرى أن التقريظ يضع على عاتقى أعباءاً ثقالا ، أما أولئك الذين يتوجهون إلىّ بالنقد — مهما يكن تقدمهم مراً — فأنى أتقبل نقداتهم على أنها تحية خالصة ، ودعوة حارة إلى صداقة دائمة ... إن لى صدراً رحبا يتقبل النقد فى غير اضطغان ، ولكنى أقدر الناقد الرقيق اللفظ ، السليم الذوق ، القوى الحجة ، وأرى من الحتم على أن أمد له من أسباب الحوار حتى ينتهى الأمر بواحد منا إلى إقناع صاحبه . وصديقى الأستاذ الاسلامبولى يعرف هذا ويقرره . أما أولئك الذين ينقدون عن هوية فى نفوسهم تدعوهم إلى النقد جزافا ، فليس الشأن عندى أن أحتقرهم على الرغم من ثقتى بأنهم لا يأملون من وراء النقد اقتناعا ، وإنما أتناولهم بالرد المفحم ، فاذا برموا به ، أو غضبوا منه ، كان الشأن عندى أن أتوجه بقلمى بعيداً عنهم ، وألا أدع لهم فى حديثى مجالا ... لعلك رأيت الآن أننى أحب النقد نزيها عفا منتجا ، وانى أتقبله راضياً ... على الرحب والسعة »

من ذكريات باريس :

ثم أخذنا نتناول الحديث مع الأستاذ الدكتور عن ذكرياته فى باريس ، فعلمنا منه أن أول ذكرياته تعلق بهذا الأثر الذى أودعته فى صدره اول نظرة ألقاها على مدينة النور . . . كان أثراً حزينا يدعو إلى الانقباض ويبعث على خيبة الأمل ، فقد كان الدكتور قد تخيل قبل سفره أن مدينة النور جماع الألوان الزاهية فى مبانيها وفى كل ما يتصل بها ، ولكنه جوبه من صروحها بهذا اللون القاتم ، ومن مشاهدها بتلك السماء العبوس . . . فمضى إلى الحى اللاتينى عله يطلع فيه على الطبقة الثانية من حى « الحسين » على أن خياله قد خانه مرة أخرى ، فليس حى الطلبة فى باريس إلا جماع الأبهة والرشاقة فى كل شىء يحتويه . . . ثم تسألنى كيف أفلت الدكتور من ضيق صدره فى أول يوم سبح فيه فى غمار باريس ، فأقول لك إنه مضى إلى الجامعة واخذ يتلو « إعلاناتها » الداعية إلى الامتحان ومواده وايامه .. فهاله الأمر ، وانطلق الضيق فراراً من دهشة الدكتور التى أصارته فى ايام قليلة باريسيا ، وباريسيا قحاً ..!

والآن ... لقد انتهى ما يجدر ذكره من حديث الدكتور زكى مبارك ، وإنه لممتع حقا أن تكون هذه الجلسة مثار تلك الآراء الناضجة فى الأدب والنقد ؟

على احمد عامر

للوفاء

من حق الوفاء علينا ، نحو علامة مصر الكبير ، وفيلسوف الاسلام العظيم ، الأستاذ فريد بك وجدى ، أن نذكر بأن مرضاً طفيفاً ألم به — لم يمكنه من كتابة الجزء الثالث ، من بحثه القيم : « ماهى الحياة ؟ » الذى ننشره تباعاً . شفاه الله وعافاه ، وأبقاه ذخراً للعلم والدين .

حيرة الادب المصرى

بقلم الكاتب الكبير

الاستاذ عبد العزيز البشرى

> الاستاذ البشري ، من أساطين الادب العربى ، وحملةلوائه المبرزين دون ريب ، ذو أسلوب أخاذ ، قل أن يباري فيه ، وطريقته فى الكتابة تصعب على من رامها وتطول ، على أنه فوق هذا كله ، من أولئك القليلين ، الذين لا يحبون الطنطنة، أو يميلون الى الزهو والافتخار ، وتلك شيمة العظماء وما أقلهم فى هذا العصر الذي نعيش فيه .
> المحرر

قبل أن أخوض فى هذا الحديث الذى يستشرف له القلم اليوم ، أقرر ، ولعلى أفعل للمرة العاشرة ، أننى بالذات — على كثرما قرأت للمتقدمين والمحدثين — أننى لم أقع للأدب على تعريف جامع مانع، على تعبير أصحاب المنطق . لاأدرى إن كان الفرنج قد عرفوا الأدب ، على هذا الحد أم لم يعرفوه ؟ فانى إذا تحدثت عن الأدب ، فانى إنما أتحدث عن الأدب الذى ألمحه ، وهو الذى أخرج فى لسان العرب .

ومهما يكن من شيء ،فاننى بالذات لم أقع ، كما قلت،على تعريف يجمع حدود الأدب ، ويدفع عنه ماليس منه ... ولقد أهبت مراراً بأعلام البيان وأئمة المتأدبين أن يعرفوا لنا الأدب أو يدلونا على مواضع التعريفات الصحيحة له ، فأمسكوا ولم تتدل أقلام بجواب.

وعلى كل حال،فان الأدب إذا لم يضبطه تعريف جامع مانع،فان موضوعه واضح فى مظاهره، وفى الغايات التى يطلبها ويتطاول إليها . فما من أحد إلا يرى أن أبلغ مظاهر الأدب فى نفض الأحساس الكامنة،والعواطف الجائشة ، وتصوير مايعتلج فى أطواء النفس من ألوان الانفعالات بعبارات موسيقية تتدسس إلى نفس السامع فتثير منها كل مايثور فى نفس الشاعر أو الكاتب، ولا شك عندى فى أن هذا أبلغ مظاهر الأدب وأجل غاياته .

وأخرج من هذا إلى أن الطبيعة البشرية وإن كانت ، على وجه عام ، واحدة فى الناس ، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، إلا أن لكل اناس على ظهر الأرض أخلاقهم وصفاتهم ، وأسلوب تفكيرهم ، وتصورهم للأشياء ، وتقديرهم لها ، ثم أذواقهم ، وألوان عواطفهم وما يثيرها من فنون العوامل .

ذلك بأن لكل قوم أصلهم وتاريخهم،ورقعة بلادهم ، ومناظر أرضهم وسمائهم،وما درجوا عليه من أخلاق مطبوعة وعادات موروثة ، وأحداث مأثورة ، وغير ذلك مما يطبع كل أمة على غرار خاص ، ويجليها فى شخصية تغاير ماعداها من شخصيات الأمم الأخرى . وما من

فكرة تتحرك فى العقل ، أو عاطفة تعتلج فى النفس ، أو خيال يحلق فى الذهن ، إلا وهو مستمد من حقيقة واقعة أدركها الانسان باحدى حواسه الخمس . اما ان يختلق الذهن مالا يتكىء على حقيقة واقعة ، فذلك ضرب من المستحيل . وإذا بهرك أن الخيال لقد يخلق من الصور مالم تقع عليه عين أو تتصل به أذن، فاعلم انه ملفق لا اكثر ولا اقل : ملفق صورته من أجزاء يرجع كل منها إلى حقيقة يقع عليها الحس.

وبعد ، فانما نحن فى تفكيرنا وتصورنا وما يحوك فى انفسنا من ألوان العواطف ، وماتتعلق به اذهاننا من فنون الأخيلة، إنما نترجم عن تاريخنا ، وعاداتنا ، وبيئتنا ، ومناظر بلادنا، وغير أولئك من العناصر التى طبعتنا امة واحدة. هذا هو الشأن الذى ينبغى ان يكون لكل امة ، وعلى هذا ينبغى ان يكون الأدب فى كل امة .

وإنك — على تقارب اللغات الغربية وتكافئها فى المدنية ، وتوافى بعضها لبعض فى اسباب الحضارة - إنك مع هذا لتسمع بالأدب الفرنسى ، والأدب الانجليزى ، والأدب الألمانى ، والأدب الروسى ، وغير ذلك ، كما تسمع بالأدب العربى : ذلك بأن العلوم والصناعات وما إليها، امور يمكن ان تتقارضها الأمم. اما الأذواق وخلجات النفوس ونزوات العواطف ، فما لا يقع عليه التقارض والاعارة، وإن جاز لأمة ان تقلد اخرى وتحذو حذوها فى طريقة الأداء واساليب الاستقراء والتحليل ، وليس معنى ذلك تحويل الأذواق او تلوين العواطف !

* * *

نعود بعد كل ذلك إلى ادبنا — نحن المصريين — وتقبل على انفسنا بهذا السؤال: هل ماتتحرك فيه من الأدب اليوم يؤدى حقاً مطالب الأدب التى سلف عليها الكلام ؟ وبعبارة اخرى هل الأدب الذى نعالجه اليوم مؤد حق الأداء لما يعتلج فى نفوسنا من العواطف، وما يجيش فيها من فنون الأحساس ؟ او بعبارة ثالثة : هل نحن نترجم اليوم بهذا الأدب عما ينبغى ان يمليه علينا تاريخنا وطبيعتنا ، واخلاقنا ، وعاداتنا ، ومناظر بلادنا ، وما جازينا من أحداث؟ وعلى الجملة هل نترجم حقاً عما تقتضينا جميع اسبابنا فى الحياة ؟ .

لا شك فى ان اول ما يخطر على القلب فى سبيل الاجابة عن هذا السؤال ، او هذه الأسئلة ، هو استعراض مظاهر الأدب القائم اليوم، وتقرى صوره والوانه، وتحرى مطالبه وغاياته ، لنعرف اين يقع من مطالب الأدب التى تقدم فيها القول .

والواقع انه مهما اختلفت لهجات المتعاصرين من الأدباء فى اية امة من الأمم، وتغايرت اساليبهم فى فنون البيان : شعراً كان او نثراً ، فانك — ولا ريب — واجد لمجموعهم طابعاً خاصاً يدل على عصرهم ويميزهم عن غيرهم ، بحيث يتهيأ للناقد الخبير ان يستدل من نفس البيان على العصر الذى انتضح فيه دون ان يضاف بأية إشارة إليه. ولكنك لا تستطيع ان تجد اليوم هذا الطابع للأدب

فى مصر، وتستطيع ان تزعم مثل هذا عن الأدب فى الشام. وتقصر الكلام على الأدب المصرى فيه سقنا الحديث.

عندنا شعراء عظام، وكذلك عندنا كتاب عظام، على انك حين تبلو آثارهم، وتقلب النظر فى الوان بلاغاتهم لا تصدق، لولا انك تعيش فيهم، أنه يجمعهم عصر واحد فى امة واحدة! وليس هذا التبلبل مقصورا على اساليب البيان ونسج الكلام والملائمة بين الألفاظ، بل إنه ليتعدى هذا إلى الأغراض والمطالب، وطريقة نفض العواطف الباطنة وبزل النزوات الكامنة.

هذا شاعر فحل لا يرى الشعر يجود، بل لا يرى فيه شعراً البتة إلا إذا خرج فى كلام جزل، وتحرى الاتيان فيه بغريب اللفظ وشامسه، وحسبه من المطالب الوقوف بالديار، والبكاء على النؤى والأحجار، والتشبيب بهند ودعد، والهتاف برضوى وسلع، واطلع بك على مضارب القباب، وما أجنت من عاتكة والرباب، ووصف لك النياق وما صنع بها الوجيف فى الموامى حتى أتت أنقاضاً على أنقاض!

وهذا شاعر لا يرى الشعر إلا أن يكون الكلام جزلا سهلا، متين الرصف، متلاحم الأجزاء، مشرق الديباجة، واقعة أغراضه ومعانيه بعد ذلك حيث وقعت!

وهذا شاعر يعتصر ذهنه، ويكد عصبه فى تصيد معنى جديد، والوقوع على تشبيه طريف الخ.

وهذا كاتب أجل همه تجويد العبارة وصقلها، وتلقط ما جالت به أقلام السابقين من الألفاظ المشرقة والجمل النيرة لا يسوقها إلى معانى قائمة فى نفسه، وإنما يسوقها لنفسها، ولو استكره المعانى عليها استكراها!

وهذا أديب لا يراك حقيقاً بالبقاء فى هذا العالم إذا زل بك القلم فقلت «أثر عليه» ولم تقل «أثر فيه» أو قلت «الشماعة» ولم تقل «المشجب» أو قلت «غير مرة» ولم تقل «أكثر من مرة» الخ الخ - لا يراك كفؤا للحياة بله حمل القلم، ولو لم يتعلق بغبارك فى العلم والأدب والبيان أحد!

وهؤلاء كتاب، وجلتهم من ساداتنا أصحاب التجديد، لا يعجبهم كاتب عربى، ولا فكر شرقى، ولا شىء مما يتصل بأسبابنا باعتبارنا مصريى البيئة عربيى اللغة. ذلك بأنهم قرأوا شكسبير، وبيرون، وما كولى، ودنتى، وفلان وفلان من تلك الأسماء التى تسكبها اقلامهم فى آذاننا كل يوم. ولقد يطلعون علينا بألوان من البيان لا ندركها لأنها لا تتصل منا بسبب، ولقد يريدوننا على اتخاذ نماذج لألوان من البيان لا نفهمها ولا نستطيع فهمها، ولا تذوقها فضلا عن أن نصنعها ونجودها لأن طبيعتنا غير طبيعة أصحابها، وبيئتنا غير بيئتهم، ولساننا غير لسانهم، وكل شىء فينا مغاير لكل شىء فيهم!

(البقية على الصفحة رقم ١١٩٢)

٣ - الشاعر الذى قتل وحرقت جثته

لسان الدين بن الخطيب

بقلم الاستاذ الجليل الشيخ احمد السكندرى

من أمثلة ماتقدم فى كتابة لسان الدين .... قوله فى مفتتح رسالة كتب بها على لسان سلطانه محمد ، إلى شيخ الموحدين بتونس : « ابن تفراجين » يخبره عن غدر أخيه إسماعيل :

« من أمير المسلمين أيده الله ونصره ، وأعلى أمره وأظهره ، إلى ولينا فى الله تعالى الذى له القدم الرفيع المناصب ، والمجد السامى الذوائب ، والسياسة التى أخبارها سمر الركبان وحدو الركائب ، الشيخ الجليل الكبير الشهير الخطير الهمام الأمضى الرفيع الأعلى ، الأمجد الأوحد ، الأسعد الأصعد ، الأوفى الظاهر الطاهر ، الفاضل الباسل ، الأرضى الأنقى ، المعظم الموقر المبرر ، علم الأعلام ، سلالة أكابر أصحاب الامام ، معيد دولة التوحيد إلى الانتظام ، إلى محمد عبدالله . . الخ »

وقوله على لسان سلطانه يخاطب سلطان فاس ، وقد أرسل إليه ولده الذى خلفه بفاس : « المقام الذى تقلد نافلة الفضل شفعا ، وجود صورة الكمال أفراداً وجمعاً ، واستولى وجمع بين المنح والتهنئة بالفتح فأحرز أصلا وفرعا ، واستحق الشكر عقلا وشرعا ، وأغرى أيدى جوده بالقصد الذى هو حظ وليه من وجوده ، فأثار من جيش اللقاء نقعاً ، ووسط به جمعاً ، مقام محل أخينا الذى أقلام مقاصده ذرية بحسن التوقيع ، وعيون فضله مذكاة لأحكام الصنيع ، وعذبات فخره تهفو بذروة المنيع ، ومكارمه تتفنن فيها مذاهب التنويع ، أبقاه الله تعالى وألسن فضله ناطقة ، وأقيسة سعده صادقة ، وألويته بالنصر خافقة ، وبضائع مكارمه فى أسواق البر نافقة ، وعصائب التوفيق لركائب أغراضه موافقة السلطان . . . الخ »

(٢) توخيه فى كتابته إجزال اللفظ وتفخيم المعنى ، وربؤه بقلمه عن الحضيض الذى أسفت إليه أقلام كتاب المصريين من التبذل فى استعمال بعض العامى والأعجمى للتوصل إلى نكتة أو تورية أو جناس ، ترى ذلك فى كثير من رسائله ومؤلفاته ، كقوله : من رسالة يستنجد بها أهل المغرب لنصرة الأندلس ويحثهم فيها على الجهاد :

« أيها الناس ! رحمكم الله تعالى ، إخوانكم المسلمون بالأندلس قد دهم العدو - قصمه الله -

ساحتهم ، ورام الكفر ـ خذله الله ـ استباحتهم ، وزحفت أحزاب الطواغيت عليهم ، ومد الصليب ذراعيه إليهم ، وأيديكم بعزة الله أقوى ، وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى ، وهو دينكم فانصروه ، وجواركم القريب فلا تخفروه ، وسبيل الرشد قد وضح فلتبصروه ، الجهاد الجهاد ! فقد يعين الجار الجار ، فقد قرر الشرع حقه وبين ، قد استغاث بكم الدين فأغيثوه ، قد تأكد عهدالله وحاشا كم أن تنكثوه . »

وقوله من رسالة على لسان سلطانه الأول إلى رسول الله :

« . . . وإنى لما عاقتنى عن زيارتك العوائق ، وإن كان شغلى عنك بك ، وعدتنى الأعداء عن وصل سببى بسببك ، أصبحت بين بحر تتلاطم أمواجه ، وعدو تتكاثف أفواجه، ويحجب الشمس عند الظهيرة عجاجه في طائفة من المؤمنين بك ،وطنوا على الصبر نفوسهم، وجعلوا التوكل على الله وعليك لبوسهم ، ورفعوا إلى مصارختك رءوسهم ، واستعذبوا فى مرضاة الله ومرضاتك بوسهم ، يطيرون من هيمة إلى أخرى ، ويلتفتون والمخاوف عن يمنى ويسرى ، ويقارعون ـ وهم الفئة القليلة ـ جموعاً كجموع قيصر وكسرى، لا يبلغون من عدوهم الذر عند انتشاره ، عشر معشاره ، قد باعوا من الله تعالى الحياة الدنيا ، لأن تكون كلمة الله هى العليا ، فياله من صوت مروع ، وصريخ إلا منك ممنوع ، ودعاء إلى الله وإليك مرفوع ، وصيحة حمر الحواصل تخفق فوق أوكارها أجنحة المناصل . . . الخ »

(٣) قلة تكلفه للمحسنات البديعية،ومراعاة القصد فيها بالاضافة إلى كتاب المصريين فى زمانه ، وإن راعاها فى الاستعارة والتشبيه فلا يخرج منها إلا ظافراً بالاجادة مالكا ناصية الابداع والاختراع ، وإن راعاها فى التورية والتوجيه ، قصر فيها باعه ، وقل اضطلاعه ، وغث اصطناعه ، إذ ليس وراء أقلام المصريين للتورية غاية ، ولا لرياضتهم بها نهاية .

ترى ذلك مثبتاً فى رسائله وتراجمه لأهل الفضل والأدب ، ومن أمثلة ذلك قوله من رسالة كتبها على لسان سلطانه إلى رسول الله يقص فيها نبأ بلاد فتحها من بلاد العدو ، ومنها بلده الجزيرة الخضراء ، حيث يقول:

« . . . وأما خندقها فصخر مجلوب ، وسور مقلوب ،فصدقها المسلمون القتال بحسب محلها من نفوسهم ، واقتران اغتصابها ببوسهم،وأفول شموسهم،فرشقوها من النبال بظلال تحجب الشمس فلا يشرق سناها ، وعرجوا فى المراقى البعيدة لفرعون مبناها » .

ومنها قوله فيها يصف فتح المسلمين لحصن منيع : « فأحاطوا به إحاطة القلادة بالجيد ، وأذلوا عزته بعزة ذى العرش المجيد ، وخفقت بها الرايات يسمها وسمك ، ويلوح فى صفحاتها اسم الله تعالى واسمك ، فلا ترى إلا نفوساً تتراحم على مورد الشهادة أسرابها ، وليوثا يصدق فى الله ضرابها ، وأرسل الله عليها رجزاً اسرائيلياً من جراد السهام، تشذ آياته عن الأفهام ،

وسدد إلى الجبل النفوس القابلة للالهام ، من بعد الاستغلاق والاستبهام ، وقد عيت جوارح صخوره فى قنائص الهدام ، وأعيا صعبه على الجيش اللهام ، فأخذ مسائف النقض والنقب ، ورعا فوق أهله الصقب ، ونصبت المعارج والمراق ، وفزعت المناكب والتراقى ، واغتنم الصادقون مع الله الحظ الباقى ، وقال الشهيد السابق : يافوز استباقى ، ودخل البلد فالتحم السيف ، واستلب البخت والزيف ، ثم استخلصت القصبة ،فعلت أعلامك فى أبراجها المشيدة ، وظفر ناشد دينك منها بالنشيدة ،وشكر الله تعالى فى قصيدها مساعى النصائح الرشيدة ، وعمل مايرضيك يارسول الله فى سد ثلمها ، وصون مستلمها ، ومداواة ألمها ، حرصاً على الاقتداء فى مثلها بأعمالك ، والاهتداء بمشكاة كمالك ، ورتب فيها الحماة تسجو العدو ، وتصل فى مرضاة الله ومرضاتك برواحها الغدو ..... ألخ »

وقوله فى رسالة كتب بها إلى الرئيس عميد مراكش ، عامر بن محمد الهنتانى ، وقد أزمع الجواز إليه من الأندلس بعد أبيات صدرها بها (هنتـانة جبل قرب مراكش) :

« لم يكن همى ـ أبقاك الله ـ مع فراغ البلاد وإسعاف الآمال ، ومساعدة الأيام والليال ، إذ الشمل جميع ، والزمان كله ربيع ، والدهر مطيع سميع ـ إلا زيارتك فى جبلك الذى يعصم من الطوفان ، ويواصل أمنه بين النوم والأجفان ، وأن أرى الأفق الذى طلعت منه الهداية ، وكانت إليه العودة ومنه البداية ، فلما حم الواقع ، وعجز عن خرق الدولة الأندلسية الراقع ، وأصبحت ديار الأندلس وهى البلاقع ، وحسنت من اسـتدعائك إياى المواقع ، قوى العزم وإن لم يكن ضعيفاً ، وعرضت على السفر بسبيلك فألفيته خفيفاً ، والتمست الاذن حتى لاترى فى قبلة السداد تحريفاً ، واستقبلتك بصدر مشروح ، وزند للعزم مقدوح ، والله تعالى يحقق السول ، ويسهل بمثوى الأماثل المثول . ويهيء من قبل هنتاتة القبول بفضله »

(٤) مزج كتابته الأدبية بأقيسة الفقهاء والعلماء ، لغلبة روح الفقه وعلوم الدين على أهل المغرب ، حتى كان من فخر الوزير والقائد أن يلقب بالفقيه ، وظهر أثره بينا فى كتابة متأخريهم كلسان الدين بن الخطيب وأهل عصره ،وجرهم هـذا الروح أيضاً إلى الاكثار فى كلامهم من ذكر مصطلحات الفقه والعلوم كما رأيت فى الرسالة الآنفة ، وكما ترى فيما يأتى من قوله .

(٥) ومنهـا استعماله فى كثير من رسائله الأدبية أساليب الفقهاء والعلماء وأقيستهم وطرق تعليمهم ، مما تتجافى عنه رسائل المتقدمين من بلغاء الأندلس ، كابن شهيد ، والمصحفى ، وابن زيدون ، وابن المطرف بن عميرة ، وذلك أنهم وإن زاولوا الفقه والعـلوم كانوا يقرأون ويكتبون من كتب الفقه والعـلوم ما كانت عبارته غضة الأساليب ، قريبة الشبه بكتب الأدب البليغة ، لم تتسرب بعد إليها الأقيسة المنطقية والتعريفات العلمية .. وابن الخطيب نشأ فى عصور متأخرة كانت فيها العلوم قد اصطبغت بصبغة منطقية جدلية وأصبحت ذات رسوم وصور محدودة

فى الشرح والتعليل ، وهو قد عانى التأليف والتدريس فى علوم شتى وطال عهده فيها ، فسرت عدوى الصناعة التأليفية العلمية إلى صناعة التنميق والتدبيج الأدبى الذى أساسه الاستعارة والتشبيه ، وحسن التعليل، وترادف الجمل، ومادته الغالبة عليه الخيال المؤثر فى النفس بالتحسين والتهجين ، لا شرح الحقائق العلمية كما هى عليه ، وقلما تتهيأ لانسان طبيعتان وملكتان تستقل إحداهما عن الأخرى استقلالا تاما.

ومن أمثلة ذلك فى كتابته قوله فى رسالة خاطب بها الرئيس أبا عبدالله بن مرزون :

« بماذا أخاطب تلك الجلالة ، فيتيسر الخطاب وتحصل الدلالة ، أبسيدى ويشركنى فيه ، من قال لا إله إلا الله بفيه ، أو بروح حياتى وماهية ذاتى ، وذخر الكبير الكثير، لا بل ذلك الأثير ، وهو تضيق على الولد والأهل،وتعدى المراتب المحدودة من الجهل ، فلم يبق إلا الاشارة الخارجة عن وظائف اللسان ، وهى بعض دلالات الانسان ، أخذت الأكسير ، وجبرت الكسير . . . »

إلى أن قال فيها :

« . . . وليعلم سيدى أن النفس طماعة جماعة ، وسراب آمالها بحاره لماعة ، فلا تفيق من كد،ولا تقف عند حد، سيما إذا لم يهذبها السلوك والتجريد ، ولم يسر منها فى عالم الغيب البريد، ولا تجلت لها السعادة التى يجذب بها المراد،ويشمر لها المريد ، وقد مثلت الآن خصما ، يوسع ظهر استظهارى بالتسليم قصما ، ويقول: المال عديلى عند القيمة ، وطبيبى فى الأحوال السقيمة، وهو نتيجة كدى عند الأقيسة العقيمة .... الخ»

وقوله فى آخر رسالة يخاطب بها أحد وزراء المغرب الأقصى مثنياً عليه ، وداعياً له ومهنئا بابلاله من مرض :

« . . . ولو تقدمت لم يضرب إلا بك المثل ، ولم يقع إلا على سننك الاجماع المنعقد على آدابك بالعمل ، والمملوك لما شام مالكه وبرق العافية ، وتدرع بالألطاف الخافية، كتب مبشراً بالهناء ، ومذيعاً مايجب من الحمد والثناء ، وشاكراً ماله بوجوده من الاعتناء ، فقد بادر ركن الدين بالبناء ، وأبقى الستر والمنة على الآباء والأبناء ، فنسأل الله تعالى أن يمتع منك تأثير الملوك ، ووسطى السلوك ، وسلالة أرباب المقامات والسلوك ، ويبقيك وحصة الصحة وافرة ، وغرة العزة القعساء سافرة ، وغادة السعادة غير نافرة ، وكتيبة الأمل فى مقامك السعيد غانمة ظافرة ، مازحفت للصباح شهب المواكب ،وتفتحت بشط المجرة زهر الكواكب والسلام .»

وقوله من رسالة: «وقد أصبحت سعادتى عن سعادتك فرعاً،فوجب النصح طبعاًوشرعاً.. الخ »

(٦) ـ ومنها التلويح إلى اصطلاحات العلوم والصناعات المختلفة المسمى عند البديعيين

بالتوجيه، وعلة الاستكثار منه ماقدمناه آنفاً، مضافاً إلى التنويه من الكاتب بسعة محصوله، وكثرة اطلاعه، ورسوخ قدمه فى علوم كثيرة، وترى ذلك مثبتاً فى كل رسائله، حتى ليصح القول بأنه لايخلو رسالة ولا ترجمة لفاضل منه، ولعله قد استعاض به عن التورية الكثيرة الورود فى كتابة معاصريه من المشارقة، لاعتياص سبك التورية على أهل المغرب فى قوالب، باهرة البدع، رائعة الصنع.

ومن أمثلة ذلك — فوق مارأيت فيما أوردنا عليك — قوله فى ترجمة « فاضل »:

« توارث كل جلالة، لا عن كلالة، وجمع فى العلم والحسب، بين الموروث والمكتسب »

وقوله: « سيدى الذى هو فضل جنسه، ومزيد يومه وأمسه ».

وقوله: « ... فلولا العذر الذى تأكدت ضرورته، والمانع الذى ربما تقررت لديكم صورته، أول مشافه بالهناء، ومصارف لهذا الاعتناء، بنقود الحمد والثناء »

(٧) ومنها: محاكاته للمشارقة فى افتتاح بعض الرسائل الديوانية، وذلك فى ترتيب عناصر الديباجة — لافى ألفاظها وألقابها — وإن كان كثيراً مايلقب نفسه فيها باسم المملوك على عادة المشارقة، ويلقب المرسل إليه بلقب المجلس، كقوله: « .. ومنه نسأل أن يديم إمام المجلس العلمى محروساً من النوائب، مبلغ الآمال والمآرب، والمملوك قد قرر شأنه فى إسعاف المقاصد المأمولة، من الشفاعة إليكم، والتحسب فى هذه الابواب عليكم الخ ... »

(٨) ومنها ابتداء أكثر رسائله بقصائد أو مقطعات، وقد يضمنها الكثير من الأبيات الشهيرة، من غير أن يعزوها إلى أربابها، وقد يأتى بمقطعات غير شهيرة ولا يعزوها، فلا يعرف إن كانت له أو لغيره (١). ؟

احمد السكندرى

حيرة الأدب المصرى

(بقية المنشور على الصفحة رقم ١١٨٧)

وعلى الجملة، فانك لو تصفحت هذا الأدب المصرى القائم، لرأيته موزعا بين حياة فى الجزيرة لعصر الجاهلية وصدر الاسلام، وبين حياة فى بغداد أو الأندلس، فيما يلى ذلك العصر، وبين حياة فى لندن أو برلين أو باريس أو أوروبا أو موسكو. ولكن أين هذا الأديب الذى يعيش فى مصر ويصور عواطفه المصرية التى يلهمها ما ينبغى أن يلهم المصرى من عواطف وأحساس؟

الواقع أن الأدب المصرى من هذا فى أشد الحيرة والاضطراب. ولعلنا راجعون إلى هذا البحث فى وقت قريب ؟

عبد العزيز البشرى

---

(١) راجع الجزء الرابع من نفح الطيب.

مادية الغرب وروحانية الشرق

بقلم البحاثة الجليل الاستاذ أحمد أمين
الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

الاستاذ أحمد أمين ، من أساتذة الجامعة المصرية الذين يشار اليهم بالبنان، كأني به قد خلق للبحث والتمحيص، وليقضى عمره بين المحابر والاقلام ، وما من شك مطلقا ، في أن جهوده المثمرة التى تلمس آثارها فى الجامعة المصرية وفي لجنة التأليف والنشر ، وفي كتبه النادرة المثال، وفي ذلك كله ، خير شفيع لما نقرر عنه من قول ؟ المحرر

شاع أن حياة الغرب حياة قوامها المادة، هي مقياس كل شيء عندهم حتى في تقويم المعنويات، وأن الشرق يمتاز بالروحانيات والمعنويات: فهل هذا الكلام صحيح ؟ وإن كان فما تحديد المادية وما تحديد الروحانية وما هو المظهر لروحانية الشرق التى لا نجدها في الغرب ؟ وأخيرا أريد من مقالى أن أسترعى نظر الكتاب لعلهم يتوجهون نحو هذا البحث لأنه إن كان صحيحا أن في الشرق عنصرا ليس في الغرب، فمن الحق أن نستكشفه ونوضحه إيضاحا تاما حتى نكاد نلمسه، ثم إذا هو وضح وحدد أمكننا أن ننقد في ضوئه تقليدنا للغرب في نظام التربية وسير العلوم ومذاهب الفلسفة، واستطعنا بعد استكشاف هذا العنصر ان نوفق بينه وبين مايلائمه من نظم علمية واجتماعية — ولعلنا إن فعلنا ذلك استطعنا ان ننشىء بناء جديدا شرقيا له خواص ومميزات غيرما للبناء الغربى، وأن نضع على هذا البناء الشرقى علم الروحانية ، كما وضع على البناء الغربى علم المادية ، ثم قد يقف هذان البناءان امام بعضهما موقف حصنين مسلحين يصوب كل منهما مقذوفاته نحو الآخر حتى يحكم القدر بغلبة أحدهما ، وقد لا يكونان حصنين حربيين بل يكونان بيتين سلميين يسكن أحدهما جزء من أسرة ويسكن الآخر باقى أفراد الأسرة وهما في حياتهما متعاونان فى الحياة تعاون الرجل والمرأة في البيت الواحد ، او الأكسجين والأيدروجين في تكوين الماء.

وهذا من غير شك موضوع في منتهى الصعوبة نحتاج للوصول فيه الى نتيجة حاسمة ان يتعاون المفكرون على بحثه وتحليله ومزاولته من جهات متعددة.

قد يفسر بعض الناس مادية الغرب بأنه يسير في حياته حسب مايرشده الدرهم والدينار ولا يقوم الأشياء الا بعملية حسابية يجمع فيها ماينتجه العمل من جنيه وما يفقده من جنيه فان كانت نتيجة الجمع والطرح عددا موجبا أقدم على العمل، وإن كانت عددا سالبا أحجم عنه، فأما المعنويات وأما العواطف فليس لها كبير قيمة.

إن كان هذا هو المعنى واتخذنا هذا معيار او نظر نا بعد الى الشرق والغرب، فماذا تنتج المقارنة؟ ألسنا نرى اغنياء الغرب يتبرعون بالأموال الطائلة للأعمال الخيرية لأمتهم وللانسانية عامة فيخرج الغنى عن نصف ماله او ثلثه للتعليم واعانة المنكوبين وجمعيات الاحسان والرفق بالحيوان ومستشفيات المرضى وملاجىء الزمنى على حين ان الشرقى قل ان يأبه لذلك فاذا هو تبرع لشىء خوفا من امير او ملقا لعظيم أو هو يحاول ان يجعل تبرعه ثمنا لشىء يود الحصول عليه من نيل

جاه او قضاء مصلحة — إن كان ذلك فأى الاثنين أمعن فى المادية آلغربى أم الشرقى ؟

لقد ظلت الجامعة المصرية تمشى الهوينى بل تمشى عرجاء ماعاشت تحت رحمة التبرعات ولم تستطع ان تقوم لها قائمة حتى ضمتها الحكومة إليها — ذلك والجامعات فى اوروبا واكثر المدارس انما اسس وعاش وازهر واثمر بجهود الأفراد وتبرع الأغنياء.

الم تسمع بمئات المشروعات فى الشرق آمن الناس بصلاحيتها وضرورتها للحياة الاجتماعية ثم ماتت جنينا، او ماتت فى مهدها، لأن الأغنياء ـ وهم عديدون فى كل امم الشرق ـ قبضوا ايديهم وسدوا آذانهم عن كل دعوة، فيئس الدعاة، ومل الهداة يذوبون اسى وحسرة على ما اصابهم من خيبة وفشل، فأين معنوية الشرق ومادية الغرب ؟

ثم لننظر مثلا إلى معانى الجمال فى الحياة: اى القومين اشد لها تقويما؟ آلغربى، وهو قد ينفق فى إدراك الجمال اكثر مما ينفق فى المادة، فيعنى بحديقته وجمالها ويعنى بالأزهار على مائدته وفى كل حجرة من بيته، ويؤثث منزله اثاثا اساسه الجمال، مهما كلفه من نفقة، ويتخير الحى الجميل يسكنه، والمنزل الجميل يقيم فيه، ولو اقتصد من مأكله ومشربه... ام الشرقى، واكثر همه بطنه، يعنى بمأكله وأثاثه من الناحية المادية فيه لا من ناحية جماله، فأين معنوية الشرق ومادية الغرب؟

وإن شئت فانظر معى الى المبشرين، وقد جندوا للدعوة، وباعوا انفسهم فى خدمة دينهم، فهم يجوبون الأرض من مشرقها لمغربها، لا يعبأون بحر ولا قر، ولا يأبهون لنعيم الحياة وزخرفها يعيشون فى البادية كأحد افرادها، يأكلون مما يأكلون منه، ويشربون مما يشربون، وينامون فى أكواخ حقيرة، ويتلذذون من الأذى يصيبهم، والمرض يفتك بهم، ولا يبالون مايتعرضون له من أخطار، ويستعذبون الموت فى سبيل نشر الدعوة، وتعال معى الى رجال الدين فى الشرق كيف يعز عليهم ان يفارقوا وطنهم، وكيف لا يسمحون ان يضحوا بقليل من العرض الزائل للنعيم الباقى، فأين معنوية الشرق ومادية الغرب؟

ونظير هذا رجال الدين من وجهة التعليم: كالفرير، والجزويت، والراهبات، كيف يعيشون عيشة الكفاف ويجدون فى التعليم لعلهم يظفرون ببغيتهم من مبدأ دينى يبثونه بين تعاليمهم، وانظر معى الى تناحر المعلمين منا، وغير المعلمين على الدرجات والعلاوات والكادر الجديد والكادر القديم، وهل تجد كثيراً فى الشرقيين يعدون مثلا فى انكار الذات، فأين معنوية الشرق ومادية الغرب؟

واخيراً فأين التضحيات بجميع انواعها؟ اهى اكثر فى الشرق ام فى الغرب ؟ اين التضحية العلمية من عالم يتوفر على بحثه ولا يكون له هم فى الحياة الا نجاحه فيه، ولا يهمه ان يعيش فقيراً أو غنياً؟ وآخر يكب على ميكروب يكتشفه ويقضى عمره فى اختبار علاج يقاومه به، وهو اذ ذاك قد يعرض حياته للخطر، وقل مثل ذلك فى التضحية الاجتماعية، فأصحاب المبادىء يؤمنون بها ايمانا يملك عليهم نفوسهم ويضحون براحتهم وهنائهم من اجلها .

هذه التضحيات وأمثالها كثيرة فى الغرب،وقل ان نجدها فى الشرق ، فأين مادية الغرب ومعنوية الشرق؟

قد تقول : إن هنـاك مظاهر فى الشرق تدل على معنوية لاتجدها فى الغربى كاكرام الضيف بهذا المعنى الذى يعرفه الشرقى،فالضـائف يغمر ضيفه بخيراته ولا يقتصر على ماتدعو اليه الحاجة، بينا الغربى يدعو اثنين فلا يتسع اكله لثالث، وهكذا من مظاهر الكرم الشرقى والبخل الغربى — وقد تضرب مثلا بالعلاقات العائلية فى الشرق والغرب،فرب العائلة يعول أسرته وفيها القريب والبعيد،فيها الابن وبنت العمة وبنت الخالة،ثم هو يحمل عبء ابنه وابنته فى الحياة لا الى حد،فاذا خاب الابن او عنست البنت فبيت الأب يسعها دائما،مع ان الغربى عادة لايعول الا اقرب الناس اليه،ثم هو يعولهم الى امد محدود،فاذا جاء الزمن الذى يستطيعون ان ينهضوا فيه بعبئهم تركهم وانفسهم يتحملون مشاق الحياة وويلاتها،ولـكن ألست ترى معى ان هذه الامثلة لاتدل على رقى فى المعنويات واحتقار للماديات وان كرم الضيف بالمعنى الذى يفهمه الشرقى مادية مضطربة وهو بالمعنى الذى يفهمه الغربى مادية منظمة، بل هو اقرب الى المعنى منه الى المادة ، فكأن الشرقى لايفهم من الاكرام أن يتخمك، بينا يرى الآخر أن يحيطك بجو من الامتاع والمؤانسة وكذلك الشأن فى المثل الآخر، خير للمجتمع أن يحمل كل عبء نفسه مااستطاع أن يحمله.

الحق أن المظاهر كلها تدل على أن الغربى يفوق الشرقى فى هذا الضرب من المعنويات التى ذكرنا،فأين إذاً موضع هذا القول الشائع ؟

للمسألة وجه آخر غير الذى ذكرنا، وهو أن معنى الروحانيات غير معنى المعنـويات ،وأن المعنويات التى ضربنا لها الأمثلة السابقة كثير منها ليس إلا ماديات راقية،فأما الروحانيات فمظهرها أشياء غير هذه كلها، مظاهرها الألهام والايمان بالغيب ونزعة التصوف.

أدرك هذا مؤرخو الفلسفة اليونانية فرأوا انها لما انتقلت إلى الأسكندرية صبغت بصبغة جديدة شرقيـة ، رأوا ان الفلسفة اليونانية ، وبما امتازت به من دقة وتحليل منطقى واعتداد بالعقل كل الاعتداد ، تغيرت تغيرا تاما لما أتت الشرق فمزج العقل بالشعور والالهام، وامتزج التحليل المنطقى بالعواطف،وامتزج الفـكر البحت بالتدين والتصوف.

أليس الغرب مديناً كله للشرق بدياناته؟فالاسلام واليهودية والنصرانية والبوذية ـ وهى التى تسيطر على أكثر العالم ـ نشأت فى الشرق لا فى الغرب ، ثم أليس ماأعجبت به من تضحية فى التبشير ورهبانية وبيع الأرواح فى سبيل الدعوة الدينية نتيجة من نتائج الأديان الشرقية؟أليست الكثلكة والأديرة، وخانقاه الصوفية وما إلى ذلك من معاهد الروحانية تأسست فى الشرق أولا؟

ولـكن عنـد هذا الحد من التفـكير يعترضنا سؤال خطير وهو : إذا كان الشرق منبع

(البقية على الصفحة رقم ١٢٠٠)

مذهب الملكات العقلية

وأثره فى التربية والتعليم

للاستاذ محمد مظهر سعيد

أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

بينت فى مقالين سابقين كيف نشأ مذهب الملكات، وكيف تطور، وذكرت شيئاً عن تاريخه منذ بدء نشأته أيام أفلاطون إلى أن اندثر فى أوائل هذا القرن بعد أن أثبت علم النفس التجريبي الحديث فساده وبطلانه، وسأبين الآن كيف انتقل من حظيرة الفلسفة إلى دائرة التربية والتعليم حتى اتخذه المربون والمعلمون أساساً لوضع مناهج الدراسة قروناً طويلة متعاقبة، لا فى عهد اليونان والرومان فحسب، بل وفى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فى كل أنحاء أوروبا، ويكفى للدلالة على مبلغ خطورة مثل هذا المذهب الخاطىء الذى يقع فيه الناس جيلا بعد جيل، ويسلمون بصحته عن عقيدة متوارثة، أن الكثيرين من كبار فلاسفة القرون المتأخرة ورجال التربية أمثال (كانت) و(كومينيوس) و(فروبل) قد وقعوا فيه بالفعل وتأثروا به، ولا زال واضعو البرامج فى المدارس المصرية إلى الآن يعملون به.

أفلاطون :

قلنا: إن أفلاطون افترض وجود ثلاث نفوس للانسان، كل منها تباشر عملا خاصا يتمثل فى ناحية من نواحى حياته العقلية والنفسية، وتتطلب مرانا خاصاً لتقوى حتى تصل إلى الكمال. فكان طبيعياً أن يفترض أن التربية — مادامت على حد قوله لاتخلق فى النفس شيئاً جديداً، وإنما تهذب القديم الكائن بالفعل — هى مجرد تدريب النفس وتقويتها وتهذيبها حتى تصل إلى معرفة الحق والتحلى بالكمال الخلق.

فينبغى أن تقدر قيمة كل علم يتعلمه الانسان لا من ناحية فائدته العملية فى حياة الانسان ولزومه له، وإنما من ناحية أثره فى تهذيب النفس، ولذلك أخرج المهن والأعمال اليدوية والعلوم العملية من نظام التربية الذى وضعه لجمهوريته، وجعلها وقفاً على العبيد لمجرد أنها نفعية، واعتبر الفن وسيلة للتسلية، فأشار بتعليمه للشبان فى أوقات فراغهم، بشرط أن لايتقنوه لأن الاتقان من شأن العبيد، ولا أدل على استنكاره للناحيــة العملية للتعليم من قوله فى حديث سقراط لصديقه (جلاوكن) : «يضحكنى منك خوفك الظاهر من اتهام الجمهور إياك بأنك توصى بتعليم علوم

عديمة الفائدة — وتجاريبهم فى زعمهم هذا — وقد غاب عنك أن هذه العلوم — الفلسفية — تنقى النفس من العمى والصمم ، وتساعد على إدراك الحق ، فلا تكن من الفريق الذى يقلل من قيمتها لأنها عديمة الفائدة العملية » (١) وهو على هذا الأساس يحكم أن لا يتعلم الناس فى جمهوريته شيئاً غير طائفة العلوم التى تقوى ملكات النفس وتجذب العقل من دائرة العالم المادى المحسوس إلى الحقيقة الكلية ، وهى الجمباز والفلسفة والحساب والهندسة بفروعها المستوية والفراغية والفلك وعلم الحركة والموسيقى (الهارمونيكا) والديالقطيقا (علم البحث المنطقى) .

وقد جعل الجمباز أول العلوم لا لأنه يقوى البدن ويزيد فى القوة الجسدية الغشومة ، وإنما لمجرد أنه يكسب النفس الشجاعة التى تجعل الاندفاع وسطاً بين تهور الحيوان المتوحش وجبن الانسان.

أما الفلسفة فيقول عنها: « إنها تاج العلوم وهى ملكتها التى تحمل لها مصباح الحكمة ، وتنفذ بفروضها إلى قواعد العلوم الأولية فتربطها وتقيمها على دعامة ثابتة . فاذا كانت عين النفس مدفونة فى حمأة الجهل الوحشى رفعتها برفق إلى سماء الحق ، مستخدمة فى هذا سائر العلوم والفنون ، فالفيلسوف هو الذى يفكر فى جوهر كل شىء على حدة ، ويحدد صفة الشىء الطيب ويستخلصه ، ويجرده من كل ما يشوبه ، ويدلل على فساد الباطل لا بمجرد الرأى وإنما بحقيقة الوجود ذاتها ، ويسير إلى النتيجة من غير ان يخطىء مرة واحدة ، أو يتخطى حلقة من حلقات التفكير الصحيح . » (٢) « فالفلسفة لا تنحصر فائدتها فى التفلسف فحسب ، وانما هى جمباز للعقل ووسيلة للتخاطب مع الآخرين للتأثير فيهم ، ولتعلم الحكمة والعلم والتميز بين الحق والباطل » ولذلك أشار بتعليمها من البداية ويقول فى هذا على لسان سقراط: « يجب ان يتعلم الشبان والأطفال الفلسفة بما يوافق سنهم ، فنلقنهم مبادئها وهم صغار حتى اذا نمت اجسامهم ، ووصلت عقولهم إلى تمام نموها زدناهم منها ، وعندما يبلغون من الكبر عتيا نعفيهم من المناصب العامة والخدمة العسكرية ليكرسوا أنفسهم لدراستها والانقطاع لها ، وبذلك نضمن لهم حياة سعيدة على الأرض ، وبعد الموت يتوجون حياتهم الماضية بحياة مماثلة لها فى العالم الآخر » (٣) وبلغ من شدة تعصبه للفلسفة أن حظر إسناد الوظائف الهامة ومقاليد الحكم لغير الفلاسفة ....

ودلل على وجوب تدريس الحساب أو علم الأعداد بقوله: « إنه العلم الذى لا يستغنى عنه القائد والفيلسوف ، فالقائد ليعد جيوشه ويرتبها ، والفيلسوف ليسمو بها فوق المحسوس المتغير ويتعلق بالحقيقى الصحيح ، وبغيره لا يكون تفكيره مستقيما ، ولذلك يجب فرض تعلمه فرضا على كل من يسند إليه شىء من مهام الدولة . على أن لا يكون الغرض منه استخدامه فى البيع

(١) الجمهورية أفلاطون: طبعة دافيس وفوجان الانكليزية ١٩٢٥ — ص ٢٥٢.
(٢) افلاطون : هيلينيكا ص ٢٧٩.
(٣) الجمهورية :ص ٢١٦ .

والشراء كما يفعل التجار والعامة ، وانما لتهذيب النفس والذكاء والبحث عن الحقيقة المتمثلة فى حدود الاعداد المجردة ، ولعلك لاحظت يا(جلوكون) ان الذين يتفوقون فى الحساب هم عادة سريعو الادراك فى كل العلوم الأخرى بغير استثناء ، وكذلك ضعاف العقول إذا تعلموه وتمرنوا عليه تقدموا فى الفهم بأسرع مما كانوا عليه ولولم يستفيدوا منه أية فائدة عملية »(١) وأوصى بأن تكون القضايا الحسابية شغل شباب اليونان الشاغل،لأن الحساب العقلى يشحذ الفكر وينبه النفس النائمة الجاهلة .

أما الهندسة فتجذب النفس نحو الحقيقة ولذلك يكون الدارس لها أسرع فهما من سواه(٢) والفلك يصرف النظر عن هذا العالم المادى إلى عالم الروح الآخر بشرط أن يصرف النظر عن الكواكب والأجرام السماوية ذاتها، فلا ينحصر هم المتعلم فى ملاحظتها وحساب مداراتها ومرورها فى افلاكها كما يفعل العامة وجهلاء الفلكيين (٣)

أما الموسيقى فهو يدلل على مبلغ أهميتها وأثرها فى تهذيب النفس بقوله:« إنها تغوص فى اعماق النفس،وتستحوذ عليها، وتشعرها بالانسجام والتناسق وتكسبها جمالا كجمال الموسيقى ومقدرة على تقدير جمال الفن فى مناظر الطبيعة والذوق السليم ، فيصير الانسان شهما ، وبعدئذ يصير حكيما عاقلا » (٤).

ولم ينفرد(افلاطون)بهذا الرأى فقدوضعها(ارسطو) و(ارسطوفانيس)على رأس العلوم المهذبة للعقل والخلق ، واعتبروها أساساً للحياة السامية ، فليست هى فى نظرهم جهازا للاذن والحنجرة فقط ، ولكن للروح : لأن(الهارمونيكا)والتوقيع ينفذان إلى قرارة النفس وينبهانها من غفوتها، وباتحادهما بالشعر يقودان النفس الى الفضيلة ، ويبثان فيها الشجاعة ، وبواسطتها يحكم العقل حكما صحيحاً فى كل القضايا المنطقية المعقدة . واعتبرها افلاطون الصفة الثامنة المتممة لصفات الفيلسوف الكامل المفروض فيه ان يكون ذا مزاج موسيقى منظم منسجم .

فأفلاطون اذن لم يكن يقدر العلوم من ناحيتها النفعية وانما من ناحية تهذيب النفس ، أى لنها لم تكن فى نظره سوى جهاز يقوى ملكات النفس وقواها المتعددة ، كما يقوى البدن بالألعاب الرياضية .

اليونان :

تأثر اليونان بمذهب أفلاطون النظرى وخلبت ألبابهم فكرة التهذيب وجهاز النفس فطبقوه عمليا،وغالوا فى تطبيقه وجعلوه أساساً للتربية العامة فضحوا بالعلوم والفنون العملية ، وحتى

(١) الجمهورية ص٢٤٩ ـ ٢٥٠.
(٢) » ص٢٥٢.
(٣) » ص٢٥٤ — ٢٥٦ .
(٤) » ص٢٥٤— ٩٦٠.

الكتابة والقراءة والحساب على مذبح الفضائل الانسانية : حب الوالدين، والاخوان ، والشجاعة والصبر، وضبط النفس التى تكتسب عن طريق الألعاب الرياضية والفلسفة (١) . ولكنهم أعطوا الأولوية للجمباز الذى يقوى البدن ، والموسيقى التى تغذى الروح، واعتبروا الأجرومية متممة للموسيقى، وبعدئذ أدخلوا من العلوم سبعة سموها الأسنيكلوبيا أو كما سماها (سنيكا) الفيلسوف «أوربيس دوكترينا » (٢) وهى الأجرومية والخطابة (ريطوريقا) والفلسفة ، وسموا هذه المجموعة الثلاثية (تريفيوم) والموسيقى والهندسة والفلك و(الديالقيطيقا) وسموها (كوادريفيوم) وقد بلغ من تأثرهم بفكرة الفضيلة والحقيقة انهم فضلوا القيثارة على المزمار من ناحية الموسيقى لأن الأولى أساس الحكمة والخلق الحسن ، أما الثانية فأداة الفساد والكسل، وحتى الألعاب الرياضية اعتبروها وسيلة لتهذيب النفس قبل البدن، ولذلك تهافتوا على تشجيع الهواة بقدر ما نبذوا المحترفين حتى انطفأ نجمهم فى عهد بركليس وهاجمهم (يوريبيدوس) هجوما عنيفا.

الرومان :

وقفى الرومان على أثرهم فاقتبسوا نظامهم وكذلك لغتهم حتى فضلوها على اللاتينية ، ويكفى ان شيشرون خطيبهم نادى بأن اليونانية من الزم ما يكون لشباب روما، وأوكل تربية أولاده لأساتذة من اليونان يعلمونهم الفلسفة والخطابة . وكذلك فضلها (كنتليان) زعيم التربية فى روما على اللاتينية وأشار بضرورة تدريسها قبلها، ولكنهم أضافوا الشعر الى قائمة العلوم لأنه يقوم الخلق ويصقل العقل، فأقبلوا على حفظ شعر (ليفيوس اندرونيكوس) باللاتينية واوديسيا هوميروس باليونانية وكذلك مقطوعات من كلام فيرجيل وشيشرون . وكذلك جعلوا للخطابة المقام الأول بين العلوم حتى حلت عندهم محل الموسيقى عند اليونان . واعتبروا الفلسفة بفروعها: المنطق والاخلاق ودراسة الطبيعة متممة لها . ثم انحصرت كل الدراسة فى اللغة اللاتينية حتى أصبحت فى القرون الوسطى —قرون الفروسية والاقتطاع — الأداة الوحيدة للتعليم .

وتطورت مذاهب التربية وظهر جماعة الانسانيين الذى نادوا بأن الغرض من التربية يجب أن يكون مجرد تثقيف الفرد، وإعداده ليكون انسانا ،فلم يسلموا من الوقوع فى هذا الخطأ حتى كومينيوس زعيمهم نادى بأن العلوم التى تعلم فى المدارس يجب أن يكون الغرض الأساسى منها هو تقوية قوى النفس أو ملكات العقل الرئيسية، وهى الادراك والارادة والذاكرة والشعور .ولذلك اقتصر على تدريس الاجرومية والديالقطيقا والمنطق (علوم التريفيوم الرومانية) والموسيقى والحساب والهندسة والفلك . وتدرج فى تربية الأطفال ليقوى فيهم الادراك أولا ثم الذاكرة فالحكم، أما ايراسموس فجعل همه منصبا على تقوية ملكة الذاكرة، ولكن كان يعمد الى حمل التلاميذ على حفظ

(١) هيلنيكا . ص ٩٧

(٢) OrbisD ocrtinae

جداول متنوعة معلقة على حوائط المدرسة. وكذلك أشار (كومينوس) بأن يكون عمل المدرسة الابتدائية قاصرا على تقوية الذاكرة والخيال، والثانوية الحكم، والجامعة الارادة. ولكنه اعطى الاجرومية اهمية كبرى كأداة لتمرين العقل فكان يقول: « لا أتصور أن أحدا ما يعترض على عنايتى بتدريس الاجرومية اللاتينية لأنها مفتاح كل العلوم » (١) وكذلك جعل (كانت) الفيلسوف (ولو انه لم يكن من رجال التربية) الغرض الاساسى للتربية تمرين ملكات الطفل حتى يصل الى ادراك الحقيقة وصحة الحكم عن طريق الرياضيات والعلوم الفلسفية. وزاد على هذا هربارت زعيم المدرسة الألمانية: أن العلوم التى تعلم هى التى تقوى الاحساس والذاكرة والحكم والارادة، اما المعلومات ذاتها فلا قيمة لها، لأن قوة الانسان لا تتمثل فيما يعرفه وانما فى ارادته؟

(يتبع) محمد مظهر سعيد

مادية الغرب وروحانية الشرق

(بقية المنشور على الصفحة رقم ١١٩٥)

الروحانيات أما كان الأجدر به أن يقوم المعنويات اكثر مما يقوم الماديات؟ اما كان الأليق لفلسفة الشرق أن يفوق الشرق فى تضحيته وفى اجلاله للروح والمعانى؟ فما بالنا نراه انغمس فى المادة إلى اعلى شعرة من رأسه، فاذا دعى إلى معنى او روح ولى مدبراً ولم يعقب؟

لعل مرضا ذريعا فتك به فرده من أعلى عليين إلى اسفل سافلين، ولعل ماحاق بالشرق من احن وآفات أضعف نفسه وروحه وبدله خلقا آخر.

ولكن هل هو سيف صدأ يمكن ان يجلى، وجسم انتابته علة يمكن ان يبرأ منها، وعود جف ظاهره من العطش ولا يزال مستعدا ان يزهر اذا سقى، او هو شجرة ماتت ومرت عليها العصور والاعاصير فتحجرت، وجسم ادركته العلل الخطيرة من كل جانبه فلا امل فى شفائه؟

نحن إلى الأول أميل.

إن كان كذلك فما نوع المرض الذى انتاب روحانيته، وما تشخيصه، وما أعراضه، وما دواؤه؟ لعل كتاب « المعرفة » يعاونون فى الاجابة على هذه الأسئلة

احمد أمين

---

(١) راجع مؤلفات Debactica Magra

كتاب ابن الرومى

للأديب الكبير
السيد مصطفى صادق الرافعى

نشرنا فى الجزء الماضى (ديسمبر سنة ١٩٣١) القسم الاول من هذا النقد الصحيح، والذى تفضل به امام اللغة وعلم العربية السيد مصطفى صادق الرافعى، وننشر الآن القسم الثانى وهو بقية المقال شاكرين... المحرر

يجيء فى كتاب العقاد باب يملأ ١٨٦ صفحة لا يستوفيها القارىء إلا بعون من الله، وكأن الله سلط على ابن الرومى طولا بطول ... وثرثرة بثرثرة .. وهذا الباب فى استخراج حياة ابن الرومى من شعره، وهو الذى بنى عليه الكتاب، ومع ذلك فهو أقبح عيوبه، إذ لا يؤرخ الشعر قائله، وخاصة إذا كان يمدح لينال، ويهجو لينال، ويحتال لينال، وليس عنده إلا المنالة، فمثل هذا الشاعر يكون أكثر كلامه بضاعة وصناعة، ولصناعة الكلام حكمها، فالشعر فيها منافسة بين القائمين بها والعائشين منها، لا ينظم أحدهم معنى إلا نافسه الآخر فى المجيء بمثله، وما أحسبك تحكم على المغنى بأنه متدله فى الحب لأنه يتغنى به، إذ كان لا يتغنى بالحب إلا ليطرب سامعيه، ولا يطربهم إلا للأجر والمنالة.

ثم الشعر مبالغات ومتناقضات، وبخاصة عند ابن الرومى، فطريقته التى اشتهر بها هى نقض المألوف والخلاف على الناس، لا من عقيدة ولا من رأى ولا فلسفة، بل صناعة جدل وبرهان لاظهار اقتداره على القول واتساعه فى مذاهبه حتى قال المعرى، وذكر ما يقوله البغداديون فى تشيعه واستدلالهم على ذلك بقصيدته الجيمية : ما أراه إلا على مذهب غيره من الشعراء، وهذه العبارة أوردها العقاد فى كتابه ولم يفهمها، فظن أن المعرى لم يطلع على شعر ابن الرومى !!! فخفيت عنه حقيقة مذهبه.. قلنا : ولكن المعرى — وهو قريب من عصر ابن الرومى — يعلم أنه من العبث استخراج حياة الانسان من شعره، وأن مذهب الشعراء أنهم يقولون مالا يفعلون، ويتقربون لكل إنسان من طريقه، لا من طريقهم، إذهم لا يذهبون بالشعر إلى دورهم أو إلى دور الكتب، بل إلى القصور والدواوين ونحوها، وهذا البحترى قالوا : إنه كان يكنى أبا عبادة، ولما دخل العراق تكنى أبا الحسن... ليتقرب بهذه الكنية إلى أهل النباهة والكتاب

من الشيعة ، فهذا معنى قول المعرى : ما أراه إلا على مذهب غيره من الشعراء .

ولم يفت العلماء أن ينبهوا على طريقة ابن الرومى وكذبه على الأشياء والحياة . فقال الجرجانى فى كتاب (الكنايات) بعد أن أورد شعره فى مدح الحسد : وابن الرومى فى قدرته على الكلام وتمكنه من التصرف فى شعره يصف الأشياء بغير صفتها ، ويحليها بغير حلاها ، فقال يمدح الموت وخالف الناس (١) :

قد قلت : إذ مدحوا الحياة وأسرفوا فى الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها : أمان لقائه بلقائه وفراق كل معاند لا ينصف

هذا ابن الرومى يمدح الموت ويقول فيه ألف فضيلة ، مع أن العقاد يستدل بشعره على أنه كان يعبد الحياة . . . !

ويقول المرتضى فى كتابه (الشيب والشباب) بعد أبيات لابن الرومى فى الخضاب : وجدت ابن الرومى يتصرف فى هذا المعنى ويعكسه .. وفلسفة هذا الرجل فى شعره ، وتطلبه لطيف المعانى مع إعراض عن فصيح العبارة وغريبها ، وإن كانت مذمومة فى الأغلب الأكثر ، ربما أثارت دفينا (٢) .

وسر ابن الرومى كله — وهو ما لم يتنبه إليه أحد إلى الآن — أنه نقل الطريقة الكلامية إلى الشعر ، وكان رجلا متكلما ذا جدل وبيان ، وقد رأى أساس هذه الطريقة فى شعر أبى نواس وابن الضحاك وغيرهما ، وفى شعر علماء الكلام : كبشر بن المعتمر ، فوافقت منه هوى وطبيعة ، فقصدها وبنى عليها وتوسع فيها حتى تقررت له وعرف بها ، وتلك هى الطريقة التى تتقرر بها المذاهب الأدبية ، فابن أبى ربيعة بنى مذهبه على أبيات أعجبته من كلام امرىء القيس ، وأبو نواس بنى على الأعشى ، وأبو تمام بنى على مسلم ، وهكذا . وفى كل قصيدة من قصائد ابن الرومى ترى ملكة الشعر وملكة الجدل تتصارعان وتتجاذبان ، وهذا سر سفسفته ، وهو الذى يبعثه على استيفاء المعنى إلى آخره وإماتته حتى لا يترك فيه بقية ، كما أنه هو السبب الذى نهض عند الناس بمقاطيعه وسقط بقصائده حتى مات أكثر ديوانه ، وحتى كأنه لم يقل إلا أبياتاً ومقاطيع . وهذا الأديب الكبير القاضى الجرجانى يقول فى كتابه (الوساطة) : نجد (كثيراً) ينتحل تفضيل ابن الرومى ويغلو فى تقديمه ، ونحن نستقرى القصيدة من شعره ، وهى تناهز المائة أو تربى أو تضعف ، فلا نعثر فيها إلا بالبيت الذى يروق أو البيتين ، ثم قد نسلخ قصائد منه وهى واقفة تحت ظلها ، جارية على رسلها ، لا يحصل منها السامع إلا على عدد القوافى وانتظار الفراغ ... (٣)

(١) لم يذكر العقاد فى كتابه هذا النص .

(٢) لم يذكر العقاد هذا النص فى كتابه أيضا مع أنه رأى عالم محقق دقيق يصح أن يؤخذ رأيه فى أسلوب ابن الرومى على أنه رأى عصره .

(٣) هذا النص مما فات العقاد أيضا فلم يذكره فى كتابه .

وابن الرومى نفسه كان يعرف أن طريقته هـذه مرذولة لا تقع بالموافقـة ممن يمدحهم ، يقول فى شعره لممدوحه :

أول ما أسأل من حاجة أن يقرأ الشعر إلى آخره

أهى قصيدة ويلك ؟ أم هى ضريبة قراءة على الممدوح ....؟!

إن العقاد فى زعمه استخراج حياة ابن الرومى من شـعره ، وإغفاله كل ما مر بك ، هو فى رأينا كالذى يزعم لك أن بائعة الدجاج المسكينة هى أكثر الناس أكلا للدجاج واستمتاعا بلحمه ، مستدلا على ذلك ، بكثرته عندها وقدرتها عليه أى وقت شاءت ، ويذهب عنه أن هذا الدجاج إن كان عند الناس لحماً يؤكل فهو عند هذه المسكينة مال يجمع .

وفات العقاد فى استخراجه أن يزعم أن ابن الرومى كان يبغض القمر . . . لقوله فى ذمه :

يا سارق الأنوار من شمس الضحى يا مثكلى طيب الكرى ومنغصى

كما فاته أن يستدل بهذا على أن ابن الرومى لم يكن يجد النوم فى الليالى المقمرة ... وهذا يدل على أن داره كانت متهدمة ، فاذا طلع القمر وقع فى مخدعه لا يستره شىء ، وبقى طول الليل فوق عينيه فلا ينام ، لأن أجفانه بالغة كل مبلغ من الضعف والاهتياج ...

أرأيت إلى أين تنتهى طريقة الاستدلال بالشعر على الحياة ؟ وانها تحكم على ابن الرومى بأنه جلف لا يدرك معنى الجمال فى القمر ، فمن ثم ليست فيه طبيعة فنية ، ولا يصغى إلى سر الحياة ولا ولا .. إلى أن تنقض بهذا البيت وحده كل ما زعمه العقاد فاذا كتابه كتاب مزور .

ومن أغرب ما استخرجه المؤلف ما زعم أنه وصف لابن الرومى وكله تلفيق ، ومن أعجبه قوله : كان إذا مشى اختلج فى مشيته ، ولاح للناظر كأنه يدور على نفسه ، أو يغربل لاختلال أعصابه واضطراب أعضائه ، واستدل على ذلك بقوله :

إن لى مشية أغربل فيها آمناً أن أساقط الاسقاطا

قال : وهذه المشية معروفة تدل عليها حركة الغربلة ، وتكثر فيمن بهم خلل فى العصب أو العضل .

قلنا : لم يفهـم العقاد معنى « يغربل » فان مشية الغربلة كناية عن معنى آخر ، إذ رمى بعضهم ابن الرومى بالتخنث ، واستدل بمشيته تلك ـ وهى مشية فيها ترجرج وتفتل يهتز بهـا المنكبان ويقبل الوجه مرة إلى يمنـة ومرة إلى يسرة كما تصنع المرأة إذ تنفض الغربال فيرتج عطفاها على حركته ، وتلفت وجهها عن يمين مرة ويسار مرة لتنفخ ما يخالط القمح من التراب ونحوه ـ فكأن قولهم « يغربل » كناية عما وراءها ، كما يكنون عن الشيخ الهرم الفانى بقولهم « يعجن » لأنه لضعفه إذا قام عن الأرض اعتمد على جمـع كفيه كما يفعل العاجن ، فأقر ابن الرومى الوصف ، وقلبه على طريقته من الذم إلى المدح بالتكملة التى زادها عليه .

ثم هذه المشية لا تكون من ضعف ولا خلل فى العصب ، وإنما ينشأ الناشىء عليها تقليداً

ومحاكاة ، وقد رأيناها فى رجال أقوياء ، ولا يقال فيها إن صاحبها يلوح للناظرين كأنه يدور على نفسه ، فما فيها غير رجفان المنكبين وتلفت الوجه ، أما تلك التى يستدير فيها الجسم فهى مشية خاصة بالنساء، يقولون زافت المرأة إذا فعلت ذلك.

وتكلم المؤلف عن عبقرية ابن الرومى، فزعم أنها عبقرية يونانية(١)، وبنى على هذا بناء من الرمل لا يكاد يرفعه فى صفحة إلا انهار فى التى بعدها ، بل جاء هو فى آخر الفصل يقول: «فحسبنا إذن من كلمة العبقرية اليونانية أنها مفهومة بلغة الآداب، وإن لم تكن مفهومة فى لغة الأنساب ... يعنى أن ابن الرومى ذو عبقرية يونانية وإن لم تكن يونانية . . . أما إنه كذلك لأنه من سلالة اليونان، فذلك قول لا نجزم به ولا نجزم بنفيه لأنه يستطيع أن يكون كذلك ولو لم يكن من تلك السلالة .... »

نقول إذن فلا معنى لتسميتها عبقرية يونانية وإن كانت واقعة على مواقعها عند اليونان ، بل أحرى بها أن تسمى عبقرية عربية وإن لم يكن لها شبيه عند العرب، مادام ابن الرومى يستطيعها ولو لم يكن رجع إليه شىء من الوراثة اليونانية .

إن كانت كلمة العقاد ثناء على ابن الرومى فلبئس ما أثنى ، لأن الأدب العربى هو الحقيق أن تنسب إليه عبقرية خص بها صاحبها الذى لا يعرف غير العربية وكان بها ذا قدرة « سبق بها الشعراء فى الأمم كافة بغير شك ولا تردد، هى قدرته البالغة على نقل الأشكال الموجودة كما تقع فى الحس والشعور والخيال » صفحة ٢٩٢ . « ويستخدم السخر فى الهجاء والمديح والمطايبة والمعاتبة ، ويعرض لك فى متحفه الكبير تلك الصور الهزلية التى لا مثل لها فى شعر واحد من شعراء العالم كله » صفحة ١٢٩ .

إننا نقف خاشعين عند هذا التحقيق العلمى الدقيق المحيط بشعر شعراء الأمم كافة والعالم كله فى قديمه وحديثه ، ويسرنا أن تكون مصر قد خصت براوية يروى لكل أمة من الأمم كافة شعر جميع شعرائها فى العالم كله ... ونسلم للعقاد أنه اطلع على كل ذلك وحققه ورواه، ولكنا لا نسلم له أنه اطلع على الشعر العربى، وإلا فليأتنا بدواوين: بشار، وابن هرمه، ومنصور، وأشجع ، وابن الضحاك ، والوراق ، وابن الجهم ، وابن بسام ، وعشرات ومئات بعد هؤلاء وقبل هؤلاء ، وهل قرأ شعر محمد بن العزيز الذى نظم قصيدة تربى على أربعمائة بيت فى وصف حاله وتنقله فى الأديان والمذاهب والصناعات ؟ وهل وقع إليه ديوان الواسانى الذى خلف ابن الرومى فى طريقته، وقال فيه الثعالبى: «أعجوبة الزمان ونادرته ، كان فى زمانه كابن الرومى فى أوانه»؟ وهل قرأ ديوان ابن حجاج الذى انفرد بطريقة فى الهجاء والسخر أسقطت ابن الرومى وعفت على ديوانه وبلغ شعره خمسين ألف بيت، وقال فيه الثعالبى: « ديوان شعره أسير فى الآفاق من مثل ... كثيراً ما بيع ديوان شعره بخمسين ديناراً إلى سبعين .. »؟ وهل قرأ شعر ابن بسام الذى كان يقلده ابن الرومى فى الهجاء ويسرق من معانيه وهو معاصره ، وقد هجا الخلفاء والأمراء

---

(١) هذه الكلمة مسروقة من لغة الادب الاوربى.

والناس جميعاً وأباه وأمه ؟

قبل أن يزعم العقاد تلك المزاعم الفارغة عن شعر شعراء الأمم كافة والعالم كله ، يجب أن يثبت لنا أنه أحاط بالشعر العربى وحده ، وأنه استخرج من ذلك أن ابن الرومى منفرد فيه . أما التهجم بغير علم ، والزعم بغير دليل ، ودعوى الثقة واليقين بلا برهان صريح ، ولا دلالة قاطعة ، فهذا كله ضرب من صناعة الكتابة الصحافية ، لا من صناعة التحقيق التى لو استعرضنا بها الكتاب صفحة صفحة ، ومسئلة مسئلة ، لخرج أكثره تلفيقاً وإغراقاً ، وتزيداً وجرأ للكلام على الاقتسار والمكارهة ، كما ترى فى هذه المسئلة التى حشرها حشراً فى صفحة ٣٢٢ ليتباصر بأنه يعرف النحو ، وهو من أجهل الناس به ، إذ قال عن ابن الرومى :

« أما لفظه من حيث هو صحيح أو خطأ ، فلفظ عالم بالنحو ، مطلع على شواهد العربية ولا سيما فى القرآن ... ومن هنا لم يذكر كلمة « أشياء » إلا ممنوعة من الصرف ، وهى مصروفة فى قول القياسيين من النحاة لأنها جمع شىء ، فهى أفعال جمع فعل ، وليست فعلاء مؤنث أفعل ، (كذا كذا ...) التى تمنع من الصرف . وإنما تابع المفسرين فى هذا ، ولم يتابع القياسيين من النحاة ، لأن كلمة « أشياء » وردت فى سورة المائدة ممنوعة من الصرف ... وتعليل المفسرين لذلك : أن « أشياء » اسم جمع كطرفاء ، غير أنه قلبت لامه فجعلت لفعاء ، وقيل أفعلاء حذفت لامه ، جمع لشىء كهين ، أو شىء كصديق تخفف ، وهذه المخالفة للنحاة القياسيين هى كما ترى أدل على العلم منها على الخطأ » .

فما الذى يفهم من هـذا الخلط ؟ يفهم أن « أشياء » مصروفة عند القياسيين من النحاة ، وممنوعة من الصرف فى القرآن ، فلذلك عللها المفسرون غير تعليل النحاة (طبعاً) واتبعهم ابن الرومى ، فكان هذا أدل على العلم منه على الخطأ ، أى منع الصرف خطأ فى ناحية ، والصرف خطأ فى ناحية أخرى ، فكأن النحاة القياسيين يخطئون القرآن .

ولكن فى أى كلام وردت « أشياء » مصروفة ؟ ومن هم النحاة الذين يقولون بخطأ منعها من الصرف أو يجيزون صرفها ؟

كل ما فى هذه المسألة أن النحاة رأوا الكلمة ممنوعة من الصرف ، ورأى بعضهم أن القياس كان يقتضى أن تكون مصروفة ، فذهبوا يعتلون بعلل مختلفة تسويغاً لمنع الصرف (١) . أما الكلمة فهى هى حيث وقعت ، فلا تثبت لابن الرومى علما ولا جهلا ، وإن أثبتت للعقاد أنه ظفر بمسئلة من مسائل التصريف نقلها ولم يفهم منها شيئاً .

وبعد ، فما أحق ابن الرومى أن يقول فى كتاب العقاد عنه :

وكانت أيكتى ليد اجتناء فعادت بعده ليد احتطاب ...

مصطفى صادق الرافعى

(١) استوفى هذه العلل كلها صاحب (تاج العروس) فى مادة (شاء) وبسط الكلام عليها ورجح منها ، فليرجع اليه القارىء إن شاء .

عبرة من التاريخ كلمات تذهب بملك آل صفرة

للمؤرخ الكبير : الشيخ عبدالوهاب النجار
أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية أصول الدين

— ٣ —

يزيد وال على اخراسان : تولى يزيد خراسان وفرق عماله وقدجعل وكده وهمته فى فتح جرجان . والسر فى اهتمامه بها أن قتيبة بن مسلم لما ولى خراسان بعد يزيد فتح فتوحا كثيرة فكان كلما فتح قتيبة فتحا يقول سليمان ليزيد وهو عنده: ألا ترى فتوح قتيبة ؟ فكان يزيد يصغر من شأن تلك الفتوح ويقول: فما صنعت جرجان التى قطعت الطريق وافسدت قومس ونيسابور؟ هذه الفتوح ليست بشىء، الشأن هى جرجان. فلما ولاه سليمان لم تكن له همة غير جرجان.

لم تكن جرجان فى ذلك الوقت مدينة وإنما هى إقليم جبلى، ففيه المضايق والمخارم الكثيرة. وهى من الحصانة والمنعة بحيث يقوم الرجل الواحد على الباب من أبواب الجبل فيصد الجيش عن الاجتياز، وكانت تلك البلاد لم تفتح أيام فتوح عمر ، ولكن سعيد بن العاص-ايام ولايته الكوفة-قصدها فى جند كثير فصالحه اهلها على مائة الف درهم ليكف عن قتالهم فصالحهم، ولكنهم كانوا لا يؤدون مال الصلح بانتظام، بل كانوا تارة يؤدون وتارة يمنعون وكانوا يقطعون طريق المسلمين عليهم إلى خراسان ويفسدون فى البلاد المجاورة لهم كقوس ، فتحامى المسلمون طريق جرجان ، لذلك جعل يزيد جرجان اكبر همه وقصدها فى مائة الف مقاتل من اهل الشام والعراق وخراسان سوى الموالى والمتطوعة و كان سكان تلك الجبال طائفة من الترك .

لاأريد أن أطيل على القارىء الكريم بذكر تفصيل ما أبلى يزيد فى جرجان وما لاقى هو وجنده من الصعاب، فتلك خطوب طويلة عريضة..وإنما اقول: إنه فتح تلك البلاد وترك فى جهاتها المسالح لحفظ الأمن وحفظ خط الرجعة فلما أبعد عنها غدروا بمن عندهم من المسلمين وقتلوهم فرجع إليهم وحاربهم احد حرب إلى أن ظفر بهم وقتلهم شر قتل بعد اشد قتال وقتل منهم وأجرى الماء على دمهم حتى طحن عليه ووفى بنذره . وكان افتتاحها للمرة الأولى فى سنة ٩٨ هـ، و كذلك فتحها للمرة الثانية .

وقد غنم يزيد فى غزواته اموالا كثيرة وسبى سبيا كثيرا ،وكتب بالفتح والغنيمة الى سليمان وعظم أمر الغنيمة تعظيما كثيرا وأنه قد بلغ خمس الغنيمة ستمائة الف الف أى ستمائة مليون من الدراهم. ولكن سياق الكلام يدل على أنه كتب الخمس اربعة ملايين فقط،لأن ابن الأثير قال فى آخر الكلام:وقيل كان المبلغ اربعة آلاف الف.

لما كتب يزيد بمقدار المال عارضه كاتبه المغيرة بن ابى قرة مولى بنى سدوس ، وقال له لا تكتب تسمية المال فانك من ذلك بين أمرين — إما استكثره فأمرك بحمله وإما سمحت نفسه لك به فأعطاكه فتكلف الهدية فلا يأتيه من قبلك شيىء إلا استقله فكأنى بك قد استغرقت ماسميت ولم يقع منه موقعا ويبقى المال الذى سميت مخلدا فى دواوينهم ، فان ولى وال بعده أخذك به وإن ولى من يتحامل عليك لم يرض بأضعافه ولكن اكتب فسله القدوم وشافهه بما أحببت فهو أسلم. أما يزيد بن المهلب فلم يصغ إلى هذه النصيحة الصافية فأمضى الكتاب وأرسله إلى سليمان .

عزل يزيد بن المهلب وسجنه : ضرب الدهر ضرباته وتوفى سليمان بن عبد الملك لتسع من صفر سنة ٩٩ وولى عمر بن عبد العزيز بعده وكان عمر بن عبد العزيز يكره يزيد وآل المهلب ويقول: إنهم جبابرة، فهو بالطبع يكره ولا يتهم . وكان يزيد يكره عمر بن عبد العزيز ويقول: إنه مراء ، فكتب عمر إلى يزيد يأمره بالاستخلاف والقدوم عليه فاستخلف ابنه مخلدا وأخذ فى القدوم عليه ، ولكن عمه كان قد ارسل إلى عدى بن أرطاة يأمره أن يرسل إليه يزيد موثقا، وكان يزيد قد جاوز جرجان إلى واسط فلحق به موسى بن الوجيه الحميرى وقيده وبعث به إلى عمر مقيداً .

دعا عمر يزيد وطالبه بالمال الذى كتب به إلى سليمان — وهذا مصداق ماقاله كاتب يزيد له وحذره منه — فقال يزيد: كنت من سليمان بالمكان الذى قد رأيت، وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذنى به ، فقال عمر : لا أجد فى أمرك إلا حبسك. فاتق الله وأد ماقبلك فانها حقوق المسلمين ولا يسعنى تركها ، وحبسه بحصن حلب .

مخلد بن يزيد يسعى فى نكال ابيه : ولى عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الرحمن الحكمى واليا على خراسان، فأقبل مخلد بن يزيد بن المهلب إلى الشام وفى طريقه فرق أموالا عظيمة حتى قيل إن عطاياه فى طريقه بلغت الف الف درهم. فلما قدم على عمر قال له : يا أمير المؤمنين ! إن الله متع هذه الأمة بولايتك وقد ابتلينا بك فلا نكن نحن أشقى الناس بولايتك ، علام تحبس هذا الشيخ ؟ أنا أتحمل ماعليه فصالحنى على ماتسأل، فقال عمر: لا، إلا أن تحمل الجميع، فقال ياأمير المؤمنين! إن كانت لك بينة فخذبها وإلا فصدق مقالة يزيد واستحلفه، فان لم يفعل فصالحه. فقال عمر: ماأخذه إلا بجميع المال، فخرج مخلد من عنده ، فقال عمر: هذا خير من أبيه، ثم لم يلبث مخلد إلا قليلا حتى مات وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وقال: اليوم مات فتى العرب وأنشد:

بكوا حذيفة لا تبكوا مثله حتى تبيد خلائق لم تخلق

ولقد هم عمر أن ينفى يزيد إلى دهلك (وهى جزائر بالقرب من باب المندب بالبحر الأحمر، وكانت منفى للصوص والفساق) فصرفه عن ذلك سلامة بن نعيم الخولانى مخافة أن ينتزعه قومه.

خوف يزيد بن المهلب من الوقوع فى يد يزيد بن عبد الملك: كان يزيد بن المهلب يفرق كل الفرق من تمكن يزيد بن عبد الملك منه لأمرين: أحدهما ماقدمنا من الحوار بينهما وتوعد كل منهما الآخر.

ثانيهما — أن يزيد بن عبد الملك وسليمان كانا على طرفى نقيض فى شأن آل أبى عقيل عشيرة الحجاج الثقفى، فكان صفو يزيد بن عبد الملك إليهم يحطب فى حبلهم ويجل موضعهم ويحدب عليهم ويقيهم من كل مكروه بكل مايسعه جهده، وهم بعد أصهاره لأنه كان متزوجا ام الحجاج بنت أخى الحجاج بن يوسف.

ولا يعزب عن القارىء الكريم أن الحجاج كشر عن انيابه ليزيد بن عبد الملك واتخذه هدفا لسعايته ورماه بكل عضيهة.

ولم يزل بالوليد بن عبد الملك حتى تغير عليه قلبه وسمح له بعزله وتعذيبه واغرامه واستخراج الغرامة منه، كما عذب إخويه: اباعيينة وحبيبا، ولم ينجه منه إلا هربه واستجارته بسليمان فهو موتور من الحجاج يتمنى أن يشفى غليله من آل أبى عقيل.

فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة كان من أكبر همه آل أبى عقيل فأخذهم وسلمهم إلى يزيد بن المهلب ليستخرج منهم الأموال، فبعث إلى البلغاء من اعمال دمشق من اخذ خزائن الحجاج بن يوسف وعياله فنقلهم وما معهم إليه، وكان فيهم أخت أم الحجاج زوج يزيد بن عبد الملك، فعذبها فى سبيل المال، فأتى يزيد بن عبد الملك إلى ابن المهلب فى منزله فشفع فيها فلم يشفعه متجاهلا مكانته من الخلافة ومكانته إلى أبى عقيل منه، غير مقيم لذلك وزنا ولاحاسب لدورات الفلك حسابا، فقال له ابن عبد الملك: الذى قررتم عليها أنا أحمله، فلم يقبل منه ابن المهلب ذلك، وحمل ابن عبد الملك ما كان مقرراً عليها وكان مائة الف دينار أو أكثر وقال له يزيد بن عبد الملك: «اما والله لئن وليت لأقطعن منك عضوا» فقال ابن المهلب: «وانا والله لئن كان ذلك لأرمينك بمائة الف سيف»

لما حصل يزيد بن المهلب فى سجن عمر بن عبد العزيز لم يهله ذلك، لأنه يثق بأن عمر يتعدى حدود الله فى أمره، وقد تغير اعتقاده فيه بعد ولايته. وقد كان فى سجنه مرفها لم يعتره بسوء ولم يعمل فى جسمه سوطا ولم يأخذه بعذاب.

فلما مرض عمر بن عبد العزيز وتحدث الناس بمآبه مرت على خاطر يزيد بن المهلب تلك الحوادث مرور الخيال على لوحة السينما، واستعرض أحواله مع ولى العهد يزيد بن عبد الملك وتصور هول ما يحل به من ألوان العذاب إذا ظفرت يداه به، وما يحل به من الهوان فى يده بعد أن كان يخاطبه مخاطبة الند للند، ويستعلى عليه فى الحوار استعلاء القوى القادر على الضعيف العاجز، فأخذ يضرب أخماسا لأسداس حتى هدته الحيلة إلى أن يصنع مع عمر بن عبد العزيز ماصنعه وهو فى أسر الحجاج من الهرب، فدبر أمره وصانع الحراس وبذل لهم من الرغائب ماسهل عليهم إطلاقه

وارسل إلى مواليه فأعدوا له الخيل والركاب فى مكان واعدهم عليه ووافاهم به وولى وجهه شطر البصرة وكتب إلى عمر بن عبدالعزيز كتابا يقول فيه:

« إنى لو الله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك، ولكنى خفت أن يلى يزيد فيقتلنى شر قتلة ».

ورد الكتاب على عمر وبه رمق فقال: « اللهم إن كان يريد بالمسلمين سوءاً فألحقه به وهضه فقد هاضنى » .

مات عمر بن عبدالعزيز على أثر ذلك وولى يزيد بن عبدالملك فكان أمر يزيد بن المهلب أكبر همه فأرسل الى ولاته بالعراق يحذرهم امر يزيد ويأمرهم بالاحتراس، وأمر عدى بن أرطاة والى البصرة أن يأخذ من بالبصرة من آل المهلب، فأخذهم وألقاهم فى غيابة السجن: فيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب .

واما يزيد فأقبل على البصرة وقد أعد له عبد الحميد بن عبد الرحمن جندا يصدونه عن الطريق ويقتلونه إذا قاتل، فمر يزيد بالعذيب قريبا منهم ولم يعرضوا وجاء يزيد فى أصحابه وتلقاه أخوه محمد بن المهلب فيمن اجتمع إليه من اهله وقومه الأزد ومواليه، فصار فى جند يخشى بأسه.

أما عدى بن أرطاة فقد جمع خمسة كتائب وأمر عليها الأمراء وخندق على البصرة ، وأقبل يزيد فيمن معه لا يمر بكتيبة من كتائب أهل البصرة أو خيل من خيلهم أو قبيلة من قبائلهم إلا تنحوا له عن طريقه هيبة له حتى نزل داره ، فاختلف الناس إليه ، وأرسل إلى عدى بن أرطاة : أن ابعث إلى إخوتى وإنى أصالحك على البصرة وأخليك وإياها حتى آخذ لنفسى من يزيد ما احب .

كان هذا الأمر مقبولا معقولا ولو أن عدياً رضى به لكان الأمل فى حسن العاقبة مرجواً، ولكن عديا لم يعره أذنا مصغية وظل سادراً لا يبالى بيزيد بن المهلب .

ندع يزيد هنيهة ،ونقول: إن حميد بن عبد الملك بن المهلب أراد أن يتلافى هذه الفتنة وسعى فى إطفائها من طريق الذهاب إلى يزيد بن الوليد بدمشق، وضرع إليه فى أن يكتب بأمان يزيد بن المهلب وآله لأن فى ذلك إطفاء الفتنة والقضاء عليها قبل أن تشب عن الطوق، وكأنى بالخليفة يزيد بن عبد الملك قد أصغى إلى هذه النصيحة ومال إلى رتق هذا الفتق رغبة منه فى الترفيه عن الرعية فى بدء ولايته وأن يغضى ليزيد بن المهلب عن زلاته الماضية رجاء حسن طاعته فى مؤتنف خلافته، فكتب بأمانه وأمان آل المهلب، وأرسل كتاب الأمان على يد خالد القسرى وعمر بن يزيد الحكمى، وهذا يدل على ما عند يزيد بن عبد الملك من سماحة النفس ورجاحة العقل وحب المصلحة للرعية وقصد استصلاح المشاقين له و استخلاص طاعتهم .

ولو تم هذا الأمر لكان حسناً، ولحفظ آل المهلب ولم يستأصلوا، ولبقى لدولة آل مروان بهجتها وزينتها وعنفوان مجدها .

نرجع إلى يزيد بن المهلب نجده قد اخذ يعطى الناس قطع الذهب والفضة، ويفيض نواله فيهم

بالىمين وبالشمال، وعدى بن ارطاة الوالى لايعطى كل جندى إلا درهمين، ويقول: لايحل لى أن أعطيك من بيت المال درهما إلا بأمر يزيد بن عبد الملك، ولكن تبلغوا بهذا حتى يأتى الأمر فى ذلك. فكان تقتير عدى بن أرطاة وسماحة يزيد بن المهلب سببا فى تكثير سواد يزيد وانضواء الناس إليه، حتى كثر جمعه وصار ذا قوة لا يستهان بها، ومازالت الأمور تترقى إلى أن التقى جند الحكومة بجند يزيد فهزمهم المرة بعد المرة، ودنا من القصر فخرج إليه عدى بن ارطاة بنفسه فى جنده، فقتل عدة من فرسانه: كموسى بن الوجيه الحميرى، والحارث بن المصرف الأودى وانهزم أصحاب عدى.

فى ذلك الوقت سمع من فى السجن من آل المهلب الأصوات فحدسوا أن يزيد قد خرج وانتصر وخشوا أن يأتى بعض من فى أنفسهم حقد عليهم من أتباع عدى فيقتلهم قبل أن يصل يزيد اليهم فأغلقوا باب السجن واستعدوا للقاء من يريد بهم شرا خلفه، وكان ماحدسوه حقا، فقد جاءهم عبد الله بن دينار مولى بنى عامر، وكان على حرس عدى بن ارطاة، وعالج هو وأصحابه الباب فلم يقدروا على قلعه وأعجلهم الناس فخلوا عن السجن وجاء يزيد بالسلالم وفتح القصر ووقع عدى بن ارطاة اسيرا فى يديه فحبسه وقال: لولا حبسك أخوى ماحبستك.

رؤساء اهل البصرة: لما ظهر يزيد بن المهلب على البصرة كان كثير من رؤسائها ظاهرين بمناوأته معدين لحربه مع الأمير، فداخلهم الخوف منه فطاروا: فريق إلى الكوفة، وفريق إلى الشام، خشية أن يعتريهم يزيد بن المهلب بسوء.

عمل حميد بن المهلب فى اطفاء الفتنة: فى تلك الأثناء أحس حميد بن المهلب ـ وهو أخو يزيد ـ تحرج موقف آل المهلب وأيقن أن يزيد بن عبد الملك غير تاركه، وهو رجل فى يده أموال الدولة الأموية ورجال الأقطار الاسلامية، وأن يزيد بن المهلب لا طاقة له بحربه وأن النتيجة فى آخر الأمر هلاك آل المهلب لأنهم لايتركون يزيد فريدا، بل لا بد لهم من أن يضربوا من ورائه بسيوفهم، وان يقدموا أنفسهم وقودا فى اتون الحرب المنتظرة فعمل على تلافى الأمر، فخف إلى يزيد بن عبد الملك، وذكر له طاعة آل المهلب وبلاءهم فى خدمة دولة بنى أمية واعتصامهم بطاعة خلفائها، وأن يزيد ابن المهلب إنما ركب هذا المركب الخشن لخوفه منه، فلو بذل من الأمان ما تطمئن به نفسه لوجده سامعاً مطيعا.

وكأنى بيزيد بن الوليد قد رجا إطفاء تلك الفتنة بهذه الوسيلة، فأصغى إليه وكتب بأمان يزيد ابن المهلب وكل شىء اراده، وبعث كتاب الأمان مع خالد القسرى وعمر بن يزيد الحكمى ومعهما حميد بن المهلب الى البصرة؟

(يتلى) عبد الوهاب النجار

اعانة القضاء للظالمين على ظلمهم

لمحام معروف

قد يدهش القارىء إذا ماطلعنا عليه بهذا العنوان الذى قد يبدو غريباً ، لأن المتعارف أن وجود القضاء إنما هو لاقامة العدل وحسن توزيع العدالة بين أفراد الرعية، وليس لاعانة بعضهم فى البغى على بعض ، ولكنها الحقيقة المرة ،ولعن الله قوما ضاع الحق بينهم .

القضاة قوم من البشر لهم هوياتهم ولهم مشاربهم ونزعاتهم،قدتتناوبهم عوامل كثيرةمن: ضجر وكسل وإرهاق وعتو وادعاء علم ما لم يعلم،كما قديصيب ضمائرهم الموت،فلا يكترثون لمصالح الناس، ولايعنيهم أن يخففوا عن المظلوم وقع الظلم،ولا أن يصلوابالضعيف إلى استخلاص الحق ، فاذا انضم إلى ذلك: فقر فى العلم ، وتأذ بالخصومة ، وبلبلة فى الفكر،وزهو،كانت طامة وأى طامة ،

ولست أذهب بالقارىء بعيداً،وقضاؤنا فى مصر مصاب فى الصميم بأمراض فى إجراءاته هى أسلحة الظلم وسواعد الارهاق ، وإلا بالله ماذنبى إذا ما أخطأ قاض فى حكم تمهيدى فأظهرت لهخطأه ، يقف أمامى وقفة المتفرج وأنا أئن من وقع الظلم،يجيبنى بلهجة غير المكترث « هذا حكم تمهيدى لاأملك العدول عنه » فأذا مااستأنفت الحكم قالت لى هيئة الاستئناف « إنه حكم تمهيدى لايتقيد القاضى بنتيجته فلا بأس من تنفيذه » وجريا على الخطة فريدة فى آداب السلوك برز لنا بها هذا العصر الجديد،وهى فكرة أنه ليس من اللائق أن تكشف محكمة ثانى درجة عن خطأ قاضى محكمة أول درجة،خرج لنا عرض خطر فى أمراض العدالةوهو الرأى القائل بتأييد الأحكام التمهيدية مهما كانت خاطئة . تلك بدعة لاتستند إلى شىء من الانصاف ويعوزها المستند من القانون، ومن شأنها شل أسلحة العدالة لأنها تجعل هيئة الاستئناف آلة للتصديق على الخطأ بدلا من إزالته .

وثمة وجه آخر لهذا العمل بما يؤدى إليه إطالة النزاع وإرهاق صاحب الحق بالخسارة التى لا مبرر لها، والتى قدتنقلب فى الوقت نفسه إلى إساءة الخصم الآخر،ومن ذلك ماإذا تقرر فى الحكم التمهيدى تعيين خبير ولم يكن لهذا التعيين من مبرر،فان صاحب الدعوى يتكبدمصاريف الخبير ويطول أمدالنزاع بينهوبين خصمه ، وهوإذا ماتعثر فى إجراءاته فرت الدعوى بالاستئناف واعيدت الى الدرجة الأولى مؤيداً فيها الحكم التمهيدى ونفذالخبيرمأموريته ودفع صاحب الدعوى

اتعابه ،ثم انكشف الأمر اخيراً فوجد القاضى أن لاحاجة لتقرير خبير و ان فى الدعوى مستندا قاطعا فيها، فان الحكم مهما كان عادلا إنما يأتى متأخرا وهو كالعلاج الذى يقدمه الطبيب لمريضه الذى هو فى حالة النزع الأخير، فلاهو بالحكم الذى اقام عدلا وقطع خصومة، ويستأصل اسباب النزاع بدلا من ان يقضى عليها وإنما هو بالحكم الذى يجعل الحق فى ايدى المقادير ويثير الخصومات، ويوئس صاحب الحق من الحصول على حقه بما اقامه فى طريقه من العثرات،وما كبده من عناء على غير طائل،وما عرض به امواله للضياع بوقوفه مطالبا لمفلس او المتعمد للافلاس مكنه طول امد التقاضى ولجاجة الخصومة من ان يخرج عن الباقى من ملكه تعجيزاً لخصمه وإذهابا لأثر الحكم اذا ماصادف الحقيقة .

فهل بعد هذا كله لا يكون القائل محقاً فى قوله بأن القضاء يعين الظالم على ظلمه بالتقيد بالأحكام التمهيدية والتشبث بتنفيذها رغم ظهور خطئها ؟

وثمة عرض آخر من اعراض مرض العدالة بين ايدى القضاة ، ذلك فكرة اخراج القضية من ايديهم بأى حكم لتامس حجزها للحكم فى دفع ظاهر البطلان وفرحهم بحجزها للحكم فى دفع من هذا النوع،حتى تحتسب انها قضية فصلوا فيها تظهر بارزة فى احصائيات الجلسات ، ويمسى معها صاحب الحق مأخوذا بمانكب به حقه من تسويف ومطل وهى عرض من اعراض القضاء الميكانيكى الذى اتجه التشبث بالاحصائيات بصرف النظر عن نوع القضايا وماتستلزمه من مجهود وتصور بعضهم ان لنتيجة الاحصاء اثراً فى الترقية وبلوغ المرام واندفاعه تحت هذا الاعتقاد الى التشبث بتأجيل القضية للحكم فى دفع شكلى ظاهر البطلان .

وهل هذه التشبث شيء آخر غير اعانة الظالم على ظلمه؟

وإذا هانت نكبة العدالة فى هذه الأحكام وامكن احتمالها فما اظن أن النكبة تحتمل إذا ماأصيب المنطق والتفكير السليم بأصدار احكام يحار الناس فى تكييفها وفهم مدلولها والمراد منها كأن يذكر بعضهم فى كلمة « وحيث ان المحكمة لاترى محلا للحكم بالنفاذ مع شمول الحكم بالنفاذ» وهى عبارة لايمكن لعقل سليم على اى وجه قلبها ان يخرج منها بمعنى يسيغه العقل .

وثمة مثال آخر وهو ان يتشبث حضرة القاضى بالمطالبة بالدليل من شخص اعترف خصمه له بدعواه ، كأن يقرر حضرة القاضى بتعيين خبير لتحرى ماإذا كان العقار قابلا للقسمة أو غير قابل لها فى وقت يقرر فيه الخصمان بأن العقار غير قابل للقسمة وتقطع الأدلة بصدق ماقرراه. هذا بعض من كل ،وقل من كثر مما يصادفه المتقاضون وما تحرج به صدور المظلومين من احكام القضاء،رأينا إثباته فى هذه العجالة على ان نردفه غيره إذا ماطلب الينا المزيد .

ابو الفضل

الوحدة العربية والأدب القومى

نسمع من المجددين كل حين دعوة إلى إيجاد أدب قومى ، يحدثنا عما يدور فى أفئدتنا من خواطر وآمال ، ويصف لنا البيئة التى نعيش فيها ، ونحيا بينها ، ويرسم لنا بريشته طبيعتنا المشرقة الزاهية . ونسمع كذلك صوت الوحدة العربية يدعو مصر إلى تبوؤ منصب الزعامة للبلاد العربية الشقيقة ، ويخيل بادىء ذى بدء أن الدعوتين متنافرتان ، وأن تحقيق إحداهما يودى بالثانية ، ولذلك نرى فى الأقطار العربيـة المجاورة استنكاراً لفكرة الأدب القومى حرصاً على الوحدة والجماعة . وأريد فى هذه الـكلمة أن أبين بجلاء ووضوح تضامن الفكرتين وتآزرهما معاً على إنهاض البلاد العربية والسير بها إلى الأمام مع التكاتف والارتباط .

نرى الأدب القومى لا يقصد أكثر من أن يتحدث المرء عما يجول بقلبه ، ويحيط به من بيئة طبيعية أو اجتماعية ، ولا يرمى إلى أن نعيش فى معزل عن جاراتنا اللاتى تتصل بهن ، وتربطنا معهن: وحدة الآمال ، ووحدة اللغة ، ووحدة الدين . أما هؤلاء المغالون الذين يدعوننا إلى أن نتغلغل فى آدابنا حتى تتصل بالآداب الفرعونية ، وتكون معيناً لآدابنا ، فانهم لا يستطيعون أن يوضحوا فكرتهم ، وأن يفهمونا ماذا يريدون بالرجوع إلى الآداب الفرعونيـة . ففكرتهم غامضة لا تصادف المجيبين .

إذن : فالأدب القومى يطالبنا بأن نتحدث عما نشعر به ويخالط حسنا ، وينفر من الخداع والرياء والتحدث عن بيئة لا تمت إلى بيئتنا بصهر أو نسب . والآن : بعد أن ذكرنا غاية الأدب القومى — كما يفهمه دعاته ، وكما يفهمه الباحثون — نتقدم لنرى : أتنافيه الوحدة العربية ، أو تمده بوسائل القوة والنهوض ؟ وإذا تحدثنا عن الأدب القومى ، بدا لمخيلتنا أدب يعـبر عن أمانينا ، وآمالنا ، وعواطفنا ، ومشاعرنا ، ورأينا خلاله نوراً وإشراقا ، وقوة حافزة لنيـل تلك المـآرب والرغبات . فهل ترون من ذلك إلا أن الوحدة العربية التى تجول فى نفوسنا ، ونرجو من الأيام نيلها ، لا تنافى الادب القومى ، ولا تعترض سبيله.. بل من الأدب القومى ، ان نذكر الوحدة وأن نتغنى بها ، وندعو إليها ، فهى أمنية غالية لدى أفئدتنا ونفوسنا ، ولا تطالبنا الوحدة العربية بأن نتحدث عن عواطفنا كما كان يتحدث العرب الاقدمون، فانا لا ننكر أثر التطور الذى ألم بكل شىء فى الحيـاة ، ولا تطالبنا كذلك بأن نجعل ادابهم المثـل الأعلى لآدابنا ، فالمثل العليا تـكون دائماً فى المستقبل ، وإنا لنحمد للعرب ما خلفوه لنا من آثار هى أحاديث نفوسهم، ورسم بيئتهم ، فاستطعنا أن نراهم خلال شعرهم النابع من طبيعتهم بلا تـكلف أو شذوذ .

لا تطالبنا الوحدة العربية بأن نجعل آدابنا سائرة على وتيرة الأدب العربى القديم ، ذلك الأدب الذى كان يعبر عن نفوس : محدودة الآمال ، قليلة الرغبات ، وبيئة متشابهة متشاكلة ذات نغمة موسيقية واحدة . ولكن التقدم الذى وصلنا إليه ، والذى نبغى الوصول إليه ، يدعونا إلى أن نسير بآدابنا خطوة واسعة إلى الأمام ، ولا يضير الوحدة فى شىء تغنينا ببيئتنا، وتحدثنا عن حياتنا ، كما لا يضيرها أن نشدو دائماً بذكر أجدادنا ، وما أقاموه فى البلاد من حضارة واسعة ، هى أم الحضارات ، وما شيدوه تحت الشمس من ملك ثابت الدعائم ، وطيد الأركان ، بل إن ذكر ذلك مضافاً إليه مجد العرب ، ودينهم ، وما سنوه من حكمة ، ومدنية، كفيل بأن يلهب النفوس ، ويحيى الفؤاد والوجدان . ولا نشط للوحدة من ذكر ما كان لنا من حضارة ثابتة ، سادت العالم ، وارتفعت إلى النجوم . وأحسب ان الداعين إلى الوحدة العربية ، لايفكرون فى ان ينسى المصريون تاريخهم القديم ، فتاريخنا قطعة من فؤادنا لا نستطيع تركه ولانسيانه ، وكم هو عظيم مجيد أن يكون تاريخنا حافلا بمجدين، ساطعاً بشمسين : مجد الفراعنة ، ومجد العرب ، وشمس هؤلاء وأولئك ، فيزيدنا هذا : إقداما ، وعزماً ، وهمة وثباتاً .

•

يعز على الجارات ان يتحدث أدباء مصر عن الأدب القومى ، حاسبات أنا نضحى بعربيتنا بل ونغض من شأن العرب ، ونحمل فى انفسنا الموجدة والشنآن للفاتحين الذين ادخلونا ضمن الامبراطورية العربية ، وفاتهم أن مصر عربية بدينها ، عربية بلغتها ، ولا زالت اللغة والدين أكبر الروابط بين الأقطار الشقيقة .. ثم هناك الآمال والآلام التى وجدت بين قلوبنا ، وآخت إحساسنا وشعورنا ، واتحاد الثقافة الأدبية التى نستقى منها، واتصال تاريخنا بهم فى القديم والحديث . والقول الجلى: إن مصر لا تستطيع أن تنسى جلال الوحدة العربية ، وإنها تمد يدها ، مؤمنة من كل قلبها ان سعادتها ونجحها ، لا يكونان إلا إذا شعرت دائماً بأنها من البلاد العربية الصميمة ، وأن قلبها ينبض بحب العرب مؤسسى : لغتها ، ودينها ، وهى مع إيمانها بذلك، الايمان كله ، واطمئنانها إليه ، لا ترى فى دعوتها إلى ادب قومى ، خروجا ، ولا شذوذاً على الجماعة والوحدة . فلا زالت الآداب العربية أساس أدبنا ، ومنبع ثقافتنا ، ولا نريد أن نقول إلا أن هذه الآداب كانت تعبر عن نفسية الأمة العربية فى عهد مضى ، لم نكن قد وصلنا إلى ما وصلنا إليه فى عهدنا الحاضر من نهضة شاملة لكل فروع الحياة ، ولأن الزمن قد تطور ، يجب على الآداب أن تتطور ، لتسير جنباً إلى جنب مع حركة الحياة الدائمة النشاط . ولا نعنى ان تلك الآداب القديمة قليلة الجدوى ، أو عقيمة لا تنتج ، بل هى لا زالت أساسا نبنى عليه ، ونشيد فوقه الدعائم، ولكنا نرى ان تلك الآداب كانت المثل الأعلى لتلك الأزمان السالفة ، صورت لنا الحياة فيها ، وحدثتنا عما كان يجول بقلوبهم يومذاك ،

ومن العبث إنكار ما صرنا إليه ، من حال يخالف ما كنا عليه، فاذا أبينا إلا أن ننكر اثر الزمن ، وتقلب العصور ، ولم نفكر فى السير بأدبنا إلى الرقى فانا سوف نصبح مقلدين لمن سلفوا ، لا نستطيع التعبير عما نحس به ونشعر ، فينهار ادبنا وتعفيه الأيام .

وإذن : فالدعوة إلى الأدب القومى إنما هى فى الحقيقة دعوة إلى ان نتبع الزمن ونسير معه ، وأن نصدر عن نفوسنا ، وقلوبنا ، وآمالنا الكبيرة ، واماننا المشتركة ، فلايحسب دعاة الوحدة العربية ان المجددين يضمرون السوء لفكرتهم ، او يريدون نبذها وهدمها ، بل هم بدعوتهم إلى ادب قومى يعملون على إنجاحها ، وإنهاضها . وإنا لانحسب أولئك الذين يدعون إلى الأدب الفرعونى القديم ، يقصدون أن تنبذ مصر عربيتها ، بعد ان تغلغلت تلك العربية فى صميمها ، وبعد ان تشبعت ثقافتها بالثقافة التى جاء بها دين العرب ولغتهم ، ومن اى ناحية واجهت مصر وجدت العربية تطالعك منها.

بيد أنك تدهش لهؤلاء المغالين الذين يريدون نبذ العرب والعربية مروجين للون من الأدب لا نستطيع فهمه ، ولا إدراكه ، ومروجين للغة العامية على حسبان انها لغتنا القومية ، وإنا لا ننكر خطر تلك الفكرة المتطرفة التى تدعونا إلى نبذ تاريخ ملىء بالمجد مفعم بالجلال ، ثم نسير فى الحياة على غير هدى ولا منار .

أجل ، تلك هى الفكرة الخطيرة التى يقابلها المصريون بالاعراض والصدف ، لأنهم يعرفون مدى ما تسعى إليه ، من هدم لتلك الروابط المتينة التى تربط بيننا وبين الشقيقات ، فنصبح بمعزل عن العالم العربى الحبيب . وهل يحسب أولئك الداعون ان اللغة العامية التى تختلف الاختلاف كله فى كل قطر من الأقطار ، حتى ليتعذر على أبناء القطر أن يحدثوا أبناء الآخر بغير اللغة العربية الفصيحة التى حفظها القرآن على وجه الزمان ، هل يحسبونها إلا داعية الانحلال ، وآية الحبوط ؟ ومن هنا يبدو لنا التفكك والتخاذل، إذا جعلنا اللغة العامية لغة آدابنا القومية ، على أنها ستبيد أمام تيار العلوم الجارف يوم تصبح اللغة العربية لغتنا القومية ولغة الفن والتحادث... ونضيف إلى ذلك ان العامية لا تستطيع القيام بحاجاتنا ، ولا التعبير عن أفكارنا وإحساسنا ، فلنبعد تلك الفكرة العقيمة التى تودى بماضينا وحاضرنا ، وتفصم تلك الروابط القوية ، بين مصر العربية ، وجاراتها الشقيقة ، ولا خوف بعدئذ على الوحدة العربية من فكرة الأدب القومى ، لأنها فكرة ترمى إلى التطور ، وتدعو إلى السير مع الزمن ، كيفما سار، وبعبارة اخرى: هى فكرة ترمى إلى احترام القديم والبناء عليه ، من غير اتخاذه مثلا أعلى ، وجعل الأدب وسيلة للتعبير عن شعورنا ، وإحساسنا ، وتصوير بيئتنا ، ومايحيط بنا ، ويغمر جونا .

كما أريد أن أشير إلى أن استثارة القديم ، والتحدث عن آداب الفراعنة لاتعنى نبذ العربية

بل هى تحدث بماض يحفزنا الى مشابهة الاولين ، ومجاراتهم ، وتغن بسالف باهر ، هو ذخيرة الامم الناهضة ، ولا يقصد دعاة الادب القومى إلى ان يبثوا فى نفوس النشء مايقصده المغرضون، من إهمال التاريخ العربى ، بدعوى أنا نمت إلى (إيزيس واوزوريس) . وكل ما يدعون اليه هو ان يعرف الأبناء ما كان للاباء من مجد قوى متين، حتى يعلموا أنه من العار عليهم التفريط فيما لهم من حضارة ، وإضاعة ماشادوه من مدنية ، لايهتدى إلى سر بقائها الخلود .

فليدعنا أولئك الذين يزعمون ان فى فؤاد مصر جرحا من العرب، تريد أن تثأر به بعد أن أضاع الفاتحون استقلالها ، ولعبوا بحريتها ، ليدعونا وليثقوا بأنا سنظل عربا نشيد بمجدهم ونرفع من ركانهم، وليثقوا بأن الوحدة العربية سوف تبرز الى عالم الوجود، ويشد من أزرها الأدب القومى النزيه.

من ذلك كله نستطيـع ان نخرج بنتيجة واحدة ، تلك هى : أن الوحدة العربية لا يحدها ويمنع نهوضها فكرة الادب القومى ، وإنما الحذر والخوف من أولئك الذين يعملون على جعل اللغة العامية ، لغة : فن وعلم ، على انهم فى محاولتهم فاشلون .

وإنا لنعجب العجب كله لتلك الدعوة التى مبعثها ـ بلا ريب ـ نوع من حب المخالفة من غير ان يكون الداعى إلا اتباع الهوى والشقاق ، ولو علموا ان اللغة العامية ليست إلا لهجة من اللهجات التى تفرعت من اللغة العربية ، وعلموا ان كل مانستطيع التحدث عنه بالعامية فى قدرة اللغة العربية ان تمدنا به ، وبخير منه ، وعلموا ان الفن والجمال إنما هو بين ثنايا العربية الفصيحة لآبوا موقنين بصحة ماذهبنا اليه، وكفوا عن دعايتهم التى لاتجد أذنا تسمع ، او قلباً يطيع .

لاخوف على الوحدة إلا من أولئكم الدعاة الذين يهدمون ولا يبنون ، ويدعوننا إلى ترك لغة مليئة بعلم كان ينبوعا غزيراً استمد منه الغربيون حضارتهم ومدنيتهم، أما دعاة الأدب القومى فلا خوف على الوحدة منهم ، لأنهم قوم مجددون ، يريدون أن يروا آداب لغتهم قوية ناهضة فهم الغيورون على العربية ، العاملون على إنهاضها ، العالمون بأن اللغة يجب أن ينالها من التطور ماينال كل موجود ولايريدون أكثر من ذلك ، وإذا نحن رجعنا إلى الحقيقة وجدنا أنفسنا مسـوقين كرها إلى أن نسير فى ذلك التيار الجارف الذى يدعو كل مافى الكون إلى الامام والمثل الأعلى ، فلتتقدم مصر إلى الامام حافظة لعربيتها متضامنة مع شقيقاتها بأدبها القومى ، وثقافتها المستمدة من تاريخها الناصع البياض .

ذلك ماأردت أن أتحدث عنه مبينا وجهة نظر دعاة الادب القومى ، تلك الفكرة التى ظهر لنا جليا أن الوحدة العربية تسير معها ، وتهتدى بنورها ، وإنا لانرفض يوما ما أن نمد يدنا الى الاقطـار المجاورة التى لها عرق قديم فى العربية فنتآخى بعد أن وحدت بيننا الرغبات والآلام ، والثقافة والتاريخ ، فرحبا بالوحدة ، ومرحباً بالمجددين فى الآداب الذين يأنفون أن يروا لغتهم ضعيفة واهنة القوى ، بينما آداب اللغات الأخرى آخذة فى سبيل النهضة والتقدم، مواتية لهم فى كل مايأتى به الزمن من جديد فى الكشف والاختراع؟

احمد احمد بدوى

الصفات الوراثية والصفات المكتسبة

بقلم الاستاذ حامد عبد القادر
أستاذ التربية وعلم النفس بدار العلوم وكلية أصول الدين

قدمنا لك الكلام عن معنى الوراثة وعن قوانينها ، والآن نود أن نتكلم عن أمرين مهمين: أولهما حقيقة الصفات الوراثية وعلامتها وأقسامها، وثانيهما الصفات المكتسبة وعلامتها، وهل تصبح وراثية بأى حال من الأحوال؟

ولنبدأ بالكلام على الأمر الأول فنقول: إن الصفات الوراثية أى التى تنتقل من الأصل لفرعه هى الصفات نفسها التى أخذها ذلك الأصل عن أصوله السابقين بطريق الوراثة ، فعلامة الصفة الوراثية أنها تكون هى الأخرى موروثة عن أصل سابق، فالانسان ينقل إلى أولاده من الصفات ماورثه هو عن آبائه وأجداده.

والصفات الوراثية كثيرة لا تكاد تحصى، ولكن من الممكن حصرها فى قسمين رئيسيين هما :

ا ـ صفات عامة: وهى مايرثها الفرع باعتباره فردا من أفراد جنس أو نوع أو هيئة اجتماعية وهذه إما :

١ ــ «جنسية» وهى مايرثها الفرع، باعتباره نباتا أو حيوانا كالنمو بطريقة خاصة والتأثر بالمحيطات تأثراً محسوسا يصحبه تغير فى السلوك، أو طريق النمو بالنسبة للحيوان والنبات، وكالحس الخاص والحركة الارادية بالنسبة للحيوان.

٢ـ وإما «نوعية» وهى مايرثها الفرع باعتباره فردا من افراد نوع معين أو فصيلة خاصة كالسير على قدمين مع استواء القامة ، وكالنطق ، والغرائز الخاصة بالنسبة للانسان .

٣ـ وإما «شعبية» وهى الصفات التى تتميز بها الشعوب بعضها من بعض : كالصفات الخاصة بالشعوب الآرية ، وكمميزات الشعوب السامية ، وخواص الشعوب الافريقية وهكذا.

ب ـ وصفات خاصة أو فردية: وهى مايرثها الفرع باعتباره فرداً من أفراد أسرة خاصة ويدخل فى هذه : ــ

١ ـ الصفات التكوينية أو الشكلية، وهى التى ترجع الى التكوين الجثمانى ، أو شكل الاعضاء كطول القامة أو قصرها ، ولون الشعر وشكله ، ولون العين وشكلها ... ويدخل فى هذا النوع العيوب الجسمية كزيادة عدد الأصابع ، وقلة عدد سلامياتها، وتجعدها ، والتصاق بعضها ببعض.

٢ ـ الصفات الفسيولوجية أو الوظائفية، وهذه الصفات فى الحقيقة ترجع الى الصفات التكوينية وتتصل بها اتصالا تاما، إذ أن تكوين العضو ووظيفته مرتبطان تمام الارتباط، ويدخل فى هذا النوع طول العمر وقصره ، والميل الى السمن أو النحافة ، والصلع أو غزارة الشعر ، وكثرة النسل أو قلته... فمن المشاهد أن النساء فى بعض الأسرات يلدن توءمين أو ثلاثة أطفال معا .

٣ ـ الميول الباثولوجية أو المرضية، ومعنى ذلك أن بعض الامراض وراثية لاسيما ما كان منها ناشئا عن خلل فى تكوين الأعضاء أو وظائفها ، ويقول بعض العلماء: إن السرطان والسل الرئوى من الأمراض الوراثية التى تنتقل من الأصل لفرعه كما هى، ولكن معظمهم يميل إلى أن مايرثه الفرع ليس المرض نفسه، ولكن ضعف المقاومة الذى يجعله عرضة للاصابة بسرعة.

٤ ـ الصفات النفسية أو العقلية، فما لاشك فيه أن الطفل يرث عن آبائه صفات نفسية وميولا خاصة واستعدادات وملكات وأمزجة تشكلها التربية والبيئة أو تحددها أو تميتها، وقد أثبتت التجارب أن الأمزجة والأمراض العصبية: كضعف العقل والصرع والتشنج العصبى والعته والجنون كلها أمراض وراثية، لا من حيث هى ولكن من حيث الميل اليها أو إلى ما أشبهها، فقد لوحظ أنه يوجد فى الأسرات التى يكون فيها الضعف العقلى وراثيا أشخاص آخرون يصابون بأمراض عصبية متعددة: كالصرع والتشنج العصبى وإدمان السكر وتناول المواد الكحولية.

الصفات المكتسبة

الآن وقد انتهينا من الكلام على الصفات الوراثية نريد أن نعرف معنى الصفات المكتسبة ثم علامتها ثم نبحث فى هل تصبح وراثية بحال من الاحوال ؟

تعريفها : ومن الممكن تعريف الصفات المكتسبة بأنها صفات جسمية أو عقلية أو خلقية يكسبها الفرد فى حياته بسبب تربيته تربية خاصة أو نشأته فى بيئة خاصة .

علامتها : ومن ذلك يعلم أن الصفات المكتسبة ترجع إلى التربية والبيئة لا إلى الوراثة، فعلامتها إذن أنها لا تنتقل من الاصل الى الفرع بالوراثة .

سببها : ويفرق العلماء بين الصفات الوراثية وبين الصفات المكتسبة بأن السبب فى الاولى يرجع الى كيفية تكوين خلية التناسل كما ذكرنا، أما السبب فى الثانية فيرجع إلى المؤثرات الخاصة الخارجية التى تؤثر على الفرد أثناء حياته الخاصة : فالسبب فى الاولى داخلى، والسبب فى الثانية خارجى .

أمثلة لها : وللصفات المكتسبة أمثلة كثيرة نذكر منها :ـ

١ ـ صفات جسمية : مثل فقد أحد الاطراف أو إحدى الحواس أو الاصابة بمرض جثمانى

أسباب طارئة، أو الاصابة بجرح بليغ يبقى أثره على البشرة ، أو التواء العمود الفقرى بحكم المهنة، أوعجزعضو من الاعضاء عن القيام بوظيفته لاهماله .

٢ ـ صفات عقلية : مثل اعتناق ديانة خاصة أو مذهب سياسى خاص،أو تعلم لغة من اللغات، أوالبراعة فى علم أو فن، أوالقدرة على التفكير الحسن بطريقة خاصة،أوفى أوقات خاصة.

٣ ـ صفات خلقية : مثل حسن المعاملة ودماثة الاخلاق وترك المشروبات الروحية ،ومثل التدخين، والميل الى الكذب،وحب الايقاع بين الناس، ورغبة التسلط وغير ذلك من الصفات التى من السهل معرفتها.

هل تصبح الصفات المكتسبة وراثية ؟ هذه مشكلة عويصة متشعبة النواحى ملتوية الطرق، اختلف فيها العلماء من عهد افلاطون الى عصرنا هذا : ففريق منهم يقول ، إنها تصبح وراثية،وآخر يقول بخلاف ذلك،وثالث يقول إن بعضها ينتقل بالوراثة والبعض الآخر لا ينتقل.

والظاهر أن افلاطون كان يميل إلى الرأى الاول إذ هو يقول فى الجمهورية :

« وقلت أيضاً: إن المجتمع إذا أسس على أساس متين وبدأ الحياة باتقان وإحكام ، فأنه يسير فى طريق التقدم بقوة متجمعة مثل قوة العجلة المتحدرة ، فان التربية القويمة والعناية التامة تغرس فى المجتمع قوى صالحة ، وهذه القوى المحمودة التى أساسها التربية تستمر فى طريق التقدم، وهذا التقدم يؤثر فى التناسل الانسانى كما يؤثر فى التناسل الحيوانى.

ومن ذلك يتبين لك أن افلاطون كان يقول بانتقال الصفات التى يكتسبها الآباء بالتربية الى ابنائهم ، وليس معنى هذا إلا أن الصفات المكتسبة تصبح وراثية على مايفهم بعض الناس من عبارة افلاطون السابقة .

ولكنى أميل إلى أن أفهم من هذه العبارة معنى آخر:هو أن المراد هو الوراثة الاجتماعية لا الوراثة الفردية،إذ أنه لا خلاف فى أن صفات المجتمع ومميزاته تنتقل من السلف إلى الخلف عن طريق الوراثة الاجتماعية التى سيأتى الكلام عليها ، وإنما الخلاف هنا فى الوراثة الفردية فليس ما قاله افلاطون حجة على أنه كان يقول بانتقال الصفات المكتسبة من الأب لابنه على سبيل الوراثة .

وعلى كل حال، قد ظل الناس يفهمون عبارة افلاطون على ظاهرها ويعتقدون أن الصفات المكتسبة تصبح وراثية من غير بحث حقيقى فى هذه المشكلة حتى جاء القرن التاسع عشر الذى هو قرن العلوم والمباحث العلمية ، فأخذ العلماء يبحثون الموضوع بحثا علميا جديا لاسيما أثناء الخمسين سنة التى تلت ظهور نجم (دارون) فى أفق العلم، فتشكل السؤال بشكل آخر ووضعت له صيغة جديدة بيولوجية وهى : —

هل التغيرات التى تحدثها البيئة فى وظيفة من وظائف أعضاء الجسم تؤثر فى خلايا التناسل لدرجة أن هذا التغير ينتقل إلى النسل بطريق الوراثة ؟

ويؤخذ من أقوال دارون أنه كان يميل إلى الاجابة عن هذا السؤال بالايجاب، على الرغم من أن السؤال لم يوجه إليه ولا إلى معاصريه بالصيغة الصريحة السابقة، وقد تبعه فى ذلك (هيكيل) و (سبنسر) و(آيمر) و (كوب) وعلى الأخص (لامارك) أماغيرهم من علماء البيولوجيا (كفرنسس كالتهن)و(كارل بيرس)وعلى رأسهم (ويزمان) فانهم أجابوا عن السؤال بالنفى.

ولم يصل علماء العصر الحاضر إلى جواب صريح عام عن هذا السؤال، فمعظمهم يتوقفون ولا يعممون، بل يقولون: إن بعض الصفات المكتسبة قد تصير وراثية والبعض الآخر لايصير وراثيامطلقا.

فمن تلك الصفات المكتسبة التى قد تنتقل بالوراثة يمكن أن نعد حدوث الشلل أو الانقراض للأعضاء التى لافائدة لها أو التى لاتستعمل، والعمى الذى يحدث لمن يسكنون الكهوف، أو يعيشون تحت الأرض فى أماكن مظلمة، وتضاؤل فكر الانسان المتمدن، وضعف الحواس بين الأوربيين، ومن يسكنون المدن، وضعف البصر بين صناع الساعات والمرصعين، وقرب النظر بين من يسكنون المدن، والتشنج العصبى، وحالة الجنون، كل هذه يقول العلماء إنها تنتقل بالوراثة، ولكن موقفهم فيها ليس موقف اليقين، ومن الصفات المكتسبة التى لاتنتقل إلى النسل بالوراثة مطلقا ثقب الأنف والأذن وخلع القواطع وبرد الأسنان والطهارة وانتفاخ باطن الرجل وتدقيق الأقدام كما تفعل الصينيات.

وكذلك نرى أن اللغات لا تنتقل بالوراثة: فالعربى لايرث الميل للتكلم بالعربية، وإنه ليتعلم الفرنسية ويعرفها معرفة جيدة إذا نشأ بين الفرنسيين، وكذلك لايعد الأقطع أقطع ولا الأعمى أعمى ولا الأعور أعور.

والرذائل لا تنتقل بالوراثة إلا إذا كانت ترجع إلى خلل فى المخ أو المجموعة العصبية: كالتشنج العصبى والصرع حتى فى هذه الحال لاينشأ الأطفال مثل آبائهم فى تلك الصفات بعينها، ولكنهم يأخذونه عنهم ميلا نحوها وسرعة التأثر بأسبابها، كما أن الفضائل لاتنتقل إلى الأولاد بالوراثة باعتبارها فضائل ولكنها قد تنتقل اليهم بطريق غير مباشر إذا حافظ الآباء على قواهم العقلية، فهذا يؤدى إلى أن أولادهم ينشأون أقوياء الجسم والعقل قادرين على مقاومة الأمراض الجسمية والعقلية، وربما يفسر ذلك ما ذكر فى التوراة من أن ذنوب الآباء تقع على الأبناء وهكذا، وربما يكون معنى قوله تعالى « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» اتركوا الأعمال السيئة والجرائم القبيحة التى قد تؤدى الى عموم المصيبة وانتقالها إلى غيركم من أبنائكم وأحفادكم، إذ أن مدمن الخمر لايجنى على نفسه فقط، ولكنه يجنى على أولاده وأحفاده وهكذا.

ومن الممكن أن نلخص الموضوع كما يأتى:

(البقية على الصفحة رقم ١٢٢٩)

الادب الجاهلى

ألنا أن نطمئن اليه ندرسه ونرويه؟

إن لنا أن نطمئن

للأستاذ السباعى السباعى بيومى
مدرس الادب العربى بدار العلوم

كانت العرب فى جاهليتها أمة فصاحة وكلام ولسن وبيان ، لامطعن هنا لطاعن ولا جدال، ساقهم إلى ذلك فطرة فطروا عليها من صفاء خاطر وذرابة لسان ، وحفزهم اليه طبيعة عيش اقتضت منهم أن يتغنوا ويرجزوا ، ويتفاخروا ويتعاكظوا ، حتى كان الكلام بضاعتهم النافقة، بهتعمر أسواقهم، ويتناقله عنها حداؤهم وركبانهم،فيدوى فى أرجاء جزيرتهم دويا تهتز به رمالها، ويطرب له كل ذى حياة يعيش فيها ، ثم لايلبث أن تضيق به جوانبها فاذا هو قد جاوزها إلى الامم الأخرى ، وقديما كان لكل أمة سمة تعرف عنها فى غيرها، وسمة العرب الكلام.

كان طبيعيا إذن أن تقول العرب ،وأن تكثر من القول ، وأن يتناول ذلك عصوى الأدب اللتين عليهما نهض من نثر وشعر ، كل فى الغرض الذى من أجله كان وله درج ، ولكل مقام مقال . . . وكان طبيعيا مع هذا أن يتناقل السامعون كلام القائلين خلفا عن سلف ، إبقاء للأغراض التى قيل فيها ، ومحافظة على المآثر التى سجلها ، فاذا ما ضممنا الى هاتين طبيعتين أخريين : هما القدرة الفائقة التى كانت معروفة للعرب على الحفظ واعتزاز كل قبيل بمواد حسبه ومفاخره، ضنا بها أن تدول ، مضافا اليهما ماكانوا عليه جميعاً من أمية جعلت دفاترهم رءوسهم ودواوينهم حفظ أقوالهم ، كان لنا أن نطمئن إلى أن هذه المناقلة الكلامية تبقى مابقيت هذه العوامل ذات كون وثقة وتأييد،حتى يطرأ على العرب مايغير هذه النواميس ويطبعها على غيرها ، وإن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ولكن شيئا من ذلك لم يكن حتى جاء الاسلام .

جاء الاسلام والجزيرة العربية تدوى دوى النحل قد ضل، غير أنه بكل مأثور من القول اغتر به حافظه وحرص عليه سامعه الى درجة لم يلههم عنها الاسلام بحدثه الأجل ودهشته العظمى ، فاستمروا من بعده طويلا يعقدون عكاظهم ، ويسترسلون فى مفاخراتهم ومنافراتهم ، وهل كان الاسلام إلا متحديا لهم فى بابهم،ومنازلا إياهم من واديهم وقد جعل آيته الكبرى القرآن الكريم، يساجلهم فى الفصاحة ، ويحاجهم بالبلاغة ثلاثا وعشرين سنة حتى امتلك عليهم ناصيتها واستل من أيديهم زمامها فألقوا اليه قياد النثر ، وعكفوا هم على الشعر ؟ وهذه احدى

الدواعى التى جعلت مأثور الشعر أكثر من مأثور النثر كما سنذكر فى محا كمتهما قلة وكثرة إلى الطبيعة بعد .

قد يقال: كان للاسلام أن يغطى على القديم ، ويخذل الناس عن روايته ، ولكن كيف وقد أودع تعاليمه وأحكامه كتاب الله وهو الذروة فى البلاغة ، وحديث رسوله وهو المقفى له من بعده ، وليس من سبيل إلى استمرار فهمهما والحرص على عدم استغلاق معناهما إلا برواية لغة العرب والمحافظة على تفهم مأثورها ، وهذا لعمرى داع دينى دعى إلى الرواية والمدارسة منذ فجر الاسلام ، وناهيك بالوازع الدينى وبخاصة فى ذاك العهد من حاث للهمم إلى العمل ، ونائل من النفوس مكانة التقديس والاجلال .

حرص المسلمون منذ جاء الاسلام على أدبهم حرصهم على دينهم، وهاهو ذا عبد الله بن عباس رضى الله عنه فى تفسيره القرآن الكريم كان يجلس لدراسة الأدب وفى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتضرب اليه أكباد الابل من أقصى الجزيرة وأبعد منه لسؤاله عن معانى كثير من مفردات القرآن ومطالبته أن يحتكم فى معناها إلى المأثور من كلام العرب فيروى فى ذلك الكثير من الأشعار، وما بغائب عنا ما كان منه لنافع بن الأزرق أحد رؤساء الخوارج إذ ذاك فى هذا الباب ... من ذلك كانت مذاكرة للادب القديم على عهد الخلفاء الراشدين بل وبألسنة بعضهم ، ثم حذا حذوهم فى هذا ـ وبشكل أوسع دائرة وأبعد مدى ـ ملوك بنى أمية ، فكانت مجالسهم مثارا للأدب يسوق إليه الاستمتاع واللهو والتسلى والقصص أو المفاخرة والمنافرة والخصومة واللدد إلى ما كان قائما بجوار هذا فى البادية مما استمر تظهر صوره بعكاظ طويلا ، وبمربد البصرة الذى خلفها، او ركدت ريحها من بعد ، بل وبسائر المجالس والمنتديات ، ومن هنا نشأت الرواية بالمعنى الاصطلاحى وكثر الرواة ، ولم يكد كاهل هؤلاء يثقل بالحفظ والتعليق حتى انتشرت الكتابة ، وكان التدوين فرفع عنهم ما أثقلهم وجعلهم يوجهون جهودهم إلى ماصمدوا له من البحث والتحليل .

هذه طريق لا عوج فيها ولا أمت درج فيها الأدب الجاهلى حتى وعته بطون الكتب، فاذا بالكم الذى وصل الينا خاضع فى مقاديره لما يقتضيه العقل وتتطلبه سنة البقاء : فالشعر وقد صار هم العرب وحده لما تقدم من غزو القرآن للنثر غزوة قللت من شأنه وصرفت الأذهان عنه — قد حفظ منه أكثر مما حفظ من النثر الذى درس معظمه قبل أن يتصل بطبقات الرواة وإلا وصلنا منه ما تنفد دونه الصحف وتجف المحابر لأنه للجماعة ، والشعر لأفراد، على أن من الأسباب الداعية إلى قلة مأثوره أيضاً ماهو سابق للاسلام ، إذ لاشك أنه أصعب من الشعر حفظا وأبعد استذكارا، وهذه نظرية خضع لها النثر فى أقسامه كما خضع لها أمام الشعر فى جملته، فكان أكثره رواية أيسره حفظا : إما لقلة ألفاظه وصغر صوره كما فى الحكم والأمثال التى

سهل على الألسنة ترددادها، وكانت الحوادث تدعو إلى استعمالها فوصل منها أكثر مما وصل من غيرها، بينا يجزم العقل أنها لابد كانت قلة فى كثرة ،ونقطة فى لجة لصعوبة معالجتها وندرة الأشخاص القديرين عليها ، وإما لأنه مع طوله تقرب إلى الشعر قليلا بالازدواج أو كثيرا بالسجع ، فكان فى ذلك الاتزان فى التقسيم والتوافق فى التقفى ما جعله سهل الحفظ على الذهن ، شديد الاعتلاق بالنفس ، ومن ثم نجد المروى من المسجوع أكثر من المزدوج ، وهذا أكثر من المترسل، مع أن الطبيعة التى يخضع لها صدور الكلام تأبى إلا العكس ، ولكن ماقيل شىء والذى روى شىء آخر ، ومن ثم أيضا، لم يصلنا عن الجاهلية من الكلام المرسل إلا القليل، مع أنه كان الغالب الكثير ، ولولا أسباب خارجة عن كنهه حملت على روايته لباد كما باد سائره ، تعزية أكثم بن صيفى حكيم العرب لأحد ملوكها فى أخيه وهى مرسلة، وكلمة قبيصة بن نعيم رئيس وفد بنى أسد إلى امرىء القيس عقب مقتل أبيه وهى مرسلة أيضا وفيها بعض ازدواج — لولا مكانة الحادثتين ومن قال ومن قيل له — لعفتا فيما عفا وزالتا فيما زال. ولمثل هذه الاسباب الخارجة كان المأثور فى السجع عن الكهان أكثر من غيره لغرابة موضوعه، واتصال بعضه بالعقيدة ، مع مافيه من إطالة التقفية ، وهذا حكم فيه إن لم يصدق كما صدق نسبة .

أفبعد هذه الطريق التى تكنفها الطبيعة ويسايرها العقل يطعن فى الأدب الجاهلى، ويرمى كله بالوضع والاختلاق لتفائه زادها فيه بعض الدساسين ، وأساطير وضعها عليه بعض القصاصين، ومطاعن وجهت الى آحاد فى جمهرة الرواة ثم يدعى بجرأة إلى دراسته فى صدر الاسلام ودولة بنى أمية كأن الزمان كان قد وقف ، وكأن شيئاً من أحداث الاسلام المزلزلة لم يك كان!؟ إن هذا لاجحاف بالتفكير وظلم للعقول: فالأدب الجاهلى كثرة تتضاءل أمامها تلك الزعانف الموضوعة ، وصخرة تتكسر عليها هذه النفاخات الطائرة، على أنها إذ ألصقت به وهو منها براء لم يتلبس الأمر فيها على رواته ، بل ميزوها ميز الخبيث من الطيب، ووسموها بميسم الزيف أمام الجيد الصحيح، عرفوا ذلك شفاها حيث كان مرجع الأدب الحفظ ثم دونوه واضعين أمامه أدلة التزييف حين التدوين، فما بال المدعين هذه الدعوى ينسبونها إليهم تجديداً ويدعونها ابتكاراً وآثار أقلام الأقدمين منذ أكثر من عشرة قرون تكاد تخرج اليهم من بطون الكتب فتسود صفحات وجوههم من هول ما يقولون ؟

أكان ما يقولون حقاً، ولم تفطن إليه الشعوبية فى القديم وقد مكثت قرونا تعير العرب ما شاء لها التعيير فتتلمس فى كمالها نقصا وتجعل ماتظفر به من الحقير عظيما ثم لا تهتدى إلى أن خير ماتفخر به العرب — وهو أدبها — ليس لها وانما هو شىء انتحلته زورا وادعته بهتانا فتقف أمام ذلك لاتقدم رجلا ولاتحير جوابا ، بينا يكفيها نقضه وحده مئونة الكد المتعب والكدح المضنى ؟ إنها وقفت لا عن خفاء وغيب ولكن أمام نور بهرها وسلطان قهرها لم يكد يلصق به كلف

من ظلام، أو ينسب إليه زيغ من ضلال حتى ميزه ذووه ورموا به بعيدا مزجر الكلب ومنبذ النواة ،ولقد كان من الرامين النابذين بعض من الشعوبيين .

وأ كان مايقولون حقا ويتركه فى الحديث جمهور المستشرقين دون أن يخوضوا فيه بالتجريح والتخديش فيسودوا ناصع بياضه، اويصيبوه فى قدسه وجلاله، بدل أن يرووه ويخدموه ويعترفوا به اعتراف من قهره الحق وأنطقه الواقع، ثم يخرجوا من هذا بنتائج عن العرب قد يسوءهم تدوينها أولا يرتاحون إلى إثباتها ؟ فعلوا ذلك ولم يشذ عنهم إلا من أضله الله على علم فشايع التعصب الدينى وزحف إلى الطعن فى دين العرب من طريق الطعن فى أدب العرب، فأخذ ماميزه رواتهم لينبذ فأثبته ،وماخصوا عنه ليستبعد فقربه ، ومع ذلك لم يشايعه بنو جنسه ومنهم بعض رجال الدين ، وان للحق لأنصارا حيث تظن الظنون وتتوقع الخصوم .

وإذا كان الأدب الجاهلى كله دسا وتدخيلا، فما هو إذن الأدب الذى كان يروى فى صدر الاسلام والدولة الاموية ، قبل أن يخلق الدساسون أمثال: حماد الراوية فى النصف الأول من القرن الثانى ،وخلف الأحمر من بعده فى نصفه الأخير ، وهلا إذا كان الدس يقع جزافا وبغير حساب ، كان الأولى بالدساسين أن يستكملوا لنا مواضع نقص فى أدبنا كانت ولم تزل فاغرة فاها حتى يكون ذلك أسوغ لقولهم وأستر لدسهم ؟ لم لم يدسوا بضعا من خطب على رجال جاهليين ضرب المثل بفصاحتهم فى الخطابة ، وكانوا فيها حكاما وعلى أهلها قواما، وليس للواحد منهم فى المأثور سوى الكلمة والكلمتين ، أليس لأن الأمر لم يك كما يتخرصون فوضى سبهللة لا ضابط له ولا رادع عنه... وهل يقبل منا أن نمرر المدسوس على رجال النقد وارباب الكلام فى عصور التدوين والتأليف ، ثم نزعم لأنفسنا الآن أنا به أعرف وله أميز؟وهل ميزنا غير ما ميزوا إلا ما سقناه قولا بلا حجة ونتيجة من غير مقدمة؟ ثم يقولون إن اختلاف الرواية دليل على الدس،والله نشهد أن الروايات فى عهد يقع الاعتماد فيه على الحفظ وحده دون كتاب يسنده او نقش يؤيد،لو أتحدت ولم نر فيها مارأينا من خلاف هو الطبيعى والمعقول، لكان لنا أن نتخذ الاتفاق دليل الدس، فكيف يتخذ الاختلاف دليلا علينا وهو لنا،ولسان ضدنا وهو حجتنا؟

إنا للمجددين بالمعنى الذى يقحمون فيه كلمة التجديد ،لا بالمعنى الذى نحترمه نحن، أن يرعوا للقديم عهده،ولحق البحث حرمته،وألا يتجاوزوا ميز المدسوس عنه إلى نقضه من أساسه،فانهم إذا نقضوه وماهم ببالغيه ، ثم عادوا بعد ذلك يبنون،وقع بناؤهم على غير أساس فاذاما نفخوا فيه وصوروه وتساندوا إليه فأقاموه لايلبث أن يخونهم وينهار،فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ؟

السباعى السباعى بيومى

من القصص الروسي

المبـــــــارزة

تأليف الكاتب الروسى : نقولا بيليشوف

(فلاديمير كلادينوف) شاب طويل القامة، وسيم الطلعة ، يبلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة يبدو لمن يراه أنه اصغر سناً مما هو عليه ، ذو وجه جميل وشعر مجعد متموج ، يرتدى لباس ضابط : بذلة رسمية وحذاء ركوب طويل ومعطفاً قصيراً وقبعة صغيرة ، واقفاً وسط روضة مغطاة بطبقة رقيقة من الثلوج ، ينظر امامه إلى ضابط آخر ذى وجه احمر وشارب متوسط ، على قيد ثلاثين خطوة منه ، يرفع يده القابضة على مسدسه ثم يسدده نحو فلاديمير .

وقف فلاديمير وقد أطبق ذراعيه فوق صدره حاملا فى إحدى يديه مسدساً ، ولكنه كان غير حافل ولا مكترث لأنه كان ينتظر طلقة غريمه .

ورغماً من ان وجهه الجميل كان يميل إلى الشحوب اكثر من المعتاد إلا انه كان يتلالأ بالشجاعة ، وتظهر من ثناياه ابتسامة احتقار .

كان الموقف رهيباً : فبينما كان غريمه مصمما على المبارزة إذا بشاهديه تكاد أعينهما تلتهمه التهاما ، وهناك الموت كان يرفرف فوق رأسه ، والبوم لا تزال تنعى حتى تلك الساعة من الصباح ، والدمار يشرف بعينيه الدمويتين من كل النواحى ، وساعة الفناء تقترب لحظة بعد اخرى ...

نعم : لقد كانت المسألة تمس الشرف فى صميمه ، ويجب الفصل فيها دون توان او تأخر ..

وسمع طلق نارى فسرت رعدة فى قلوب الجميع حيث تدلت يدا (فلاديمير) إلى جانبيه ، وانحنى على ركبتيه ثم هوى إلى الأرض ... لقد كان راقداً فوق الثلوج مصاباً برصاصة فى رأسه ، بينما كانت يداه ورأسه ووجهه حتى الثلوج حوله ملطخة بدمائه البريئة .

وجرى اليه شاهداه ورفعاه عن الأرض وأكد الطبيب موته وحلت مشكلة الشرف ، ولم يبق هناك شىء سوى إخطار فرقته بنبأ موته ... ثم ... ثم بعد ذلك أو قبل ذلك إعلان الخبر — فى تحفظ وعناية — لتلك الأم التى اصبحت بموته فريدة فى الحياة ، لأن ذلك الشاب الذى قتل كان وحيدها ... !!

لم تكن الأم تعرف البتة شيئاً عن مبارزة نجلها ولم يعطها أحد اى فكرة عنها قبل ذلك ، ولهذا

كان القوم فى حيرة و ارتباك ... و اخيراً هدتهم الرأفة بتلك الأم الثاكل إلى أن يصبو ا إليها النبأ المر قطرة قطرة حتى تهون فجيعتها و تخف صدمتها ، فاختير (ايفان جولوبنكو) كأصلح فرد يمكنه تأدية تلك المهمة الشاقة.

***

استيقظت (بلاجيا بتروفنا) من نومها وأخذت تعد طعام الافطار ، بينما دخل عليها (إيفان جولوبنكو) مكفهر الوجه ، مضطرب العقل . . . فبادرته السيدة العجوز بقولها :

— لقد وصلت يا إيفان وقت تناول الفطور تماماً ، لا بد أن ابنى (فلاديمير) قد دعاك لشرب الشاى معه ؟

فأجاب إيفان باضطراب وخجل : لا ... بينما كنت ماراً . .

— ستغفر له تلك الهفوة ، إنه لا يزال نائما : لقد ذرع الغرفة ذهابا وإياباً طول ليله ،ولذلك فقد أمرت الخادم ألا يوقظه ، ولكن أيحتمل أن تكون قد جئت فى مهمة ضرورية؟

— لا . . بينما كنت ماراً امام هذا المنزل رأيت أن ادخل لحظة أراكم فيها . . .

— إذا كنت تود ان تراه فما على إلا ان آمر الخادم فيوقظه .

— لا . . لا . . لا تكبدى نفسك مشقة ذلك .

ولكن (بلاجيا بتروفنا) كانت تعتقد انه قد اتى ليرى وحيدها فى مسألة تختص بهما، فتركت الغرفة متمتمة ببعض كلمات لم يسمعها إيفان ...

سار (إيفان) فى الغرفة ذهابا وجيئة وهو منفعل مهتاج الشعور ضارب إحدى يديه على الأخرى، تأخذه الحيرة كلما عاودته فكرة أداء مهمته. ولا يملك نفسه من اضطرابه وارتباكه كلما فكر فى كيفية إنبائها بهذا النبأ المروع...كان الواجب عليه أن يبت فى الأمر ، ولكنه فقد توازن عقله فأصابه الخبل، فلعن القدر الذى رمى به بين أنياب هذا الموضوع وألقى على عاتقه ذلك الحمل الفادح .

عند ذلك دخلت (بلاجيا بتروفنا) على زائرها قائلة فى تعجب :

— يخيل إلى أن الشباب ليس أهلا للثقة ، وأن الشبان لا يستحقون منا نحن المسنين أن نضع فيهم ثقتنا، فها أنذا كنت أحدثك عن ابنى فى نومه وحيطتى التى اتخذتها لهدوئه وحذرى من أن تتصل بسمعه ضجة توقظه، ولكنه — كما يلوح لى — قد ترك فراشه منذ أمد لا أحسبه وجيزاً — دون أن يترك وراءه أثراً ما ، ولكن لماذا لم تجلس لتتناول فنجانا من الشاى ؟ لقد أهملت زيارتنا يا إيفان فى المدة الأخيرة إهمالا كبيراً . .

ثم ابتسمت ابتسامة نطقت بما يجيش فى قلبها من مسرة وهناء، ثم استطردت فى كلامها بصوت منخفض :

— وفى خلال تلك المدة التى غبتها عنا حدثت أمور كثيرة لا شك أن فلاديمير قد دفعه حبه لك وثقته فيك إلى إشراكك معنا فى معرفتها، ذلك أن (فلاديمير) ابنى قد أمسى ذا قلب متفتح لأفانين الحب، ولا غرو فانه على وشك الزواج — حسناً .. إذا (كان فلاديمير) قد ذرع الغرفة ذهابا وإيابا طول ليله فذلك معناه أنه يفكر فى حبيبته لينوشكا - وإذا فعل ذلك فلا بد من أن يرحل فى الصباح — آه يا إيفان إننى لا أسأل الله إلا أمنية واحدة هى أن يبقى على حياتى حتى أرى حفلة زواج ابنى بمن يحب - وما ذا ينتظر من عجوز مثلى أكثر من أن تسأل ربها ذلك؟ إنه ليخيل إلى أنه لا حاجة بى إلى الصلاة والتعبد بعد أن أرى وحيدى ولينوشكا زوجين سعيدين فان ذلك كفيل بأن يجعلنى دائمة السعادة والهناءة، فاننى ما فكرت فى (فلاديمير) إلا ورأيت الحياة صفحة من الأمل العريض والأحلام الشهية .

وكأنما قد هزها تصورها للسعادة، فترقرق الدمع فى عينيها، ولم يلبث أن سال وانحدر على خديها ، على أنها أتمت كلامها قائلة :

— أتذكر يا إيفان تلك العقبات التى طالما عرقلت تيار هذا الموضوع . . ؟ حين لم يكن قد تمكن حب ابنى من قلب لينوشكا ، وحينما كان الخلاف محتدما بين أهل الخطيبة وبيننا بشأن (الدوطة) المهر - أتذكر كل تلك العقبات ؟ إنها ذللت جميعا ، فلقد حصلت على (الدوطة) التى يطلبونها وقدرها خمسة آلاف روبل ذهبا ، نعم — وأيضاً كتبت إلى لينوشكا خطابا مملوءاً بعبارات الحب ولواعج الغرام . . . آه إن قلبى يكاد يطير فرحاً . . . إنها فتاة جديرة بالاعزاز خليقة بالمحبة .

جلس إيفان يصغى إلى حديثها على أحر من الجمر، فقد كان يفكر فيما سيؤول إليه أمر تلك الأم الرؤوم من تعاسة وشقاء.. كان يريد أن يقطع عليها ذلك السيل المتدفق من العبارات ليخبرها أن قد انتهى كل شىء .... أن قد مات وحيدها (فلاديمير) وأن تلك الآمال الحلوة، وهاته السعادة التى يشدو بها لسانها ويترنم بها قلبها ستذبل فى سرعة البرق وتذوى بعد أمد وجيز...

كان يود أن يقول لها ذلك ولكنه أصغى اليها فى سكون محدقا بوجهها الصبوح ، غير أنه أحس فى تلك اللحظة برجفة فى حلقه وشرود فى ذهنه، فكتم إحساسه فى نفسه وأخذ ينصت إلى السيدة العجوز وهى تقول وكأنما قد سرى إحساسه إلى قلبها :

— ما بالك اليوم حزيناً مكفهر الوجه .. ؟ ولم تعلو وجهك تلك السحابة الدكناء ؟

كان (ايفان) يريد أن يقول: أجل ، على صفحة وجهى يبدو الحزن وعلى أديم محياى يلوح التألم ، وسوف تكون صفحة وجهك مهد آلام أشد وأقسى، وموطن احزان أمر وأنكى، حين تعلمين نعى ابنك، ولكنه استعاض عن ذلك بأن أشاح بوجهه كأن لم تؤاته أعصابه على تحمل ذلك، ثم ابتدأ يفتل شاربيه فى تبرم شديد .

كانت (بلاجيا بتروفنا) غارقة فى لجة من بحار أفكارها فلم تلاحظ ما عليه (إيفان) من القلق والضجر فاستمرت فى حديثها قائلة :

— آه . . . إنى أحمل إليك السلام من لينوشكا . . . . لقد كتبت إلى فى خطابها ترجونى بحرارة أن أبلغك أسمى تحياتها ، ثم تسألك أن تأتى مع (فلاديمير) لزيارتها ، إنك تعرف بنفسك كم هى تقدر صداقتك . . . لا . . . . . إنه ليخيل إلى أننى لا يمكننى أن أحتفظ به لنفسى ، يجب أن أريك إياه حتى ترى بنفسك جمال أسلوبه ورقة تعابيره .

ثم أخرجت من جيبها حزمة من الرسائل أخذت من بينها خطابا صغيراً وفضته أمام (ايفان) الذى اظلم وجهه ، وكست سحابة من الغم قلبه ..كان يحاول أن يتخلص من الموضوع ولكن (بلاجيا بتروفنا) كانت على تمام الاستعداد لأن تقرأ الخطاب فابتدأت :

عزيزتى (بلاجيا بتروفنا) : متى سيأتى ذلك اليوم الذى أتمكن فيه من أن أدعوك بوالدتى العزيزة الشفيقة ، إنى أنتظره بفروغ صبر وآمل أن سيحل فى القريب العاجل حتى ان رغبتى الشديدة فى قدومه تخيل إلى أن أدعوك من الآن بأمى العزيزة .

توقفت (بلاجيا بتروفنا) عن القراءة ورفعت رأسها ثم نظرت إلى (ايفان) بعينين مخضلتين بالدموع قائلة :

— إنك لترى يا إيفان . . .

ثم توقفت عن الكلام حينما رأت (إيفان) يعض شاربه بقلق بينما يترقرق الدمع من مآقيه ، فوضعت يدها المضطربة على شعره ثم قبلت جبهته فى سكينة وهدوء وقالت بصوت منخفض أفصح عن تأثرها :

ـ شكراً لك يا إيفان فلطالما كنت اعتقد أنك أنت وفلاديمير اخوان أكثر منكما صديقين سامحنى ياولدى .. إن هذه السعادة فوق ما أحتمل ، أشكرك يا ربى ...

ثم انهمرت دموعها بغزارة على خديها واضطرب إيفان وارتبك أيما ارتباك حتى انه لم يستطع إلا أن يمسك بيدها الباردة ذات العظام البارزة ، ويمطرها وابلا من القبلات... لقد خنقته العبرات وترجرج الدمع فى عينيه ، فلم يستطع النطق بكلمة واحدة ، وفى وسط ذلك الحنو الأمى أحس إيفان بعار يتلبسه حتى آثر فى تلك الساعة أن لو كان ملقى وسط الحقل وقد أصابته الرصاصة فى رأسه ، على أن يسمع بأذنيه عبارات المديح فى صداقته وكلمات التقريظ فى أخوته من تلك العجوز التى ستعرف حقيقة موقفه بعد نصف ساعة على الأكثر ، وماذا عساها تظن به ؟ ألم يكن ذلك الصديق بل الأخ الذى وقف مكتوف اليدين بينما المسدس مصوب نحو (فلاديمير) ؟ ألم يكن ذلك الأخ بعينه هو الذى قاس المسافة بين المتخاصمين ؟ ألم يكن هو أيضاً الذى اختبر مسدسيهما ؟ بلى لقد فعل كل ذلك ، وبمحض إرادته ... والآن هاهو ذلك الصديق بل ذلك

الأخ يجلس صامتا وليس لديه الشجاعة حتى ليؤدى المهمة التى من أجلها أتى ! ! !

كان خائفا ، فقد شعر بضعف فى قلبه وحشرجة فى حلقه وأسى يعتريه بشدة ، وكلما أحس بذلك كلما خارت قواه عن تجريد (بلاجيابتروفنا) من لحظات سعادتها الأخيرة، وماذا يقول لها وكيف يبدأ الكلام ؟ لهذا فقد (إيفان جولوبنكو) شعوره كلية.

كان أمامه الوقت متسعا كى يلعن فى نفسه المبارزات والشجار وكل أنواع البطولة، وكل نزاع على مايسمى « ردالشرف» وأخيراً قام من مقعده واستعد : إما للاعتراف أو الفرار ، وبكل هدوء وسرعة أمسك بيد(بلاجيابتروفنا) وانحنى عليها حتى لثمها ، وعلى حين غرة استسلم تماما إلى ضعفه ، فأخذت تنحدر العبرات من ماقيه كأنها السيل المتدفق ، وفى لحظة — وبدون أى تفكير — جرى إلى الردهة الخارجية للمنزل وأخذ معطفه ثم ولى هاربا دون كلمة واحدة

فنظرت إليه (بلاجيابتروفنا) فى تعجب ثم قالت فى نفسها:

—لابد أنه هو الآخر يحب... حسناً! إن ذلك ماهو إلا تكديرة بسيطة تسبق السعادة المنتظرة !

وفى الحال نسيته وتغلغلت فى أحلامها عن السعادة التى خيل إليها أنها لا يمكن أن تمس بسوء ؟

محمد احمد عبد الله

الصفات الوراثيه والصفات المكتسبه

(بقية المنشور على الصفحة رقم ١٢٢٠)

١ ـ إن الصفات العارضة للانسان فى حياته ، جسمية كانت أو عقلية أو خلقية ، لاتنتقل بالوراثة إلى أولاده كما هى .

٢ ـ إذا كانت الصفة المكتسبة هى حدوث خلل فى بعض الأعضاء بحيث يتضاءل أو يصبح عاطلا فانها قد تنتقل بالوراثة .

٣ ـ إن الصفات المكتسبة التى تسمم الجسم أو تحدث خللا فى المجموعة العصبية على الأخص تؤثر فى النسل تأثيراً كبيراً .

٤ ـ إن الصفات المكتسبة التى تتكرر أجيالا ربما تصبح وراثية كما هو مشاهد فى تطور صفات الأنواع على حسب مذهب النشوء .

وبعبارة أشد اختصاراً من هذه يمكن أن يقال: إن الصفات التى نأخذها عن آبائنا بالوراثة تنتقل إلى أبنائنا بالوراثة أيضاً، أما الصفات التى نكتسبها فى حياتنا فانها لا تنتقل كما هى وإنما ينتقل ما تحدثه فى المخ أو غيره من الأعضاء الحيوية من آثار .

وسنتكلم عن كيفية الانتفاع بقوانين الوراثة فى نواح مختلفة ، وعن الوراثة والزواج ، فى عدد آخر إن شاء الله ؟

حامد عبد القادر

سر إعجاز القرآن فى الأسلوب والمعنى

هذا الموضوع خليق ألا يكون مثار جدل ومناقشة، وقد ثبتت قواعده وبسقت فروعه، وتبين وجه الحق فيه ، ولكن نفرا أبوا : إلا أن يطلعوا علينا برأى قيل به قدما ولم يلبث أن سخف وقبر فى مهده .

قالوا : ليس الأسلوب سر البلاغة ، ومن ثم فأسلوب القرآن غير معجز ، فاضطرنا هذا القول لأن نمسك القلم لمحو أساطيرهم كما انمحت من قبل .

أنت ترى أن دعواهم قائمة على أن « ليس الأسلوب سر البلاغة » نعم. وينبغى ألا يكون الأسلوب وحده سر البلاغة ، لكن ماهو سر البلاغة إذاً ؟ أفى المعنى والروح فقط كما يزعمون؟ كلا ، لن نقرهم على ذلك ، فما كان لمتأدب تصديق هذه الدعوى ، وهو يعلم أن مثل الفكرة والأسلوب والبلاغة كمثل فكرة هندسية شيد عليها بيت محكم ظهر جماله بعد تمامه ، فليدلونى ـ رعاهم الله ـ أمجرد رسم البيت رسما هندسيا يكفل جماله ولو كان البناء معوجا ، ولبناته واحدة بارزة والأخرى غائرة ؟ أم الجمال والرونق والبهر وقف على مجموع إحكام البناء وإتقان الطلاء مع الرسم الهندسى البديع؟ كيف لا !! وخفة روح المرأة وحدها لاتكون عنوانا لجمالها ولا مقياساً لفتنتها... إذ لابد من رشاقة القوام، واعتدال القد، ونجل العينين، ونصاعة الوجنتين، مع خفة الروح حتى نحكم بأنها جميلة تبعث فى النفس معنى الجمال ومعنى السحر .

هب أيها القارىء أنك اخترت بيتا من الشعر بليغا، وطلبت إلى تلامذتك نثره فيما لايزيد عن سطرين ، وأخذت فى مراجعة ما كتبوا ، أكنت ترى المعنى بليغا فى كل كتاباتهم، أم كنت تراه قويا فى واحدة فاترا فى ثانية باردا فى ثالثة ، تبعا لجودة العبارة ومتانتها ؟ ...

أيها المعارضون الكرام! أسلمتم بأن سر البلاغة لايرجع إلى المعنى وحده، ولا إلى الأسلوب وحده ، أم لازلتم مصرين ؟ إن كنتم مصرين لم يبق إلا مجابهتكم بالدليل العملى، وها كم هو قوله تعالى « قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا » وقوله تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » فإن كنتم صادقين فى دعواكم من أن أسلوب القرآن غير معجز فصوغوا معناهما فى أسلوب من عندكم حافظ لهذا الرونق وتلك الروعة وخال من الطعن والتجريح، وها أنتم أولاء تفقهون فكرتها وتتشربون بروحها ، ما أراكم بمستطيعين ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا .

كأنى بكم تسألون : هاتوا أنتم برهانا عمليا يثبت إعجاز أسلوب القرآن . نعم وإذ قد

طلبتم فانظروه بعد .

لفظ القرآن من جنس كلام العرب، ولكن طريقة اختيار ألفاظه وتركيبها للدلالة على المعانى المتباينة لم تصل الفطرة العربية إلى مجاراتها أو الدنو منها ، ومن هنا خالف أسلوبه جميع الأساليب ، والأسلوب على هذا هو الصورة اللفظية التى تعبر عن معنى ما .

لو أنصف المعارضون لآمنوا معنا بأن الأسلوب درجات : منها العليا ، والسفلى ، ومابينهما، وأن المعنى من حيث هو معنى واحد، إلا أن روحه وقوته تسير جنبا لجنب مع مراتب الأسلوب كما مثلت لذلك ببيت الشعر المنثور . فأعلى مراتب الأسلوب مع أعلى مراتب روح المعنى ينجم عنهما أرقى درجات البلاغة وهى درجة الاعجاز . وإلام يرجع السر فى إعجاز أسلوب القرآن ؟ إلى اختيار ألفاظه أم إلى ترتيب مواضعها وحسن تأليفها أم إلى الاثنين ؟ هذا ما سنوضحه :

المعروف أن للألفاظ مدلولات، وأن الكاتب عند إرادة التعبير عن فكرة ما، يستحضر فى ذهنه المدلول ثم لفظته، فالمدلول ثم لفظته، حتى ينتهى من رصف العبارة التى توضح فكرته . وفى هذه العملية اعتمالان أو قوتان : فأما الأولى فقوة إيثار بعض الألفاظ الحاملة لهذه المدلولات على بعض ، وأما الثانية فقوة ترتيب هذه المدلولات ترتيبا يكفل إبراز الفكرة متماسكة الأجزاء . وهاتان القوتان ليستا سواء عند جميع البشر ، فلاغرو إن كان أسلوبهم متفاوتا قوة وضعفا ، وأعلاهم درجة أعلمهم بسر كل لفظة، وبمقدار اتصال مدلولها بمدلول ماقبلها وما بعدها حتى تبرز الفكرة فى أجمل أسلوب وأنصع حلة ، وتلك قضية عقلية برهانها المحسوس قوله تعالى: «وقيل ياأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين»، فليتأمل المعارضون الكرام هذه الآية ليدركوا لماذا أوثرت هذه الألفاظ على غيرها ؟ ولماذا رتبت هذا الترتيب المحكم الذى يخرج عن طوق البشر ؟ فان طالبونا بكشف القناع عما قد يدق من اللطائف التى جاءت من اختيار هذه الألفاظ والتى رفعت المعنى إلى درجة الاعجاز فليرهفوا آذانهم .

إيثار « قيل » على « قال الله » لأن المقام مقام ذكر الأرض والسموات والماء والسفين على جهة الذل والتسخير فاعظاما لاسمه عن الذكر مع هذه المكونات آثر قيل .

إيثار « يا » من بين حروف النداء ؛ لعظم البعد المعنوى بين الله تعالى والأرض فهو غير مفتقر وهى مفتقرة ، وهو فى كمال العزة، وهى فى غاية الذل، فلاجرم أن ناداها بيا .

إيثار « أرض » على غيرها لأن المدحوة والمبسوطة وغيرها صفات زائدة للفظ الأرض ، وايضا لأن لفظ الأرض أخف وأكثر استعمالا، ثم لو قال أرضى لعظمها باضافتها إليه فى حين انها ذكرت على سبيل الاحتقار، لأن المضاف بذا يكتسب من المضاف إليه شرفاً أو احتقاراً .

إيثار « ابلعى » على « ابتلعى » لأن الأولى أخف نطقا ، ثم لأن فى الابتلاع نوع مشقة وفى البلع سهولة، وسهولة بلع الأرض للماء فيها دلالة على باهر قدرته ، وإنما ذكر مفعول ابلعى وهو ماءك، لأنه لولم يذكر لدخل فى البلع ماليس فيه، وهو الأشجار والبحار والسفينة .

إيثار « أقلعى » على « احبسى ماءك » لأن الاقلاع ترك من جهة الفاعل بعد الاستمرار عليه ولما كان إنزال المطر صادرا من السماء على سبيل الاستمرار ثم رفع، ناسب أن يقال أقلعى. ولم يقل « ياسماء أقلعى عن صب الماء » بذكر المتعلق وهو الجار والمجرور كما قال ابلعى ماءك لأن بلع الأرض للماء وكل بلع آخر فيه نوع اعتمال، فلأجل هذا ذكر متعلقه . وتوجيه أمر الأرض بالفعل المتعدى وأمر السماء باللازم، لأن الأرض تتصرف فى الماء بصيروته فى بطنها بخلاف السماء فالمراد منها مجرد الكف عن الصب .

آثر « بعداً » ولم يقل « ليبعدوا » لأن فى المصدر نوع تأكيد لايؤدى بالفعل ، ولأن المصدر غير مقيد بزمان، فالتعبير بالمصدر أبلغ .

هذه هى بعض المقاصد المعنوية الدقيقة التى اختير لها انسب واحكم الألفاظ فى الدلالة على المراد . فهل لبشر كائنا ما كان ان يعصم من الزلل فى مثل هذا الاختيار ؟.

ثم هناك بدائع اخرى ترجع إلى ترتيب الألفاظ واخذ بعضها بحجز بعض منها :

قوله « يارض ابلعى ماءك » ولم يقل « ابلعى يارض ماءك » لأمرين : أما اولهما ، فجريا على ما ألف من الايقاظ والتنبيه لأن كل من طلب امرا من غيره لزمه إيقاظه حتى يتنبه لما يراد منه ، وأما ثانيهما فلأن كل من ناديته فى البدء نزعت نفسه إليك وتطلع إلى ماسيلقى عليه من امر او نهى .... وايضاً قدم نداء الارض على نداء السماء لأن البداية بالغرق كانت من جهة الأرض، ولأن الغرض إهلاكهم فى الأرض التى حصل فيها العصيان ، ولأنها مقر للسفينة التى تكون بها النجاة ...... ثم انظر الى الطباق المعنوى فى قوله « ابلعى وأقلعى » لأن البلع إدخال الماء فى جوف الأرض وإقلاع السماء إخراجه عنها والادخال والاخراج ضدان كما فى قوله تعالى « أشداء على الكفار رحماء بينهم » فالرحمة لين القلوب والشدة ضدها .

ومن التعسف محاولة إظهار كل أسرار الأسلوب فى آية من الآيات فقد يكون جماله بحيث يدرك ويوصف او يدرك ولا يوصف . فلا يأتين احد بعدطالبا سر الأسلوب فى آية كذا، فليس ذلك دليلا على عدم إعجازها، ويكفى ان يقرأها على عدد من جلسائه فتمر على اسماع احدهم ولم تتغير بلادته ، ويسمعها الثانى فيفقه لها اثرا خفيفا ، والثالث فتحركه، والرابع فتهزه هزا ، وما ذلك إلا لتفاوت استعدادهم ، واختلاف تفكيرهم ، ومقدار بصرهم بالأساليب العربية ، واستجلائهم لكنهها ؟

عبد الحميد العمروسى

أثر الانفعالات فى الانسان

للاستاذ احمد فؤاد الاهوانى
مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية

ما هو الانفعال Emotion ؟

تحدثت فى عدد سابق من « المعرفة »(١) عن موضوع علم النفس وعن تحليل الظاهرة النفسية ، وسأتحدث الآن عن نوع من هذه المظاهر : هو الانفعال . وقلنا فى تحليل الظاهرة النفسية إننا ننظر إليها من ثلاثة وجوه : إدراك ووجدان ونزوع ، ثم قلنا : إن مظاهر النفس جميعاً تقسم بعد ذلك إلى ثلاثة أبواب يندرج تحت كل باب منها تلك الظواهر التى تميل إلى ناحية خاصة من الادراك أو الوجدان أو النزوع ، أو بمعنى آخر التى تكون فيها ناحية من هذه النواحى متغلبة . ومن الظواهر التى تتغلب فيها الناحية الوجدانية الانفعالات والعواطف والشهوات والميول والرغبات ، وسندرس منها الآن ظاهرة واحدة : هى ظاهرة الانفعال.

ونحن لن ندرس الانفعالات من كل الوجوه ، فإن مثل هذا البحث إن لم يستنفد كتابا بأكمله ، فلا أقل من أن يستغرق صفحات عديدة ، ولكننا سنقتصر البحث على بعض النواحى فقط ، أو إذا شئت التحديد فإننا سندرس منها ناحيتين اثنتين : علاقة الانفعالات بعقل الانسان وجسمه ، ثم أثر الانفعالات فى حياة الانسان.

فالانفعال هو حالة نفسية وجدانية لها تأثير مزدوج على الشخص ، فيضطرب عقله وجسمه ، ولن يتضح لنا هذا التعريف إلا إذا رسمنا ما يحدث للعقل والجسم عند الانفعال من جهة ، وضربنا الأمثلة المتعددة من جهة أخرى .

علاقة الانفعالات بالعقل

إذا كنت جالساً تقرأ فى جريدة ، فوقع بصرك على نبأ موت صديق لك ، فإنك تنفعل لذلك انفعال الحزن ، وإذا دخلت منزلك كالعادة فوجدت لصاً يهجم عليك مهدداً إياك بسكين حاد يلمع فى يده فإنك تنفعل انفعال الخوف . وإذا كنت متدثراً رداء جديداً تختال به عجباً ثم تنزلق قدمك وتقع على الأرض ، فيتسخ رداؤك ويتمزق ، فإنك تنفعل انفعال الغضب أو الخجل ... ماذا يحدث من الناحية العقلية فى مثل هذه الانفعالات ؟ تحدث صدمة نفسية CHOC هى التى تسبب اضطراب

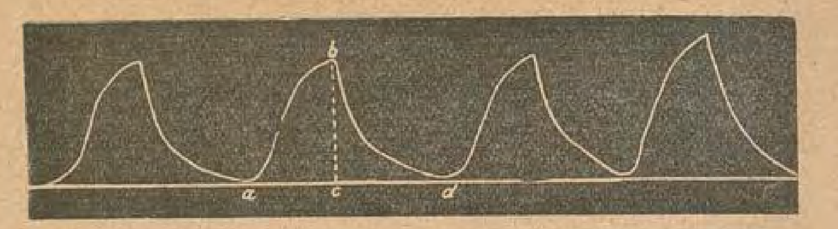
(١) مجلة المعرفة : السنة الاولى — العدد السابع ص ٧٦٨

العقل والجسم ، وهذه الصدمة ترجع إلى أن الشخص يجرى تفكيره فى مجرى خاص عادى وقد وطن نفسه عليه ، فاذا حدث ما يخالف سيل التفكير العادى كان كمن يصطدم بشىء جديد غير منتظر مخالف للعادة ، ثم هو بعد ذلك يحدث فجأة ، مثله فى ذلك مثل السيارة التى تجرى فى الأرض الممهدة السهلة ثم تصطدم فجأة وعلى غير انتظار بحائط أو شجرة أو أى شىء آخر فتضطرب وتهتز ، وهذا ما يحدث للشخص . فتفكيرك العادى الذى يجرى مجراه الطبيعى هو أن صديقك حى يرزق فاذا فوجئت بنبأ موته ، حصلت هذه الصدمة النفسية ، وهى التى نسميها الانفعال. وفى كل انفعال ـ عند تحليله ـ نجد أركانا ثلاثة ، فلا بد من مؤثر خارجى يؤدى إلى الانفعال ، وفى الأمثلة السابقة نجد أن المؤثر هو نبأ الموت ، أو هو اللص الذى يهجم عليك ، أو هو الانزلاق والوقوع ، ثم بعد ذلك هذه الصدمة النفسية . وأمر ثالث يميز كل انفعال هو زوال أثره بعد مدة قصيرة ، أما إذا استمرت آثاره مدة طويلة فلا يسمى حينئذ انفعالا بل يصبح عاطفة .

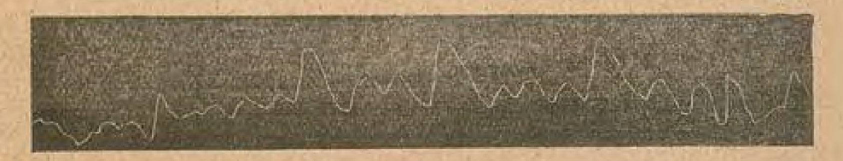
وإذا نحن حللنا هذه الصدمة النفسية وجدنا أنها أول كل شىء توقف سلسلة التداعى ، فقد قدمنا أن مجرى الشعور سيال لا ينقطع ، وأن الخواطر التى تجرى فيه تتبع قوانين التداعى ، فهذه السلسلة من الخواطر الكائنة فى الذهن وقت وقوع الانفعال ، تنقطع ويظل العقل برهة خاويا لا يستطيع التفكير ، ثم يتخذ لنفسه طريقاً من الخواطر غير الذى كان يتبعه من قبل ، يكون الباعث عليه هو هذا الانفعال الجديد . كذلك يتوقف الانتباه إذ أنه فى الانفعال الشديد نلاحظ أن الأشياء والحوادث التى تقع حول الشخص لا يلقى إليها بالا ، لفقدانه الانتباه ، وإذا ما كلمت الشخص المنفعل لا يدرك ما تقول ، ثم هو بعد ذلك إذا رجع إلى انتباهه واستمر فى تداعى خواطره ، فلن يكون تفكيره — فى أغلب الأحيان — إلا مضطربا سقيما ، ومظهر هذا الاضطراب أنه فى حالة الغضب ، قد يتفوه بألفاظ لا يليق به أن يتفوه بها وهو فى حالته العادية وهو نفسه يشعر بهذا الاضطراب ، فيتقدم إليك فى اليوم التالى معتذراً عما صدر منه فى حالة انفعاله ، فهذه الصدمة النفسية تحدث توقفاً فى سلسلة التداعى ، وفى الانتباه ، واضطرابا فى التفكير.

علاقة الانفعال بالجسم

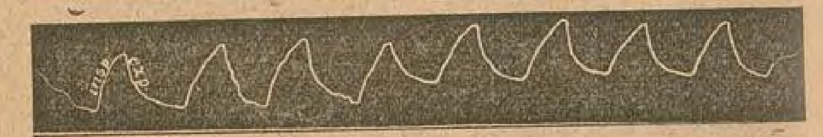
أثر الانفعال فى الجسم أشد وضوحا منه فى العقل ، ولذا بذل العلماء عنايتهم لوصف أثره ، وقيد مظاهره ، وهذا الأثر يتناول الجسم من ناحيتين : الناحية الباطنة والناحية الظاهرة . أما الأثر الباطنى فيكون فى التنفس والنبض والدورة الدموية والغدد المفرزة إلى غير ذلك ، والأثر الظاهرى يكون فى ملامح الوجه وفى هيئة الجسم الخارجية . وقد عنى علماء النفس بعمل التجارب العلمية فى كل نواحى المظاهر النفسية حتى تخرج النتائج دقيقة والمشاهدات موحدة بالنسبة لكل الناس ، وهذا ما ميز العلم الوضعى الصحيح ، فكان من هذه التجارب أن أصاب الانفعال نصيباً منها ، ولنضرب لذلك مثلا بما يحدث فى التنفس عند الانفعال ، فنحن نريد بيان سرعة التنفس وعمقه



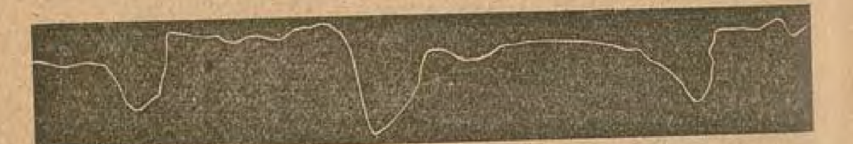
(التنفس فى الحالة العادية : ١٥ مرة فى الدقيقة)



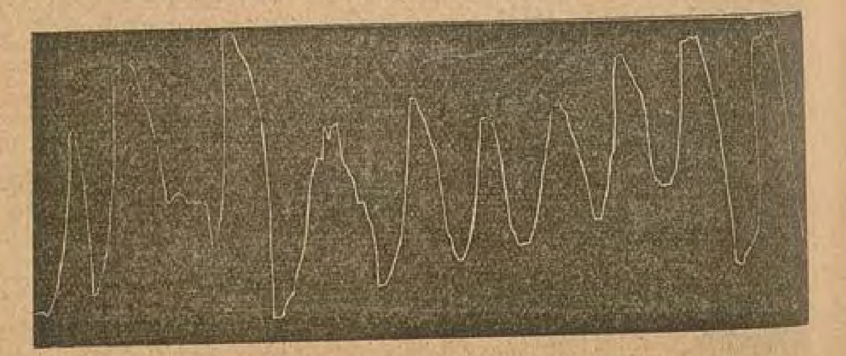
(التنفس فى حالة الخوف : ٦٤ مرة فى الدقيقة)



(التنفس فى حالة الفرح : ١٧ مرة فى الدقيقة)



(التنفس فى حالة الانقباض: ٩ مرات فى الدقيقة)



(التنفس فى حالة الغضب : ٤٠ مرة فى الدقيقة)

وشدته ولا يتضح ذلك إلا بالمقاييس العلمية، تخرج فى رسوم بيانية، يستطيع الانسان أن يستخرج منها النتائج الصحيحة، وإليك مثل لهذه المنحنيات البيانية (انظر الأشكال ١، ٢، ٣، ٤، ٥). ففى الحالة العادية نلاحظ انتظام المنحنى، وهذا يدل على انتظام التنفس، وتكون سرعته ١٥ مرة فى الدقيقة، وفى الفرح ١٧ مرة، وفى الانقباض ٩ مرات، وفى الغضب ٤٠ مرة، ونلاحظ من الرسم عمق التنفس أى الشهيق والزفير، ثم فى الغضب يدلنا الرسم على سرعة التنفس من جهة و اضطرابه فى الشدة من جهة أخرى. وفى حالة الخوف عند رجل استثير بمنظر ثعابين مخيفة ٦٤ مرة. كذلك فى النبض نلاحظ سرعته عن الحالة العادية فى الفرح، وضعفه فى الحزن.

أما الغدد المفرزة فانها تزداد أو تنقص عن الحالة العادية حسب كل انفعال على حدة، ولسنا نريد بيان كل هذه الغدد، وإنما سنورد بعضها للدلالة على اختلافها فى حالة الانفعال، فهذا جدول يبين كمية إفراز حامض الكربونيك والبوليك فى الحالة العادية، وفى الفرح والحزن والانقباض:

الانفعال	حامض كربونيك	حامض بوليك
العادى :	٢٥٠ س. م فى الساعة	٢٤ جراما فى اليوم
الفرح :	٣٥٠ س. م فى الساعة	٣٠ جراما فى اليوم
الانقباض:	١١٠ س. م فى الساعة	٦ جرامات فى اليوم
الحزن :	١٥٠ س. م فى الساعة	١٠ جرامات فى اليوم

أما المظهر الخارجى للجسم عند الانفعال فقلنا إنه يتميز بملامح الوجه، وهيئة الشخص الخارجية. ولن نستطيع أن نصف مايرتسم على الوجه عند كل انفعال، فلن يعطيك هذا صورة واضحة عنه، فما يجب أن يكون فى هذه الأحوال هو إحضار بضع أشخاص نثير فيهم شتى الانفعالات، ثم نلاحظ ما يرتسم على وجوههم من المظاهر، فان هذا يكون أوقع وأجدى، وهذه هى الطريقة التى يتبعها العلماء فى معامل علم النفس، ولما كان هذا غير ميسور الآن فى مقال مثل هذا، فلاسبيل إلا وضع عدة صور يتبين فيها أثر الانفعال ظاهراً (انظر الأشكال).

وجميع التغيرات التى تحدث للمظهر الخارجى للشخص عند الانفعال، ترجع فى النهاية إلى انقباض العضلات وتقلصها، ففى الفرح مثلا ترتفع الرأس، وتستدير الخدود، ويتخذ الوجه بأ كمله مظهر الرضا المعروف كما يتبين من الشكل، وذلك بانقباض ركنى الفم وارتفاع الشفة العليا، ولا نريد أن ندلل على سبب هذا الانقباض والتقلص، فان تفسير العلماء لهذا يتضارب ويختلف، ولا نريد أن ندخل رأس القارىء

(انفعال الفرح)

فى مثل هذا التضارب، أما وصف باقى الانفعالات ، فأمره يسير ولذا اغفلنا تسطيره مكتفين بضرب المثل فى انفعال الفرح . ولكنى لا أريد أن اترك هذا البحث دون أن اشير إلى محاولة من محاولات عالم من العلماء (١) ، أراد أن يفسر اختلاف مظهر الانفعالات على الوجه بارجاعها إلى ثلاث انفعالات أولية : وهى الفرح والحزن والدهشة، ثم اخرج من جماع كل اثنين منها انفعالا مركبا جديداً ، كما هو ظاهر فى الأشكال .

هذا ولو أننا لا نشاركه الرأى فى ذلك ، بل هناك كثير من العلماء يذهب إلى أن انفعالى الفرح والحزن ليسا من الانفعالات الأولية، ومنهم العالم مكدوجل ولكنها على أى الحالات محاولة طريفة، وإليك الصور التى تخيلها هذا العالم (انظر الاشكال).

كذلك هناك من يذهب إلى أن سبب تغير مظاهر الوجه عند الانفعال ليس الانفعال نفسه، ولكن الانفعال نتيجة تغير مظاهر الوجه وهذه هى النظرية المعروفة باسم جيمس لانج فهم يقولون إننا لا نبكى للحزن ، ولكننا نحزن للبكاء . ؟ ؟

(انفعال الحزن)

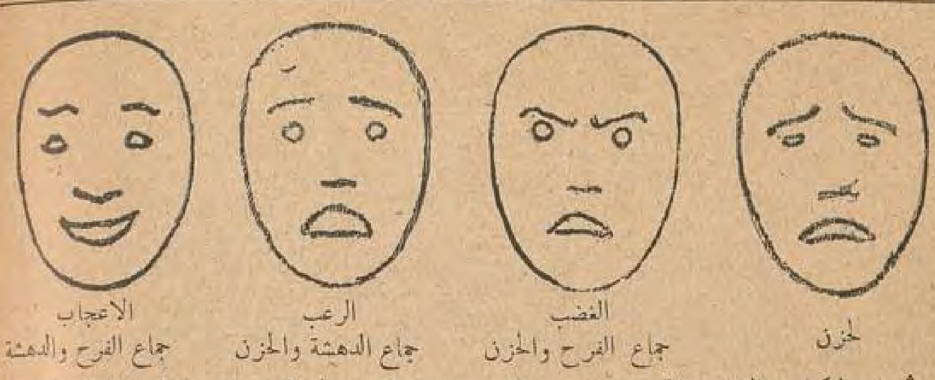
أثر الانفعالات في حياة الانسان

إن ما يميز الحياة عن الجماد ، هو تغيرها وتقلبها ، فالكائن الحى يولد ويهرم ويموت ، ويعتريه المرض والصحة إلى غير ذلك ... فما يجعل الحياة حياة ، هو هذا التغير والتقلب ، وما يكسب الحياة هذا اللون عند الانسان هو الانفعال ، فبدونها تصبح الحياة جافة أقرب الى الجماد منها إلى الحياة ، والسكون منها إلى الحركة، هذا ومن ناحية اخرى ، فاننا لا نستطيع أن نجد للحياة طعما ، ولا نستطيع ان نستسيغها ، ونجعلها سهلة القبول ، لينة المأخذ ، إلا إذا تخللها كثير من الانفعال ، مثلنا فى ذلك مثل الطعام الذى نتناوله، لا يكون لذيذا مستساغا مقبولا ، إلا إذا وضعنا فيه الملح والتوابل والبهارات، التى تكسبا الطعم ، والنكهة ، واللذة، وتوابل الحياة التى تصبغها بالرونق والبهاء ، توابل الحياة التى تكسبها الطعم واللذة والاستساغة، هى الانفعالات وقد عرف الغربيون هذه الحقيقة ، فعملوا على ابتعاث الانفعالات فى أوقات مناسبة ، حتى ينفخوا فى حياتهم روح المرح والخفة، فتجد الزوج ينتهز فرصة عيد ميلاد زوجته فيبعث لها عن طريق البريد ...!! تحفة طريفة ، لتكن عقدا من لؤلؤ او خاتما من ماس ، فتكون مفاجأة لذيذة للزوجة تنفعل لها انفعال الفرح والدهشة والاعجاب .

(الدهشة)

(الفرح)

(1)Frappa . £,expression de la physionomie humaine.



ثم إنه لما كانت المظاهر التى ترتسم على الوجه تتصل بالانفعال الذى يثيرها اتصالا ثابتا لا يتغير بمعنى ان كل انفعال يلازمه مظهر خاص ، أصبح يكفى ان تنظر ملامح الوجه حتى تعلم الانفعال الذى يختبىء وراءها ، وبالتالى تعلم الخواطر او المؤثرات التى بعثت الانفعال، فكأن الانفعالات وما يصحبها من مظاهر ترتسم على الوجه أصبحت لغة من اللغات ، تستطيع أن تقرأ بها صفحة صديقك ، ومايسطره فكره من خواطر وافكار ، بل الامر لم يقتصر على هذا ولم تجر الامور مجراها الطبيعى، ولكن الانسان تناول هذا الامر بالتعديل والتغير كما تناول كل شىء آخر ، فلم يترك هذه اللغة تعبر عن نفسها التعبير الطبيعى ، ولكنه اخذ يتصنع الانفعال، واخذ يوهم من يخاطبه انه منفعل ، بينما هو فى الواقع غير ذلك ، وذلك بما يرسمه على وجهه بارادته من الملامح التى يريدها. ومن ناحية اخرى يستطيع الشخص ان يخفى انفعاله وذلك بضبط العضلات من الانقباض فلا تحدث تغيرا فى مظهره ، وهنا يخفى مايجرى فى داخل الشخص من وجدان .

لا نود ان نطيل عليك الحديث ، ، فليس هذا البحث ، غير شذرات تتناول بها مظهرا من مظاهر النفس من بعض النواحى ، لا أريد منها بحثا علميا منظما ، وكل ما ارجوه ان يفقه القارىء ما للانفعال من اثر فى حياة الانسان، وان اللذة والسعادة لا يكتسبان إلا باكتمال اسباب الحياة وطرق جميع ابوابها وأن بابا من ابواب الحياة يهمله — مع الاسف — كثير من المصريين هو العناية بأمر الانفعالات وعلى الأخص السارة: كالفرح والدهشة والاعجاب ، ويكون ذلك بالمفاجآت الطريفة ، والتأمل فى جمال الطبيعة ، والتنقل فى مختلف البلاد لرؤية الخلائق الغريبة، والبدائع العجيبة ؟

احمد فؤاد الاهوانى

اطلبوا

المجلد الاول ، أو الاعداد التى تنقصكم ، من إدارة المجلة مباشرة .

بشار بن برد

— ٣ —

غـــزله

بقلم الاستاذ أحمد حسنين القرنى

عرفت من اليسير الذى عرضته عليك (١) من شعر بشار فى (عبدة) كيف لبس لها مسوح العاشق الواله ، ولعلى لو لم أشكك فى حبه ما ترددت فى حسبانه من « عشاق العرب » المعدودين ، وما كان لى أن أشك فى صدق حبه لعبـدة لولا أنه هو بنفسه يكرهنى ويكرهك على ذلك .

إننا لنتمثل فى الرجل إنسانا عابثاً لاهياً إذا عرفنا أنه يبادل الحب عشيقتين ، ولا يتعفف عن رميـه بالفجور إن هو تعـدى ذلك ، فما بالك بمن يشبب بالكثيرات ، ويردد ذكر العديدات ؟! .

لقد سمعت من تغزله فى (عبدة) ما سمعت ، فاسمعه يناجى عشيقة أخرى تدعى (خشابا) فيقول :

أخشاب ! حقاً إن دارك تزعج	وإن الذى بينى وبينـك ينهج
فيا كبدا قد نضج الشوق نصفها	ونصف على نار الصبابة ينضج
وواحزنا منهن يحففن هودجا	وفى الهودج المحفوف بدر متوج
فان جئتها بين النساء فقل لها :	عليك سلام ، مات من يتزوج
بكيت ، وما فى الدمع فيك خليفة	ولكن أحزانى عليك توهج ! !

بربك ألا تحس فى هذه الأبيات حرارة الايمان بحبها ، كما أحسست بها فى كلماته إلى عبدة؟ ثم ألا تكاد تلمس فيها صـدق التعبير عن عاطفة مستعرة وغرام دفين ؟ لأكاد أحس بذلك أو لمسه ، ولكنه جمال الصنعة ، وقوة التعبير اللتان امتاز بهما شعر بشار... ثم انظر إلى السم الذى يدسه لها فى دسم التغزل ، فبعد أن يصفها بأنها بدر متوج فى هودج محفوف يوم زفت إلى عروسها يغريها بهذا الزوج ، ويثير حفيظتها على الزواج فيقول لها : « مات من يتزوج » فأى إغراء هو أنكى من ذلك الاغراء ؟ وأى شىء يثير التبرم إن لم يثره هذا التعبير ؟

الحب من سر السماء ، وإلهام قدسى يوحى بالفضيلة ويعلمها ، فهل هو الحب الذى يملى عليه ذلك القول ، أم هو اللهو والعبث ؟ !

(١) راجع الجزأين : الثامن والتاسع من « المعرفة »

ثم يقول لها :

لو كنت تلقين مانلقى قسمت لنا	يوماً نعيش به منكم ونبتهج
لاخير فى العيش إن كنا كذا أبدا	لا نلتقى ، وسبيل الملتقى نهج
قالوا : حرام تلاقينا ، فقلت لهم :	ما فى التلاقى ، ولا فى غيره ، حرج
من راقب الناس لم يظفر بحاجته	وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فى سبيل غرامه ، وفى سبيل شيطانه يرسل البيت الأخير حكمة خالدة حتى لا يفوتك أن تتصيد حسان المعانى ، وغرر الحكم من ثنايا لهوه وعبثه فتقرؤه وتطرب له جاداً أو هازلا ، وهذا هو سر اللوعة على شعره المفقود ، ومبعث الأسى على ذلك الكنز الضائع .

تلك ثانية من عبث بهن بشار فى شعره ، وأطل عليهن من هيكل الحب يتلو فى كتابه كلمات ساحرة معجزة يذلل بها عصى الدموع ، ويخضع بها جامح القلوب ، وليست (خشاب) هى النهاية التى تناهى إليها ، فدونك (صفراء) التى يقول لها :

أصفراء ! لا أنسى هواك ولا ودى	ولا ما مضى بينى وبينك من عهد
إذا هتف القمرى نازعنى الهوى	فلم أملك دموعى من الوجد(١)
أبى الله إلا أن يفرق بيننا	وكنا كماء المزن شيب من الشهد
وقد كان ما بينى — زماناً — وبينكم	كما كان بين المسك والعنبر الورد

ولها يقول :

أصفراء ! كان الود منك مباحا	ليالى كان الهجر منك مزاحا
وكان جوارى الحى إذ كنت بينها	قباحا ، فلما غبت صرن ملاحا

وقد اختلفت الرواة فى البيت الثانى فرواه بعضهم كما مر بك ، ورواه بعضهم على أنه (ملاحا فلما غبت كن قباحا) وهو على كلتا الروايتين ثناء على جمالها ، واستمالة لها ، فهو على الرواية الأولى يزعمها إذا التف حولها حسان المدينة تضاءل جمالهن إلى جانب جمالها وبدين دميمات بالقياس إليها ، وعلى الرواية الثانية يكون حسان المدينة جميلات يكتسبن الجمال بمجاورتها فإذا ابتعدت عنهن وبدين فى شكلهن الطبيعى كن دميمات بابتعاد سنى وجهك الذى كان يشع على وجوههن.

ولا يكتفى بشار بأن تكون خليلاته أو عشيقاته — أو إن شئت ما هو صواب أو أقرب إلى الصواب — لا يكتفى بشار أن يلهو : بعبدة ، وخشاب ، وصفراء فيتعشق (رحمة الله) أيضاً ولم يصل إلى من شعره فيها إلا القليل .

يا (رحمة الله) حلى فى منازلنا	وجاورينا فدتك النفس من جار
ماء الصبابة نار الشوق تحدره	فهل سمعتم بماء فاض من نار

(١) هكذا فى الاصل

إلا أنى أعتقد أنه أكثر من ذكرها حتى شاع خبره وخبرها ، وحتى جاء بعد (أبو نواس) لتعشق سميتها فقال لها :

أحببت من شعر بشار لحبكمو بيتاً لهجت به من شعر بشار
(يا رحمة الله حلى فى منازلنا وجاورينا فدتك النفس من جار)

وذلك البيت من قصيدة اعتبرها من أرق الغزل ، وسأطلعك عليها عند البحث فى قيمة غزل بشار .

وإن شئت أن تعلم أن التغزل لم يكن فى الواقع إلا مجرد عبث ، وشغف به من حيث هو طريق إلى استمالة قلوب النساء التى تتبعها دائماً قلوب الرجال، فيصل من وراء ذلك إلى ماتطمح إليه نفسه ، إن شئت أن تعلم أن بشاراً لم يكن فى بادىء الأمر إلا كذلك ثم استحال فيما بعد إلى رجل من طبيعته أن يتغزل ولا يمكن إلا أن يتغزل ، ويتلمس أوهى الأسباب إلى التغزل ، إن شئت أن تعلم ذلك فاقرأ الواقعة التالية :

كان الوليد بن يزيد ذا شغف بسلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان أخت زوجته سعدى ، ومن أجل سلمى طلق أختها.. ولكن أباها رفض أن يزوجها منه ، فظل يقاسى : ألم الغرام، وألم الرفض. وأنشده بشار الأبيات الآتية فاستعبر وظل يقول ودموعه جارية : (من لى بمن يمزج كأسى هذه بريق سلمى فيروى ظمأى وتطفأ غلتى) قال بشار :

أيها الساقيان صبا شرابى واسقيانى من ريق بيضاء رود
إن دائى الصدى ، وإن شفائى شربة من رضاب ثغر برود
عندها الصبر عن لقائى ، وعندى زفرات يذبن قلب الجليد
ولها مبسم كثغر الأقاحى وحديث كالوشى ، وشى البرود
نزلت فى السواد من حبة القلـ ـب ، ونالت زيادة المستزيد
لا أبالى من ضن عنى بوصل أن قضى الله لى منك يوم جود

أنشأ هذه القصيدة لينال جائزة الوليد بن يزيد ، ولكنه ظل يذكر سلمى ، ويتخيل فيها صورة الجميلة الفتانة حتى صار يردد اسمها فى شعره كأنها إحدى محبوباته ، فيقول فى ذلك العشق السماعى :

إن سلمى والله يكلؤها كالسكر تزداده على السكر
بلغت عنها شكلا فأعجبنى والسمع يكفيك غيبة البصر

ولتعرف الصلة بين غزله والحقيقة فاقرأ له البيتين الآتيين ، وراع تعبيره فيهما بعد أن تعلم أنها معشوقة خيالية لا هو رآها أو تحدث إليها أو سمع منها :

انما عظم سليمى حبتى قصب السكر لا عظم الجمل

وإذا أدنيت منها بصلا غلب المسك على ريح البصل

***

ويأبى أن يختم بهذه المعشوقة الخيالية التى يناجيها مناجاة العاشق المدنف، فيتوجه إلى عشيقة جديدة يدعوها (سعدى) يناجيها أرق مناجاة ، فيقول لها :

لقد كاد ماأخفى من الوجد والهوى يكون جوى بين الجوانح أو خبلا
إذا قال مهلا ذو القرابة زادنى ولوعا بذكراها ووجدانها مهلا
فلا يحسب البيض الأوانس أن فى فؤادى سوى (سعدى) لغانيةفضلا
فأقسم إن كان الهوى غير بالغ بى القتل عن (سعدى) لقدجاوز القتلا

فها أنت تراه يقسم أن حب (سعدى) بلغ به حد القتل ، بل جاوز حد القتل كما قال من قبل لعبدة :

سترى حول سريرى حسراً يلطمن لطماً
يا قتيلا قتلته (عبدة) الحوراء ظلما

كما أنشد سواهن جميعاً :

وكذبت طرفى عنك ، والطرف صادق وأسمعت أذنى فيك ما ليس تسمع
لقيت أموراً فيك لم ألق مثلها وأعظم منها فيك ما أتوقع
فلا كبرتى تبكى ، ولا لك رحمة ولا عنك إقصار ، ولا فيك مطمع

كما تبع هواه الصغيرة والكبيرة ، فهوى : عقيل بنت كعب ، وسمية ، وعذراء أخرى لم يسمها بل يقول فيها :

يا ليلتى تزداد نكراً من حب من أحببت بكرا
حوراء إن نظرت إليك سقتك بالعينين خمرا
وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا

فأنت ترى من كل ذلك أن قلبه كان طائراً يقع على كل غصن وينال من كل ثمر ، ولكنه لم يكن ذا قلب يصح فيه ذلك بل كان ذا بصيرة بالشعر ، وقوة فى التشبيب أجاد وصفها بقوله:

وقصائد مثل الرقى أرسلتهن فكن شغفا
أوجعن كل منازل وعصفن بالفيران عصفا
من كل لذات الفتى قد نلت نائلة وعرفا

(البقية على الصحيفة ١٢٤٩)

تاريخ تطور الكهرباء

للاستاذ محمد يحيى الهاشمي
كيماوى ومدرس اللغة العربية بجامعة برلين

فى الشرق اليوم اضطرابات عديدة بشأن الرقى الحديث كما أن الأفكار تتضارب بعضها مع بعض، ولذلك وجدنا ضرورة كبيرة لننشر شيئاً لقراء « المعرفة » الغراء عن أكبر عامل فى الرقى الصناعى الحديث ، الا وهو الكهرباء ، وقبل ان نبدأ فى الموضوع يجب ان نقول كلمة عن فكرة الرقى فى اوروبا اليوم .

لاشك أن كل واحد منا يجد أن الرقى يتمشى مع الصنائع الحديثة جنبا لجنب، والتغيرات التى تحصل لا تقف عند الحياة الظاهرية فحسب، بل تتعداها إلى طرز تفكيرنا ومحاكمتنا العقلية. والسبب فى ذلك هو أنه حصل تبدل فى الصنائع أعقبه تبدل فى الحياة الاجتماعية من تنظيم العمال مثلا، ودخول المرأة فى معارك الحياة الخارجية ، وغير ذلك . فالصنائع الحديثة تستخرج لنا شتى الوسائط لتسهيل مرافق الحياة ، وبهذه الصورة تتغير حياتنا تدريجا دون أن نشعر بذلك ، فالرقى الصناعى والصورة الكونية كما نشاهد ملازمان بعضهما لبعض ، وقد يكون طراز الانقلاب فجائيا كثورة بركان، وذلك عند الاختراعات العظيمة ، ولكن هذا نادر الوجود، لأن التبدلات تكون على حسب الناموس الطبيعى بالتدريج .

ولننظر الآن إلى اكبر عامل من عوامل النهضة الأوربيـة الحديثة ، ألا وهو الكهرباء . ولفهم هذا الموضوع بصورة مجملة ، لا بد لنا من التكلم عن تاريخ تطوره ، وبذلك يمكننا فهم العوامل التى عملت على حدوث هذا العلم .

ولقد كاد يكون هذا النوع من التتبع العلمى غير معروف حتى السنين الأخيرة ، حيث تجد الأوروبيين اليوم مقبلين على هذا الموضوع إقبالا شديداً ، فأسست الحكومة الألمانية معهدا فى برلين للبحث عن تاريخ الطب والعلوم الطبيعية تحت إدارة الأستاذ (ده بجن) والأستاذ (روسكا) .

الكهرباء :

الكهرباء موجودة دائما فى الأثير قبل الانسان والحيون والنبات، وأول عمل كهربائى قديم جدا قبل الانسان ، ولاسيما وأن العلماء غير متفقين فى التعبير ، فرغم كل رقى فى الاختراعات فى هذا الشأن ، نجد أن الكهرباء سر غامض ، لا يفترق فى غموضه عن الروح ، ومهما بذل العلماء لوضع تعريف واف لهذا الفن نجدهم غير قادرين ، ولا ندرى هل تبقى الكهرباء سرا غامضا

مدى الأيام والأجيال أم أن الجد الانسانى سيكشف كل ستر ؟ وتستطيع الاجيال المقبلة أن تكشف الغطاء، فتكون بصيرتها أوسع من بصيرتنا وتدرك ماخفى علينا ، كما أدرك الباحثون اليوم شيئاً كثيراً مما خفى على العصور السالفة ، والزمن يلد كل عجيب وعن كل سؤال يجيب ؟

التجارب الكهربائية قديمة جدا ، والتنقيبات فى أرض مصر أثبتت لنا أن قدماء المصريين كانوا يعرفون لطخ المعادن على طريقة (جالفانى) وقد شوهد ذلك فى بعض الآثار المعدنية القديمة ، والمجهودات فى الحفريات لاتزال فى تتابع ، وحب الكهرباء كان معروفا قديما ، ولكن ليس عندنا من الأدلة مايثبت أن قدماء المصريين كانوا يعرفون خواصه .

فلفظة كهرباء هى لفظة فارسية، ومعناها جاذب التبن وباللغة اليونانية (الكترون). وذكر زكريا محمد بن محمد القزوينى (١) فى كتابه (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) مايلى : « كهرباء — هو حجر أصفر مائل الى البياض وربما كان الى الحمرة) ومعنى اسمه جاذب التبن لأنه يجذب التبن والهشيم الى نفسه وهو صمغ شجر اللوز الرومى » ، وهذه الخاصية دققها أيضا أحمد بن يوسف التيفاشى (٢) فى حجر البجادى (جرانات) حيث قال فى كتابه (خواص الأحجار) مايلى : « من خواص حجر البجادى انه إذا مسح بشعر الرأس أو اللحية ثم وضع على الأرض لقط هباءها من ورق التبن وغير ذلك » وتكلم المؤلف المذكور عن مانعة الصواعق، ولكن ليس لدينا من الأدلة مايدلنا تماما على أن مايقصد هو نفس الطريقة المتبعة اليوم حيث يقول: « أخبرنى ثقات العجم انهم شاهدوا قلاعا ببلاد الفرس حيث تقع الصواعق كثيراً، فيبنى فى القلعة منارة وتعلق فيها هذا الحجر (يقصد فى ذلك حجر اليشم) ظاهرا فترى الصاعقة نازلة من السماء تحيد عن القلعة إلى سائر الجهات البعيدة عنها ».

(ح) (ب)

شكل (١)

(ا) القضيب الحديدى (ب) سلك (ح) سلك من التيار الكهربائى إذا دخل فى سلك يخرج من الآخر.

والمغناطيس الذى يلعب النوع الصناعى منه اليوم دورا عظيما كان معروفا ايضا منذ القدم ، فعندنا عن قدماء اليونان معلومات كافية فى ذلك ، أما الابرة المغناطيسية فهى من مخترعات

(١) عاش عام ١٣٠٠ م .

(٢) ألف هذا العالم كتابه المشهور عام ٦٤٠ هـ — ١٢٥٠ م .

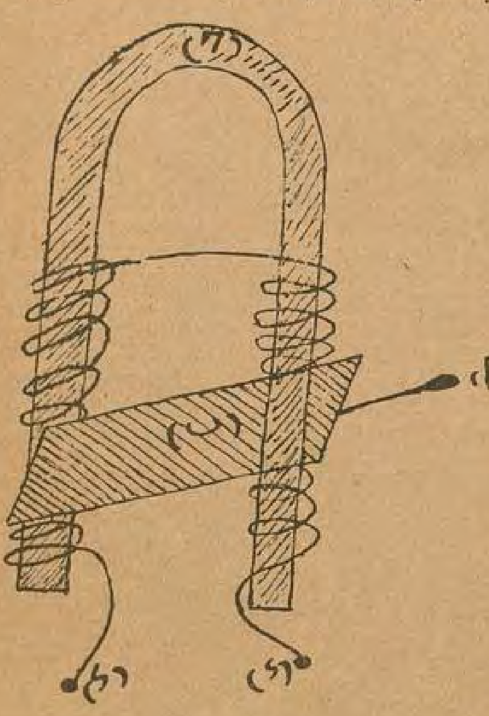
العرب، وطريقة الاختراع كانت بصورة مهمة جدا ، نرى فيها حب الاطلاع والتدقيق ، وقد ورد فى كتاب (كنز التجار) المحفوظ فى مكتبة الحكومة فى باريس مايلى : « ومن خواصه — المغناطيس — أن رؤساء بحر الشامى إذا اظلم عليهم الجو ليلا ولم يروا مايهتدون على تحديد الجهات الأربع يأخذون إناء مملوءاً ويحترزون عليه من الريح بأن ينزلوا إلى بطن السفينة ، ثم يأخذوا إبرة وينفذوها فى سمرة أو قش حتى تبقى معارضة فيها كالصليب، ويلقوها فى الماء الذى فى الاناء المعدود لها ، فتطفو على وجهها ويحركوا أيديهم على غفلة وسرعة فأن الابرة تستقبل بجهتيها الجنوب والشمال . رأيت منهم هذا الفعل عيانا فى ركوبنا البحر من طرابلس الشام إلى الاسكندرية فى سنة اربعين وستمائة ، وقيل إن رؤساء بحر الهندى يتعوضون عن الابرة والسمرة شكل سمكة من حديد رقيق مجوف مستعمد عندهم، يمكن إذا ألقى فى ماء الاناء عام وسامت برأسه وذنبه الجهتين من الجنوب والشمال » .

وهناك كثير من الأمور الموجودة فى الكتب القديمة ولكنها مملوءة بالمغالطات، أما البحث والتنقيب فأخذ مأخذه فى الغرب.

والحاصل هو أن كل هذه التجارب رغم قيمتها التاريخية العظيمة وحيدة فى ذاتها ، ولم يكن هنالك اختراع فى عالم الكهرباء يكون كسلسلة تتصل بعصرنا اليوم .

وأول اكتشاف فى عالم الكهرباء كان فى القرن السابع عشر اى بعد أربعة قرون من اختراع الابرة المغناطيسية وذلك عام ١٦٦٣ عندما اخذ (اوتوفون جوريكه) الألمانى كرة من الكبريت ودلكها بيده فوجد حصول خاصية الكهرباء من لقط الهباء وغير ذلك وبعد ذلك اخذت تتحسن إلى أن حصلت ماكينة الاحتكاك الكهربائية المعروفة اليوم .

والاكتشاف الثانى هو اكتشاف استاذ التشريح (كالفانى عاش ١٧٣٧—١٧٩٨) الذى رأى اختلاج أعضاء الضفدعة حين أدخل سلكا نحاسيا فى فخذها وعلقها على اطار من نحاس واكتشف بعد ذلك عمودا كهربائيا بسيطا، ورغم ذلك لم يفهم حقيقة التفاعل لعمل العمود الكهربائى والشرائط اللازمة لذلك . فأتى بعده (فولتا ١٧٤٥ — ١٨٢٧) وأدرك أنه يجب أن يكون



شكل (٢)

(ا) الممسك (ب) الصفحة النحاسية (ح) المغناطيس (د) السلك الذى أخذ منه الكهرباء .

هناك سائل ومعدنان مختلفان ، وحسن ما اكتشفه جالفانى ودانيال ولكلانشه . وبعد ذلك ظهر عدة أشخاص وضعوا مقاييس عدة فى الكهرباء مثل (وات) الانكليزى مكتشف العمل الكهربائى المسمى باسمه ، و (امبر) الافرنسى و (اوم) الألمانى المكتشف كل منهما مقياسا كهربائيا سمى باسمه . واكتشف (بنيامين فرانكلين) الأميركى (١٧٠٦ — ١٧٩٠) مانعة الصواعق بعد أن أثبت وجود الكهرباء فى الهواء الجوى ، وأثبت ايضا وجود الكهربائية الموجبة والسالبة .

لم يكن لكل هذه الاكتشافات والاختراعات طائل ثمرة كبيرة حتى ظهور ذلك العالم الانكليزى الكبير (ميخائيل فاراداى ١٧٩١ — ١٨٦٧) الذى لا يمكننا بدون نظريته ان نتصور الصنائع الكهربائية اليوم.

نظرية (فاراداى) : النظرية الأولى التى أتى بها ذلك العالم هى العدوى الكهربائية المسماة (ايندكسيون) اكتشفها عام ١٨٣١ ، والثانية المولد الكهربائى .

النظرية الأولى: اخذ (فاراداى) قضيبا من حديد ولف عليه سلكا وربطه ببطارية كهربائية فشاهد عند ما لف سلكا آخر، أن السلك الثانى حين فتح الجريان واغلاقه انعدى آنيا بالكهرباء. انظر شكل (١) .

واما الثانية : فانه اخذ مغناطيسا على شكل (٧) ولف على طرفيه سلكا، فلما دور صفحة نحاسية من قطبيه وجد أن الكهرباء قد سرى إلى طرفى السلك. انظر شكل (٢)

فعلى موجب النظرية الاولى صنع المحول الكهربائى (ترانسفور ماتو) ، وبها يمكن تحويل الكهرباء من الضغط الكثير إلى الضغط القليل او بالعكس ، وعلى موجب النظرية الثانية صنع المحرك الكهربائى المعروف بالـ (دينامو) .

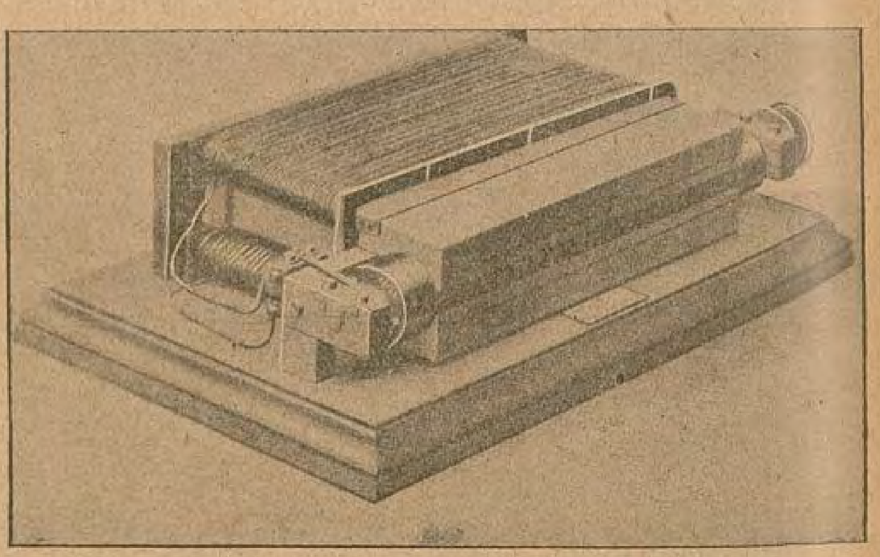
وقد أقامت المعاهد العلمية والصناعية فى أمهات المدن الأوروبية ذكرى مرور مائة عام على اختراع فاراداى ، وأقامت بريطانيا العظمى حفلة شائقة فى لندن تكلم فيها عدة رجال من رجال الدولة مثل : (لورد برسى) و (ماكدونالد) ،ومن العلماء (طومسون) و (ماركونى) و(روتفولد) ، وكان كلهم يعترف بفضله . وتعتقد بريطانيا — رغم سقوط عملتها — أنها سعيدة جدا بوجود هذا العالم ، حيث ترك لها ميراثا لا يقضى عليه كر الغداة ومر العشى.

فالمغناطيس المعروف فى قديم الزمان لم تحصل منه الاستفادة عدا الابرة المغناطيسية حتى اختراع فاراداى .

بقيت نظرية فاراداى مايقرب من أربعين عاما نظرية فقط ، ولم يحصل منها ثمرة عملية الا



العالم الانكليزى الكبير (ميخائيل فاراداى) مكتشف المغناطيسية الكهربائية التى بنى على اساسها الماكينات الكهربائية الحديثة



(أول ماكينة دينامو اكتشفها فرنر سيمنس)

عند ظهور (فرنر سيمنس) احد مؤسسى شركة سيمنس التى هى أكبر شركة للكهرباء اليوم فى المانيا. بنى سيمنس المولد الكهربائى على مقتضى نظرية فاراداى ، ولكن لم يكن قابلا للاستعمال فأصلحه المهندس (هفنر) فى معمل سيمنس عام ١٨٧٣ ولا يزال يصلح حتى يومنا هذا . ولم يمض على هذا الاكتشاف مدة طويلة حتى صنعت القطارات الكهربائية والمحركات وجميع مايخص الماكينات الكهربائية .

ومن المشتغلين فى الكهرباء الرسام (مورسه) الأميريكى الذى حسن اختراع البرق من قبل

فرنر سيمنس أحد مؤسسي شركة سيمنس ومكتشف أول مولد كهربائي

(سمير نك ١٨٠٩) و (جاوس ١٨٣٣) و (شتاين هايل ١٨٣٧) ، فبجد المهندس مورسه أصبح البرق قريبا الى الصورة التى نستعملها اليوم. واكتشف (جاول) الانكليزى سنة ١٨٤٠ تبديل الحرارة إلى كهرباء.

واكبر مخترع فى هذا الفن هو المخترع الأميركى الكبير الذائع الصيت (اديسون) المولود عام ١٨٤٧ والذى نعى البرق خبر موته يوم الاحد ١٨ أكتوبر من هذه السنة . لقد تمكن اديسون من تحويل الكهرباء إلى نور فاخترع المصابيح الكهربائية ١٨٧٧ ، ثم حسن البرق و(التلفون) الذى اخترعه (بل) ، واصبح البرق والتلفون بصورة يمكن استعمالهما اليوم .وإن اختراعات هذا الاميركى تكاد لاتحصى فهو الملقب بأبى الاختراعات والسحر .

وآخر شيء فى الكهرباء هو التموجات الأثيرية (الراديو) واساس الفكرة كان من (هاينرخ — هرتس) الألمانى ، الذى دقق الطبيعة التموجية للكهرباء ، وتمكن عام ١٨٩٢ من ان يحسب طول الموجة الكهربائية وسرعتها ، ولم يمض زمن طويل على اكتشاف (هرتس) حتى تمكن (ماركونى) الايطالى عام ١٨٩٦ من ان يخترع البرق اللاسلكى باشارات (مورسه) ،وكان لايستعمل الا فى المراسلات الدولية . وأصلحه بعد ذلك بولسن (Boulsen) ١٩٠٢ وبنى على اساسات الاهتزازات الكهربائية التلفون اللاسلكى الذى كان اساس الراديو اليوم . وقد اخترع (ل .

د.فورست De.Forest£)أنابيب لتقوية الصوت وجربت لأول مرة فى أميريكا عام١٩٠٨. واشتغل بعد ذلك كثيرون مثل آركو الذى كان حتى الشهر الماضى مدير شركة تلفونكن(Teleqhunken) الكبيرة ، ولكن ظلت تجربة فورست بدون استفادة عمومية حتى عام ١٩٢٠ . ومن الذين والوا الهمة فى ترقية الراديو (بره بوف BrebouF) المفوض العام للراديو فى المانيا اليوم، والدكتور (لوفه £ove) والدكتور (سايدت seidet) .

واول مرة أذن باستعمال الراديو فى أوروبا عام١٩٢٣.وهو يخطو خطوات واسعة وخاصة فى السنين العشر الاخيرة لم يعهد التاريخ مثلها قط ، لا فى السرعة ولا فى كمية الاختراعات . ولا يمضى زمن قصير الا وتباغتنا الاختراعات،وآخر ماعرفه فن الراديو هو الرؤية البعيدة ، فكما أنه يمكن نقل الموجات الكهربائية الى الاذن كذلك يمكن نقلها الى العين ، وهذا الاكتشاف الاخير لايزال حديث عهد ؟

محمد يحي الهاشمى

بشار بن برد

(بقية المنشور على الصفحة ١٢٤٢)

صدت الأوانس كالدمى وسقيتهن الخمر صرفا

فله فى مجالس شعراء الغزل الصدر ، وله بين المبدعين فى التشبيب المقام الأول ، وله فى قلوب النساء مكانة لا ينالها إلا من كان شعره كشعر بشار : منتقى الألفاظ ، سهل التركيب ، جيد الحبك ، رقيقاً كالسلسبيل ، عذبا كماء الكوثر ، ومن كان شعره كذلك كان أيضاً عرضة لعداء الكثيرين ينالونه بسخائم قلوبهم فيغرون به الخليفة .

لقد تذمر الناس ببشار يهتك أعراضهم ، ويستهوى نساءهم ، ويصارحهم الغرام بفتياتهم فيناجى القبيلة كلها مصارحا إياها بحب فتاة منها كما فعل مع بنى شيبان إذ قال لهم :

من المفتون بشار بن برد إلى شيبان من كهل ومرد

فان فتاتكم سلبت فؤادى فنصف عندها ، والنصف عندى

لذلك ولكثير غيره ـ مما علمناه ومما لم نعلمه ـ أمره المهدى بأن يدع الغزل ، وبأن يتركه إلى غيره من أبواب الشعر ، وينزل على أمر الخليفة مكرها ، ويحملها له الخليفة ضغينة يظل محتفظا بها حتى يحين وقت الجزاء ، وحتى يكون ذلك التفوق سراً من أسرار الفتك به ؟

أحمد حسنين القرنى

تاريخ البيمارستانات
فى العهد الاسلامى

بقلم الدكتور احمد بك عيسى

-٦-

امتحان الصيادلة

وكذلك حدث فى أيام الخليفة المعتصم بن الرشيد (٢١٨ — ٢٢٧) أنه بينما كان الأفشين حيدر بن كاوس أحد قواد جند المعتصم فى معسكره وهو فى محاربة بابك سنة ٢٢١ — وكان معه فى معسكره زكريا الطيفورى الطبيب — أمر باحصاء جميع من فى عسكره من التجار وحوانيتهم وصناعة رجل رجل منهم ، فرفع ذلك إليه ، فلما بلغت القراءة بالقارىء إلى موضع الصيادلة قال الأفشين لزكريا الطيفورى : يا زكريا ! ضبط هؤلاء الصيادلة عندى أولى مما تقدم فيه ، فامتحنهم حتى نعرف منهم الناصح من غيره ، ومن له دين ومن لادين له ، فقال زكريا : أعز الله الأمير ، إن يوسف لقوة الكيميائى كان يدخل على المأمون كثيراً ويعمل بين يديه ، فقال له يوماً : ويحك يا يوسف ! ليس فى الكيمياء شىء . فقال له بلى يا أمير المؤمنين ! وإنما آفة الكيمياء الصيادلة ، قال له المأمون : ويحك ! وكيف ذلك ؟

فقال يا أمير المؤمنين ! إن الصيدلانى لا يطلب منه إنسان شيئاً من الأشياء — كان عنده أم لم يكن — إلا أخبره بأنه عنده ، ودفع إليه شيئاً من الأشياء التى عنده ، وقال هذا الذى طلبت ، فان رأى أمير المؤمنين أن يضع اسماً لا يعرف ، ويوجه جماعة إلى الصيادلة فى طلبه ليبتاعه فليفعل ، فقال له المأمون : قد وضعت الاسم وهو (سقطيثا) وسقطيثا ضيعة تقرب من مدينة السلام ،ووجه المأمون جماعة من الرسل يسألهم عن سقطيثا ، فكلهم ذكر أنه عنده وأخذ الثمن من الرسل ودفع اليهم شيئاً من حانوته ، فصاروا إلى المأمون بأشياء مختلفة ، فنهم من أتى ببعض البذور ، ومنهم من أتى بقطعة من حجر ، ومنهم من أتى بوبر ، فاستحسن المأمون نصح يوسف لقوة عن نفسه وأقطعه ضيعة... فان رأى الأمير أن يمتحن هؤلاء الصيادلة بمثل محنة المأمون فليفعل .

فدعا الأفشين بدفتر الأسروشنية ، فأخرج منها نحواً من عشرين اسماً ووجه إلى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مسماة بتلك الأسماء : فبعضهم أنكرها ، وبعضهم ادعى معرفتها وأخذ الدراهم من الرسل ودفع إليهم شيئاً من حانوته ، فأمر الأفشين باحضار جميع الصيادلة ، فلما حضروا كتب لمن أنكر معرفة تلك الأسماء منشورات أذن لهم فيها بالمقام فى عسكره ،ونفى الباقين عن العسكر ، ولم يأذن لأحد منهم فى المقام ، ونادى المنادى بنفيهم وباباحة دم من وجد منهم فى

بعسكره ، وكتب إلى المعتصم يسأله البعثة إليه بصيادلة لهم أديان ومذهب جميل ، ومتطببين كذلك ، فاستحسن المعتصم منه ذلك ووجه إليه بما سأل (١) .

الحسبة

هى وظيفة جليلة رفيعة الشأن ، وموضوعها التحدث فى الأمر والنهى ، والتحدث على المعايش والصنائع ، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح فى معيشته وصناعته... قال الماوردى فى « الأحكام السلطانية » : وهو مشتق من قولهم حسبك بمعنى اكفف لأنه يكف عن الظلم ، وقال النحاس : من قولهم أحسبه إذا كفاه لأنه يكفى الناس مئونة من يبخسهم حقوقهم ، قال النحاس : وحقيقته فى اللغة المجتهد فى كفاية المسلمين ، ومنفعتهم إذ حقيقته افتعل عند الخليل وسيبويه بمعنى اجتهد (٢) .

المحتسب

هو من أرباب الوظائف (٣) الدينية الستة المشهورة ، وكان عندهم من وجوه العدول وأعيانهم ، وكان من شأنه أنه إذا خلع عليه قرىء سجله بمصر والقاهرة على المنبر ، ويده مطلقة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قاعدة الحسبة ولا يحال بينه وبين مصلحة أرادها ، ويتقدم إلى الولاة بالشد منه ، ويقيم النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع الأعمال كنواب الحكم ، ويجلس بجامعى القاهرة ومصر يوماً بيوم ، قال : ورأيت فى بعض سجلاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحبى الشرطة بهما أحياناً (٤) .

فى الحسبة على الاطباء والكحالين والجرائحين والمجبرين

جاء فى كتاب نهاية الرتبة (٥) فى طلب الحسبة خاصا بالأطباء وصناعتهم ، قال : وينبغى للمحتسب أن يأخذ عليهم عهد أبقراط الذى أخذه على سائر الأطباء ويحلفهم أن لا يعطوا أحداً دواء مراً ، ولا يركبوا له سما ، ولا يصنعوا السمائم عند أحد من العامة ، ولا يذكروا للنساء الدواء الذى يسقط الأجنة ، ولا للرجال الدواء الذى يقطع النسل ، وليغضوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم على المرضى ، ولا يفشوا الأسرار ، ولا يهتكوا الأستار ، وينبغى للطبيب أن يكون عنده جميع آلات الطب على الكمال مما يحتاج إليه فى صناعة الطب ، غير آلة الكحالين والجرائحيين مما يأتى ذكره فى موضعه ، وللمحتسب أن يمتحن الأطباء بما ذكره حنين فى كتابه المعروف (بمحنة الطبيب) فأما محنة الأطباء لجالينوس فلا يكاد أحد يقوم بما شرط عليهم .

وأما الكحالون فيمتحنهم المحتسب بكتاب حنين بن إسحاق أعنى العشر مقالات فى العين ، فمن وجده فيما امتحنه به عارفا بتشريح العين ، وعدد طبقاتها السبعة ، وعدد رطوباتها الثلاثة ،

(١) ص١٥٧ ج١ ابن أبى أصيبعة (٢) ص ٤٥٢ صبح الاعشى ج٥ (٣) صبح الاعشى ص ٣٧٠ ج٤
(٤) صبح الاعشى ص ٤٨٧ ج ٣ (٥) تأليف الشيخ الامام العالم عبد الرحمن بن نصر الدين عبد الله الشيرازى وهو محفوظ فى خزانة كتبنا .

وعدد أمراضها الثلاثة، وما يتفرع من ذلك من الأمراض، وكان خبيراً بتركيب الأكحال وأمزجة العقاقير، أذن له المحتسب بالتصدى لمداواة أعين الناس، وألا ينبغى أن يفرط فى شىء من آلات صنعته مثل: سنانير السبل، والظفرة، ومحك الجرب، ومباضع الفصد، ودرج المكاحل، وغير ذلك، وأما كحالو الطرقات فلا يوثق بأكثرهم، إذ لا دين لهم يصدهم عن التهجم على أعين الناس بالقطع والكحل بغير علم وخبرة بالأمراض والعلل الحادثة، فلا ينبغى لأحد أن يركن إليهم فى معالجة عينه، ولا يثق بأكحالهم وشيافاتهم، فان منهم من يضع أشيافا أصلها من النشا والصمغ ويصبغها ألوانا مختلفة فيصبغ الأحمر بالأسريقون، والأخضر بالكركم والنيل، والأسود بالقاقيا، والأصفر بالزعفران، ومنهم من يجعل أشياف ماميثا أو يجعل أصله من البان المصرى ويعجنه بالصمغ المحلول، ومنهم من يعمل كحلا من نوى الأهليلج المحرق والفلفل، وجميع غشوش أكحالهم لا يمكن حصر معرفتها، فيحلفهم المحتسب على ذلك إذ لا يمكن منعهم من الجلوس لمعالجة الناس.

وأما المجبرون فلا يحل لأحد أن يتصدى للجبر إلا بعد أن يحكم معرفة المقالة السادسة من كناش فولوس Pandectede Pauld'Egine فى الجبر (وهو ترجمة حنين بن اسحاق) وأن يعلم عدد عظام الآدمى — وهو مئتا عظم وثمانية وأربعون عظما — وصورة كل عظم فيها وشكله وقدره حتى إذا انكسر منها شىء أو انخلع رده إلى موضعه على هيئته التى كان عليها فيمتحنهم المحتسب بجميع ذلك.

وأما الجرائحيون فيجب عليهم معرفة كتاب جالينوس المعروف بقطاجانوس فى الجراحات والمراهم وأن يعرفوا التشريح وأعضاء الانسان وما فيه من العضل والعروق والشرايين والأعصاب ليتجنب ذلك فى وقت فتح المواد وقطع البواسير ويكون معه دست المباضع فيه مباضع مدورات الرأس، والموربات، وفأس الجبهة، ومنشار القطع، ومجرفة الأذن، وورد السلع، ومرهمدان المراهم ودواء الكندر القاطع للدم الذى قدمنا صنعته... وقد يهرجون على الناس بعظام تكون معهم فيدسونها فى الجرح ثم يخرجونها منه بمحضر من الناس، ويزعمون أن أدويتهم القاطعة أخرجتها، ومنهم من يضع مراهم من الكلس المغسول بالزيت ثم يصبغ لونه أحمر بالمغرة أو أخضر بالكركم والنيل، أو أسود بالفحم المسحوق، فيعتبر عليهم العريف جميع ذلك والله أعلم.

عهد ابقراط (١)

ان ابقراط قد وضع عهدا استحلف فيه المتعلم لصناعة الطب على أن يكون لازما للطهارة والفضيلة، وهذه نسخة العهد:

قال ابقراط: إنى أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء وكل علاج وأقسم بأسقليبيوس وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعا واشهدهم جميعاً على أنى أفى بهذه اليمين وهذا الشرط وأرى أن المعلم لى هذه الصناعة بمنزلة آبائى وأواسيه فى معاشى وإذا احتاج

(١) ابن أبي أصيبعة ص ٢٥ ج ١.

إلى مال واسيته وواصلته من مالى، وأما الجنس المتناسل منه فأرى انه مساو لاخوتى وأعلمهم هذه الصناعة ان احتاجوا إلى تعلمها بغير أجرة ولا شرط، وأشرك أولادى وأولاد المعلم لى والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وأحلفوا بالناموس الطبى فى الوصايا والعلوم وسائر ما فى الصناعة، وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك، وأقصد فى جميع التدبير بقدر طاقتى منفعة المرضى، وأما الأشياء التى تضر بهم وتدنى منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيى ولا أعطى إذا طلب منى دواء قتالا ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة وكذلك أيضاً لا أرى أن أدنى من النسوة فرزجة تسقط الجنين وأحفظ نفسى فى تدبيرى وصناعتى على الزكاة والطهارة ولا أشق أيضاً عمن فى مثانته حجارة، لكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل، وكل المنازل التى أدخلها إنما أدخل إليها لمنفعة المرضى وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إرادى مقصود اليه فى سائر الأشياء وفى الجماع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد، وأما الأشياء التى أعاينها فى أوقات علاج المرضى أو أسمعها أو فى غير أوقات علاجهم فى تصرف الناس من الأشياء التى لا ينطق بها خارجاً فأمسك عنها وأرى أن مثالها لا ينطق به.

فمن أكمل هذه اليمين ولم يفسد منها شيئاً كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها وأن يحمده جميع الناس فيما يأتى من الزمان دائماً، ومن تجاوز ذلك كان بضده اهـ.

كتاب العشر مقالات فى العين

قال ابن أبى أصيبعة عن كتاب العشر مقالات لحنين بن إسحاق ما يأتى(١):

قال: هذا الكتاب يوجد فى نسخه اختلاف كثير وليست مقالاته على نسق واحد، فإن بعضها توجد مختصرة موجزة فى المعنى الذى هى فيه والبعض الآخر قد طول فيه، وزاد عما يوجبه تأليف الكتاب، والسبب فى ذلك أن كل مقالة منه كانت بمفردها من غير التئام لها مع غيرها، وذلك لأن حنينا يقول فى المقالة الأخيرة من هذا الكتاب: إنى قد كنت ألفت منذ نيف وثلاثين سنة فى العين مقالات مفردة تحدثت فيها إلى أغراض شتى سألنى تأليفها قوم بعد قوم، قال: ثم إن حبيشا سألنى أن أجمع له ذلك وهو تسع مقالات وأجعله كتابا واحداً وأن أضيف له للتسع مقالات الماضية مقالة أخرى أذكر فيها شرح الحال فى الأدوية المركبة التى ألفها القدماء، وأثبتوها فى كتبهم لعلل العين، وهذا ذكر أغراض المقالات التى تضمنها هذا الكتاب:

المقالة الأولى: يذكر فيها طبيعة العين وتركيبها، المقالة الثانية: يذكر فيها طبيعة الدماغ ومنافعه، المقالة الثالثة: يذكر فيها العصب الباصر والروح الباصر وفى نفس الابصار كيف يكون، المقالة الرابعة: يذكر فيها جمل الأشياء التى لا بد منها فى حفظ الصحة واختلافها، المقالة الخامسة: يذكر فيها أسباب الأعراض الكائنة فى العين، المقالة السادسة: فى علامات الأمراض التى تحدث فى العين، المقالة السابعة: يذكر فيها قوى جميع الأدوية عامة، المقالة الثامنة: يذكر فيها أجناس

(١) ابن أبى أصيبعة ص ١٩٨ ج ١.

الأدوية للعين خاصة وأنواعها ، المقالة التاسعة: يذكر فيها مداواة أمراض العين ، المقالة العاشرة : فى الأدوية المركبة الموافقة لعلل العين . ثم قال : ووجدت مقالة أخرى حادية عشرة لحنين مضافة الى هذا الكتاب يذكر فيها علاج الأمراض التى تقرض فى العين بالحديد».

فى الحسبة على الصيادلة

قال الامام العالم عبد الرحمن بن نصر الدين عبد الله الشيرازى (١) :

« تدليس هذا الباب كثير لا يمكن حصر معرفته على التمام فرحم الله من نظر فيه وعرف استخراج غشوشه فكتبها فى حواشيه تقربا إلى الله تعالى، فهى أضر على الخلق من غيرها لأن العقاقير والأشربة مختلفة الطبائع والأمزجة والتداوى على قدر أمزجتها، فمنها ما يصلح لمرض ومزاج، فاذا أضيف إليها غيرها أخرجها عن مزاجها فأضرت بالمريض لا محالة، فالواجب عليهم أن يراقبوا الله عز وجل فى ذلك، فينبغى للمحتسب أن يخوفهم ويعظهم وينذرهم بالعقوبة والتعذير ويعتبر عليهم عقاقيرهم كل اسبوع » .

ذكر ثم المؤلف غشوشهم المشهورة مما لا يتسع لنا المقام إلى ذكرها فنجتزىء عنها بما ذكرنا؟

احمد عيسى

(١) من كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة الباب السابع : ٧ مخطوط

اختـــــلاط الجنسين

فى اختلاط الجنسين سعادة الأسرة ونشر للثقافة العامة
بقلم المربية الفضلى السيدة نظلة الحكيم

لقد كثر الجدل والخلاف على موضوع اختلاط الجنسين حتى لقد أصبح موضوع بحث العامة والخاصة ، كما وقد صار من أهم مواضيع المناظرات فى معاهد التعليم وقاعات المحاضرات هنا وفى كثير من البلدان الأخرى . ولكن المدقق فى نقط البحث التى يتناولها الكتاب فى مقالاتهم،أو المتناظرون فى حججهم، أو المتجادلون فى شرح وجهة نظرهم بخصوص هذا الموضوع يجد أن الكثيرين من البحاث يخرجون عن الموضوع، عن دحض المبدأ (مبدأ اختلاط الجنسين) أو تبريره إلى موضوعين قد لا يترتبان حتما على اختلاط الجنسين ، فهم يبحثون الموضوع على أساس مبدأ المنافسة أو مبدأ المنفعة الخاصة ،فمعنى الاختلاط فى نظر من يقع فى هذا الخطأ أحد أمرين أو كلاهما معا :

(١) أن يعتبر اختلاط الجنسين مساويا حتما لمنافسة المرأة للرجل ومزاحمتها له فى الأعمال الخاصة به،وبذلك يكون هم الباحث على هذا الاعتبار إحصاء جميع معايب المرأة وسخافاتها.

(٢) أنه يعتبر اختلاط الجنسين مساويا حتما للحصول على شريك تتوقف صلاحيته على هذا الاختلاط وبذلك يتحيز الباحث لفكرة خاصة على أساس نفعى .

وأنا إذا علقت على هذا الخطأ فلا بد لى من القول بأن فكرة المنافسة فى حد ذاتها ليس لها أساس معقول بالمرة،فالمرأة التى اضطرت منذ القدم إلى تناول مهنة لترتزق من ورائها،أو لتعول محتاجا عن طريقها لم تنزل ميدان العمل بفكرة المنافسة بل بدافع طبيعى لحفظ حياتها،وفى مرتبة أرقى للتطور العقلى قد يكون اندماجها فى أى عمل بناء عن عزة نفسها التى تأبى معها أن تكون عالة على غيرها، أما فى حالة مد يد المساعدة للغير فيكفى أن يشغل فكرها القيام بواجب إنسانى عن فكرة منافسة الرجل ، وفوق كل ما تقدم،من ذا الذى يتصدى للقول بأن كل ما عدا الحمل والوضع وإدارة شؤون المنزل إنما هو من اختصاص الرجل ؟ وكيف يحق للرجل أن يقسم ويختار فى حال أنه لا يستطيع أن يبرر لنفسه احتكار أى ميدان من ميادين العمل ؟ أليس دليلا على خطأ هذه النظرية قدرة المرأة على القيام بنفس الأعمال التى يقوم بها الرجل؟ إذاً، فليس ثمة قاعدة طبيعية أو فكرة منطقية تؤيد هذا الادعاء ، وإن حق للمرأة أن تقول: إنها تقوم بعمل خاص أعدتها له الطبيعة ولا يمكن أن يزاحمها فيه الرجل فهى أيضاً لا تستطيع أن تبرر لنفسها احتكار أى ميدان من ميادين العمل الخاص بالطفل بعد عمليتى الحمل والوضع . فتربيته وتعليمه وإرضاعه كلها أعمال كثيراً ما قام بها الرجل عن جدارة (وكم قامت الزجاجة بالارضاع مستعيرة من البقر والغنم اللبن الكافى لغذاء الطفل) .

ونحن إذا عرجنا على موضوع الحصول على شريك صالح كنتيجة حتمية لاختلاط الجنسين فانا سوف لا نجد صعوبة فى التدليل على خطأ هـذا الافتراض ، فكم من رجال ونساء جمعت بينهم الظروف واسفرت عن مجرد علاقات احترام لشخصيات معينة أو تقدير لمواهبهم أو مجرد الميل لصداقتهم دون نظر إلى الانتفاع بهم أو بهن كشركاء أو شريكات فى الحياة . كذلك كثيراً ما ساد الخصام فى أسرة تأسست على سابق تعارف واختلاط، بينما سعدت أسرة حصل تعارفها ليلة زفافها فقط .

فى اعتقادى أن بحث الموضوع على أساس اكتساب كل من الرجل والمرأة معلومات عن عقلية وميول ومميزات بعضهما البعض وكذا على أساس تبادل الآراء ونشر الثقافة يكون أكثر جدوى من بحثه على أساس المنافسة أو المنفعة الشخصية ، حتى إذا نجم عن هـذا الاختلاط شىء آخر: كاشتراك فى عمل أو تكوين لأسرة يكون ذلك كله بمثابة نتيجة عارضية لتطور طبيعى للميول والطباع والثقافة . وبديهى أن مثل هذه النتيجة لا يتأتى حصولها إلا إذا وجد ضمن النظم الاجتماعية الخاصة بالتعليم والتربية المنزلية والحياة العائلية نظام معين يهىء لعنصرى الانسانية أوسع مجال لدراسة كل عنصر للاخر دراسة مستوفاة من أول مراحل الطفولة إلى نهاية الشيخوخة ، لأن كل فرد من أفراد البشر يتطور من مرحلة إلى أخرى على طول خط الحياة، حتى أن دراسة مميزاته فى سلسلة تلك المراحل لتكشف للانسان عن حقائق هى أنفع ما يكون لفهم الذكر والأنثى كل على حقيقته . وقبل الادلاء برأى فى الموضوع يحسن استعراض بعض العوامل التى ساعدت على جعل التفكير فى هـذا الموضوع قائماً على أساس خاطىء معكوس علاوة على تجاهل قانون التطور مع التمسك بالآراء الرجعية التى تمثل السكون والجمود وتقف فى سبيل الحركة والمرونة .

يمتاز كل عصر من العصور التى تمر فيها الأمم بنزعات معينة : فتارة تتجه الأفكار إلى ترقية الأمم عن طريق الصناعة وما يتبعها من مخترعات، وأطواراً تتجه الأنظار إلى إعلاء شأن الأمم عن طريق التعليم وما يتبعه من تقدم فى العلوم الطبيعية والرياضية أو عن طريق الفتح والاستعمار وما يتبعهما من استثمار الأراضى وتقدم التجارة وازدياد الثروة . وكم فاخرت الأمم بعضها البعض فى مقدار ما وصلت إليه من عظمة فى عالم الطب مثلا أو فيما وصل إليه أسطولها من قوة، ولطالما خصت الأمم المبالغ الطائلة وأعدت المعامل المنظمة لعمل المباحث العلمية فى مختلف العلوم، ولكن الأمم جميعها أغفلت فى بدء تطورها الفكرى أمر دراسة الأسرة وعوامل سعادتها أو شقائها، وكانت النتيجة المباشرة لهذا الاغفال أن انسلخت الحياة العائلية عن العلوم الحيوية فاسترسل النـاس فى التفكير فى أمور ليس لها مساس بحياتهم العمليـة، فاذا عددنا أهم الأغلاط التى وقعت فيها الأمم وقفنا على الحقائق الآتية :

١ - الانصراف إلى العلوم النظرية والبحوث الفلسفية البعيدة عن حياة الانسان العملية أملا فى حل المسائل الكونية العويصة، واكتفوا بما سموه غذاء للروح، فلا هم علموا ما هى حقيقة الروح؟ وما هو ذلك الغذاء الموهوم؟ والدليل على ذلك أن الرياضى الماهر الذى وسع إدراكه حساب الأفلاك بالمللى وللليون قصر تفكيره عن وزن حساب بيته، وكذا الطبيب الذى فاخرت ببراعته المجامع العلمية لم يظهر لطبه أثر فى صحته أو صحة أفراد عائلته ، والفيلسوف الذى تردد حكمه فى المجالس الخارجية لم يستطع نفع بيته بشىء منها .

٢ - الولع بحب الظهور والمباهاة بالمظاهر العامة التى تعبر عما سموه قوة الجاه أو الشجاعة حتى لقد صار فى وقت من الأوقات تفكير الانسان وقفاً على وسائل غير منتجة كوسائل الحروب والتفنن فى ظلم العباد ، ثم امتداح صفات لا تزيد الأفراد إلا تماديا فى العسف والعدوان كالشجاعة والاقدام والبسالة وغيرها سواء أظهرت هذه الصفات بمناسبة الحروب أو فى مقاتلة الحيوانات كما يحصل فى اسبانيا فيما يسمونه قتال الثيران .

٣ - الوقوع فى نوع من المنافسة الخاطئة الهدامة لعنصرى الانسانية حيث أعلن كل من الرجل والمرأة الحرب على شريكه الذى هو الجزء المتمم له فى الحياة .

هنا اخذ يتغلغل فى نفس كل من الرجل والمرأة شعور خطر ادى فى النهاية إلى احتقارهما لبعضهما بل وقد تفاقم الخطر إلى حد ان السواد الأعظم من الأمة الواحدة صار ينظر إلى كل أسرة فى بلده نظرة امتهان وتحقير فى حال أنه يعظم ويمجد أسر الأمم الأخرى ويتغنى بنظامها، ورقى سيداتها ورجالها وهم فى ذلك مخدوعون ببعض مظاهر خلابة، بينما هم فى جهل بأهم ماتقوم عليه الحياة فى تلك البلاد . وليس أدل على هذه الظاهرة من بعض التصريحات التى يبديها بعض من يتحدث إليهم الانسان... تجد الفرنسى مثلا يتكلم ضد نظام الأسرة فى بلاده ويمتدح مثلا الأسرة الانجليزية ونظامها وعناية سيداتها وحكمة رجالها، فاذا ماتحدثت إلى الانجليزى وجدت أنه يفضل أيضاً فى كثير من الأحيان نظام الأسرة فى بلاد غير بلاده وإن تلطف فى القول عن بلاده صرح بأن المرأة أخذت تظلم الرجل وهى بدورها تصمه بأنواع القصور وعدم الصلاحية فلا هو ولا هى يطمعان فى إيجاد سعادة بين جدران بيتهما، ويردد صدى هذه التصريحات ما شاع حديثاً من الأغانى المسرحية تنديداً على سوء الحال من الأسرة.

أما الغلطة التى يقع فيها أفراد الأمم المتأخرة أو التى تأخرت فأقل مافيها أنها تدل على تناقض وسخافة التفكير . يغضب الفرد على نظام أسرته وبلاده ويختار الرجل خصوصاً شريكة أجنبية امتدح فيها كل ما شجعه على الثقة بها واتخاذها شريكة لحياته ، فاذا ما اندمجت فى بيئته أنكر عليها كل عاداتها بحجة التمسك بتقاليد بلاده وطالبها بالاذعان لنظام الحياة فى بلده ، وبازدياد

الخلاف والغضاضة يوماً فيوما تصبح فى نظره نار بلاده أفضل من جنة البلاد الأجنبية، ويأخذ فى الندم ولات ساعة مندم .

هذه هى الحالة الراهنة لما آل إليه أمر الجنسين والموقف الذى اتخذه كل فريق إزاء الآخر . وعليه فلا عجب لحدوث هذه الثورة الفكرية وتجسمها فى شكل هجوم لأية فكرة من شأنها الجمع بين الجنسين لأى مصلحة من المصالح . وعليه فايجاد حل للتوفيق بين العنصرين يحتم النظر إلى الحالة الطبيعية التى عن طريقها تعارف الجنسان مبدئياً وتآلفاً وتآزرا على تحمل أعباء الحياة كما يحتم علينا بحث العوامل العارضية التى أفسدت على الانسان حياته الطبيعية .

لمحة تاريخية عن تطور مطالب الانسان : إذا نظرنا إلى ماضى تاريخ الانسانية وكيف تطور البشر -خصوصاً من الناحية النفسية النزوعية- نجد أن جميع مطالب الانسان كانت فى غاية بساطة ولا تتعدى مستلزماته البيولوجية غير أنه لما استقرت طبيعته على حال ثابتة واستكمل نموه (استكمال الرجولة فى حالة الرجل واستكمال الانوثة فى حالة الأنثى) طمح إلى التقرب من بعض أفراد الجنس الآخر لشعوره بناء على قوانين طبيعته بحاجة ماسة إلى إيجاد عشير أو شريك يمرن عليه قواه الطبيعية وتتجه نحوه ميوله الغريزية ولم يكن من مستلزماته الركون إلى عشير مستديم بل كانت الحال كما هى عند الحيوان — أما وقد صعد النوع البشرى على سلم النشوء والارتقاء وأخذ يظهر بالتدريج أثر ذكائه فى تصرفاته فكان من الضرورى أن يحتفظ بنوع خاص من النظام فى حياته فعمد إلى اتخاذ شريك مستديم على شرط أن تتوافر فى هذا الشريك صفات معينة أهمها تجانس الطباع وتشابه الميول،وقد كان فى مقدور الانسان بطبيعته وفطرته أن يستكشف هاتين الميزتين لأنه كان حراً فى تجواله بين افراد الجنس الآخر واختلاطه بهم او بهن،وهذه كانت أول خطوة بتأسيس الأسرة ،فالمجتمع على مبدأ التجانس والتشابه فى الطباع — يقول ماك إيفر:(Mciver) فى كتاب علم الاجتماع (&ociel&cience) المجتمع معناه التجانس بين المخلوقات المتشابهة فى الجسم والعقل وإلا استحال عليهم تتبع أغراض واحدة وأمانى مشتركة، ولاستحالت عليهم المعيشة سويا لأن رباط الصداقة أو المحبة من أى نوع أو أية درجة لا يمكن إيجاده بدون وجود درجة ولو تمهيدية من حسن التفاهم بين الأفراد.

ظل الانسان فى رغد من العيش حتى اضطر فى النهاية إلى الخضوع لنظام الحياة فى المجتمع فكانت نتيجة استعماله لذكائه وتفكيره فى وضع نظم خاصة لحياته فى المجتمع العام أن أغفل أمر حياته فى الأسرة فجنى نفسه بنفسه أو على حد قول روسو:

« لقد خلق الانسان حراً خاليا من التبعات الأخلاقية حتى وضع أغلال المدنية فى عنقه» أو بعبارة اخرى كان من جراء الخضوع لنظم المجتمع ان خالف الانسان قوانين طبيعته وعلى الاخص فيما يتعلق بالتفاهم مع الجنس الآخر واختيار الشريك -اخذت المرأة تحتجب عنه بالتدريج حتى صار لا يرى منها

إلا شبحاً مخيفاً وهنا يصح الحكم بأن هذه الظاهرة كانت أول بادرة من بوادر التأخر، إذ بانفصال الجنسين نقص منسوب المعلومات التى كانت فى متناول الأفراد ، أصبح الرجل وعلمه قاصر على حقائق خاصة بجزء من نصف الانسانية (الرجل) وكذلك الحال بالنسبة للمرأة التى تشب فلا تعرف عن معشر الرجال إلا بعض ما تعلمه عن أبيها وأخيها وزوجها وابنها فى حال أنها قد تعلم الكثير عن النساء فتصبح ذات عقلية نسوية لا تمكنها من معرفة أصلح الطرق لمعاملة الرجل .

ولا يغيب عن بالنا أن ثقافة الانسان ورقيه ومرونة طباعه تتوقف على خبرته الشخصية التى هى مصدر معلوماته ، ومن الخطأ البين أن يقتصر الجزء الأكبر من خبرة الرجل على رجال مثله وزوجته فقط، ثم بعدئذ ننتظر أن تنتشر الثقافة الحقة أو يرتقى أدب الأمة الذى يعبر عن شخصيتها تعبيراً صحيحاً صادقا . ومما هو جدير بالذكر هنا أن بعض هيئات التربية والتعليم حتى فى أرقى البلدان وقعت فى خطأ عند إنشاء المدارس العليا للبنات فانها وضعت نظم هذه المدارس بحيث لا تبيح لرجل قط القيام بمهنة التدريس والتثقيف فى تلك المدارس، على ذلك تخرج الفتيات من هذه المدارس بعقلية نسوية بحتة لا علم لهن بشىء من خصائص الرجل من حيث تفكيره العلمى أو تصرفاته فى المعاملة، ومن المدهش أن خريجات هذه المدارس هن اللائى يعددن أنفسهن للحياة الزوجية فلنتصور أن فتاة من هؤلاء مات والدها وهى طفلة ولم يكن لها إخوان ذكور فانها تنشأ لا تعرف أقل شىء عن طباع الرجال أو لوازمهم أومعاملاتهم ، وهذا الموقف فى حد ذاته موقف خطر سواء أأصبحت الفتاة زوجا وأم أسرة من شبان أو إذا قدر لها وخاضت غمار المجتمعات البشرية، إما فى بلدها أو فى بلد آخر . ومثال هذه المدارس ينطبق فى مصر على كلية البنات وفى انجلترا على أمثال مدرستى « أودين ويكومب أبى » .

كل هذه عوامل أساءت إلى طبيعة البشر وقيدت سبل اختلاط الجنسين ذلك الاختلاط المعقول الذى لو حصل لكان سبباً فى رقى الجنسين ومساعداً على نشر العلوم والمعارف، وساعد على تدعيم العائلات وتأسيسها على روح العدالة والصداقة .

بعد استعراض هذه الصفحة من تطور حياة الانسان فهل نحن كمصريين راضون بما وصلنا إليه من هذه الناحية ؟ ، كلا ألسنا ننشد العودة إلى الحالة الطبيعية وإلى الفطرة ؟ الجواب — بلا شك — نعم . ولكن كيف السبيل إلى الرجوع إلى الحالة الطبيعية ؟

عودتنا إلى الحالة الطبيعية مأمورية سهلة وصعبة فى آن واحد .

سهلة : لأن جميع عوامل الاختلاط موجودة بالقوة فى كلا الجنسين فما علينا ألا أن نمهد سبل الاختلاط المعقول حتى تظهر هذه القوة بالفعل وتتجه فى حى مجاريها الطبيعية .

صعبة : خصوصاً فى بلادنا لأن هناك مانسميه تقاليد وعادات وانتقادات وتضحية وآراء رجعية قديمة وأخرى حديثة متهورة . نعم هذه مشكلة ، والشعب المصرى أكثر الشعوب

احتياجاً إلى حلها خصوصاً بعد أن ساء حال الأسرة فى كثير من نواحيها واشتد النفور بين الجنسين فى الأسرة والعمل . هذه الصعاب لا بد من التغلب عليها، مع حفظ كرامة الأفراد، وحماية الأعراض، وعدم مفاجأة الجمهور بحال لم يعتدها أى لا بد من التدرج فى الانتقال من حال إلى حال أخرى جديدة .

والجهات التى نطالبها بتمهيد سبل هذا الاختلاط المعقول جهتان: (١) الدولة . (٢) الوالدان.

يجب على الدولة أن تمهد سبل اختلاط الجنسين عن طريق العلم من أول مرحلة إلى آخر مرحلة كى تشب البنت جنباً إلى جنب مع الولد فينشأا على فهم عقليات بعضهما فى متعدد المواقف وتحت مختلف المؤثرات حتى إذا تعرض أحد الطرفين لنقد الآخر أو امتداحه من ناحية من النواحى كان كلامه عن علم صحيح وخبرة قيمة.

وعلى الوالدين أن يقوما بنصيبهما فى حل هذه المشكلة ولا يكون ذلك إلا بعمل فتح أخلاقى جديد، وذلك بأن يهتم رب البيت بحياة أسرته أسوة برب البيت الراقى فى الأمم الراقية الذى يصبح بيته بمثابة ناد أدبى بفضل من يحضر إليه من خيرة القوم . فاذا تيسرت لرب البيت معرفة صديق يرى فيه من الخلق الطيب ما يناسبه فلا يقتصر على معرفته فى خارج المنزل فقط وتمضية الساعات الطويلة معه فى مناقشات قد يكون لها أكبر أثر فى رقى أفراد أسرته إذا أعطوا فرصة سماعها . يجب أن يدعو رب البيت من يثق بهم من أصدقائه فقط إلى منزله (وأرى لزاما أن تدعى الزوج معه) حتى يكون هناك مجال للتعارف العائلى الصريح وحتى تعطى لأبناء وبنات الطرفين فرصة التعارف تحت رعاية وإرشاد الوالدين، ولست أقصد أن يتم حتما من وراء هذا التعارف شىء شخصى ، وإنما أقصد قبل كل شىء تبادل المنفعة عن طريق تبادل الآراء والاحترام والتقدير ونشر الثقافة وإيجاد روح مودة وتفاهم على أساس صريح لا بين الفتيات والفتيان فقط، بل بين طبقة المتزوجين أيضاً من رجال ونساء . كذلك يجب أن يصحب الوالد أفراد أسرته جماعة أو بالدور حسب ظروفه إلى الأماكن التى يغشاها كى يعطوا فرصة تكييف طباعهم واستعمال معلوماتهم تحت مؤثرات أخرى متنوعة .

ما الضرر الذى يحصل من ذهاب الرجل وزوجه أو ابنته إلى قاعة علم تلقى فيها المحاضرات العلمية والاجتماعية فيقفون على بعض الشىء عن تقدم العالم وتأخره ، أو ما ضرر اصطحاب أهل البيت للحفلات التى يذهب إليها إذا كانت مما يرقى أفكار السيدة ويزيد فى معلوماتها ؟ يتألم كثير من الرجال ولهم العذر أحياناً لأن نظام بيوتهم وعناية أسراتهم بهم أقل بكثير مما يشاهدونه فى بيت الآخرين ويوجهون اللوم إلى زوجاتهم وأولادهم وهم فى الواقع معذورون وخصوصاً السيدات فلا الرجل وصف لهن ما رأى من مميزات فى البيت الآخر ولا هو سمح لهن برؤية شىء آخر أحسن ، فأنى لهن بتجديد أفكارهن أو التفنن فيما يجمل وينظم بيوتهن ويرقى مشاعرهن.

من أهم ماأريد الاشارة إليه أن اختلاط الجنسين حاصل بالشعور، وتياره جارف بحيث أصبح لايجدى نداء المنادين ضده. ومما أريد أيضاً تنبيه الأفكار إليه أنه، مع الأسف، فى كثير من الأحوال يحصل الاختلاط بطريق تتناقى مع الفضيلة ومع كرامة الاشخاص واسرهم . فالى متى يظل تمادى البحاث والمفكرين فى تجاهل هذه الحقائق ؟ أليس من الجهل أن تظل المقاومة والمعارضة مستمرة والتيار مندفع لا يمكن مقاومته؟ وأليس من الحكمة التفكير فى وضع نظام يحدد مدى الاختلاط على أسس علمية وخلقية متينة ؟

لنأخذ أسوأ الحالين ولنسأل أنفسنا مع تحكيم العقل والعلم والضمير .

أى الحالين افضل أو أسوأ : رؤية الرجل وزوجه او ابنته او أخته فى إحدى المقاهى او المطاعم المفتوحة للجمهور صراحة والمكلفة أمام حكومة الدولة على كل مايضمن كرامة المكان ومطاردة كل من ينتهك حرمة الآداب العامة ؟

أو العلم بأن الرجال يتصلون فى الخفاء بنساء غير نسائهم والنساء يتصلن برجال محرمين عليهن؟ مع استذكارنا لعادة الذهاب إلى المقاهى وجعلها اماكن المجتمعات العائلية، ألا ان الانسان يفضل اقل الضررين وما دام الانسان يذهب فى زمرة من اهل بيته فلا خوف عليه ، وانا إن حبذت الاختلاط فى ميدان العلم فى المدارس ونوادى علمية وفى الأعمال العمومية وفى الاسرات الخصوصية تحت رعاية الوالدين وفى الجمعيات الخيرية الخ.. فانى لا احبذ بالمرة الاختلاط الشخصى المطلق، بل انى افضل الطريقة الشائعة بين كرام الأسرات الفرنسية المتينة . فى تلك الاسرات يحصل الاختلاط فى المجتمع ولكن لايسمح به بين الافراد (كأن يصحب الصديق ابنة او زوج صديقه لأى مكان تفريح او غيره ، كما يحصل فى البلدان الأخرى فى العهد الحديث) .

واذا سمح للبنت او الولد ان تختلط بأحد من الجنس الآخر فهذا فقط عند التأكد من انهما يريدان دراسة اخلاق بعضهما بقصد المشاركة فى الحياة، ومع ذلك فلا بد من وجود شخص آخر من اسرته او اسرتها حتى لا يكون ثمة فرصة لحصول شىء مكدر .

عارض الشباب فى انجلترا هذا المبدأ وخرج عليه بحجة وجود شخص ثالث فيه ارهاق على الرجل ولكن هذه الصعوبة امكن التغلب عليها فى كثير من الأحوال بأن تكفل كل بنفقته . على ان الكليات فى انجلترا لم تغفل الجانب الآخر من ضعف الارادة أحيانا واحتاطت لذلك بأن جعلت ضمن قوانين الأقسام الداخلية عدم السماح لطالب أو طالبة بالوجود فى حجرته الخصوصية مع شخص واحد من الجنس الآخر فى بحر السنتين الأوليين من الانتساب للجامعة. على أنه مباح للجميع دعوة من يريدون بشرط ان يكونوا جماعة ، وفى السنين النهائية للطالب أو الطالبة حق الوجود بمفرده مع فرد او افراد من الجنس الآخر ، والفكرة الاساسية هنا ان الطالب او الطالبة قد حصل على قسط من الثقافة يمكنهما من المحافظة على كرامتهما، وإنى احبذ

هذه الطريقة التدريجية لتعود النشء على تقدير المسئوليات ومعرفة الضار والنافع من العادات.

على العكس من ذلك لا احبذ طرق الاختلاط التى أخذ فى نشرها بعض افراد الأجانب والمتمصرين جنسية لاعادات وبعض أفراد هــذه الامة — اعنى عن طريق حفلات الرقص الدورية شهرية كانت او سنوية، او عن طريق المقابلات فى (الصالونات) المفتوحة على مصراعيها لـكل شارد ووارد — هذه اماكن إغراء فى الواقع قلما ينجو الشباب من خطرها خصوصاً فى بلد كبلدنا .

هناك فرق شاسع بين اختلاط الجنسين فى تلك (الصالونات) وبين اختلاطهما فى أداء الأعمال العامة التى قلما تترك فرصة للاستهتار، كذلك لا تتساوى هذه (الصالونات) بالنوادى العلمية الخاضعة لنظم خاصة مما يحفظ كرامة المنتسبين إليها من رجال وسيدات.

لقد اساء هؤلاء فهم الغرض الأساسى من مثل هذه الحفلات وتلك المقابلات، إذ أن اصل الفكرة اتى عن طريق زوجات بعض اساتذة الكليات فى البـلاد الراقية وبخاصة فى المانيا وانجلترا، ففى كمبردج مثلا رأى بعض زوجات الأساتذة ضرورة تمهيد بعض السبل لتسلية طلاب وطالبات الجامعات وتعويدهم على آداب المجتمعات فكانت تعد حفلات شاى وسمر (من تمثيل وغناء وموسيقى ومسابقات والعاب) ويكون لهذه الحفلات برنامج يبحثه جماعة من ارقى أساتذة الجامعة وقادة الرأى فى المدينة قبل العمل به . فبالمقارنة تبين فساد المجتمعات التى تشرف عليها سيدات لسن على شىء من العلم بأمور التربية الاجتماعية ، فواجب الأفراد الابتعاد عن هذه الأماكن.

انى ارى من الضرورى الجمع بين الثقافتين: الغربية والشرقية، ولـكن على اساس ما يتفق مع تقاليدنا وديننا وارى مع سعادة شفيق باشا ان الأمم الغربية لاشك سبقتنا فى العلم والرقى (١). ولـكن ما لم تكن الحكمة رائدنا فى التقليد ضللنا السبيل وانزلقت اقدامنا فى الهاوية التى يتعذر علينا منها الخلاص فى الوقت الذى قصـدنا فيه التوفيق والهداية إلى خير الطرق التى تـكفل سعادة الجنسين ورقى الأمة؟

نظلة الحـكيم

---

(١) راجع الجزأين: الاول والثالث من مجلة (المعرفة) .

شمس

بقلم محمد امين حسونه

وفد «عمران» الى القاهرة لأول مرة فى حياته ، وقد كان فى بلده فى الريف مابين الساقية والشادوف يسمع عنها وعن مظاهر الترف والنعمة التى تحوطها ، ماحير عقله ويأخذ بلبه ، وما دفع به شوقا إلى أحضانها يتلمس ماتخيله من مشاهد الفتنة والاغراء التى تفيض عليها . وليتلمس أيضاً البركة فى زيارته لأضرحة أولياء الله حتى تحل عليه النعمة فتجعل موسم القطن باسما والحالة فى رخاء حتى يتمكن من أن يبيع الثمانية قناطير المخزونة عنده من العام الماضى .

نزل (عمران) من المحطة فأدهشته تلك العظمة المتجلية فى محطة القاهرة وفى ميدانها وفى المبانى الشاهقة التى كان يمر بها تباعا أثناء ركوبه الترام الى « المشهد الحسينى » واعتقد فى نفسه انه فى « الجنة » التى كان يتخيلها ويسمع عنها من التعاليم الدينية التى كان يلقنه إياها الشيخ «يونس» فقيه القرية وعالمها اللوذعى !! فالفارق عنده الساعة بين مايراه وبين ما ألفه فى عزبة « ابوسويلم » كالفرق بين الدار الدنيا ودار الآخرة التى انتصب خيالها فى ذهنه .

كان (عمران) يكثر من تردده على «مسجد الحسين» للتمسح بأعتاب مقصورته وتمريغ وجهه على الحاجز النحاسى الذى يحوط المقصورة ، فاذا فرغ من هذا بدأ بتلاوة الفاتحة وما يتيسر من القرآن، ثم يرفع يده ويشخص ببصره إلى السماء ويأخذ فى تلاوة دعاء معروف لديه وهو: أنه بفضل وبركة الحسين سبط المصطفى ينيله الله مقصوده ويحقق أمنيته، فيبيع أقطانه المخزونة ويوفى دينه، ثم يوجه الكلام إلى نفسه بأنه إذا تحققت هذه الأمانى أوجزء منها فسوف ينذر الشموع للحسين ويوزع الصدقات من اللحم والثريد على الفقراء فى ليالى المولد ، فاذا فرغ من كل ذلك تنفس ملء صدره وقد شعر براحة تامة كأنه أدى ديناً كبيراً أو وفى نذراً مكتوبا عليه .

ويلتقى (عمران) صدفة بالشيخ يونس مأذون القرية وفقيهها ، فيبتهج لذلك أيما ابتهاج ، لأن الصدف السعيدة قد دفعته إلى لقيا الشيخ ، فقد سبق أن مكث بالقاهرة نحو سنوات أربع أيام أن كان يطلب العلم بالازهر ، فهو ولا بد يعرف طرق القاهرة ودروبها ومشاهدها وأعلامها ومقر أولياء الله وأضرحتهم ، فيستطيع أن يصحبه إلى زيارتهم والتبرك بمقامهم .

ويقصد فى صبيحة اليوم التالى إلى «أم هاشم» والسيدة نفيسة والمتولى والامام وغيرهم للزيارة ، وليقرأ الفاتحة ، نيابة عن كل من كلفه من أهل قريته بقراءتها ، وكان يلتمس البركة فى

زيارته لضريح كل من هؤلاء ، طالباً ان تحل عليه النعمة وعلى آله حتى يستطيع أن يزور « اهل البيت » فى موسم الحج القادم .

***

نشأ (عمران) فى (كفر ابوسويلم) من اعمال مركز ميت غمر ، صبيا يافعاً تلوح على محياه امارات الفطنة والذكاء... يقصد فى الصباح الباكر (كتاب الحاج عبدالتواب) فيقرئه القرآن ويرويه الأشعار ويلقنه مبادىء القراءة والحساب ، فاذا جاءت الظهيرة تناول القليل من الطعام ثم يقصد إلى (حقل الباشا) الذى يعمل فيه ابوه ، ليساعده فى اداء بعض الشؤون إلى ان تحين ساعة الغروب ، فيصحب الولد اباه إلى المسجد لتأدية فريضة الصلاة ، فاذا فرغا منها ، فانهما يظلان إلى موعد صلاة العشاء ، حيث يلتئم شملهما بالشيخ يونس مأذون القرية وعم متولى الفقيه الأعمى والحاج عبدالتواب معلم القرية وغيرهم ، يتحدثون عن اخبار الزراعة وجنى القطن والرى واخبار العمدة وموعد الانتخابات وعن كل مايحوط بهذه القرية الصغيرة من مظاهر البساطة والقناعة ، فاذا اذن صوت المؤذن بصلاة العشاء نهضوا جميعاً إلى تأدية فريضتها ، ويبتهلون إلى الله فى حرارة وتقوى ان يثبت اقدامهم وينصرهم على اعدائهم وان تحل بركته عليهم وعلى آلهم اجمعين .

***

وخرج (عمران) كعادته فى صبيحة كل يوم إلى « المكتب » وكانت الشمس قد بدأت ترسل خيوطها الذهبية على المزروعات ، فيسقط الندى تحت تأثير حرارتها ، وكان يرى عن بعد سرب من فتيات القرية الحسان يرفلن فى ملابسهن الريفية ، وقد اتشحت كل منهن بمئزر اسود . ووضعن على رءوسهن جرات الماء لملئها من الترعة المجاورة ، وكن يرنمن بأصواتهن الجميلة فى هذا الصباح الباكر ، كالطيور على غصون الاشجار ، تلك الأغنية الحلوة الريفية (عطشان ياصبايا دلونى على السبيل)

كم من مرة سمع (عمران) مثل هذا فلم يؤثر فى حسه ووجدانه بمقدار ما أثر اليوم ، فقد كانت تتوسط الصبايا فتاة اشتهرت بين بنات قومها بما حبتها به الطبيعة من رقة الصوت ، وكان صوتها هذا الحنون ، يردد أعذب الأغانى وأحلاها فيحاكى ما كانت تترنم به العصافير فى هذا الوقت الباكر . وظل (عمران) يشيعهن بانظاره حتى اقتربن من مورد الماء فكشفن عن سيقانهن العارية ، ونزلن لتنظف كل واحدة وعاءها قبل ملئه . ووقف (عمران) متواريا فى ظل شجرة يمتع نفسه وحسه بسحر هذا المنظر وليشبع نفسه بصورة حية من جمال (شمس) الفتان والذى طالما تغنى به شبان القرية .

فقد كانت (شمس) حقا ، شمساً منيرة على القرية وساكنيها ، تضىء بسناها وبهجتها

باليهم الداكنة ، وتبدد بابتساماتها الساحرة أحزانهم المظلمة، وتشرح بأغنيتها الحلوة صدورهم المكلومة ، كانت مهبط القلوب ومحط الانظار والمثل الأعلى الذى ينتصب فى أذهان شبان القرية ورجالها .

وعلى حين فجأة سمع (عمران) صراخا من بين الفتيات ، يطلبن المعونة والنجدة ، فقد زلقت (شمس) بقدمها، وغاصت تحت الماء ، فأسرع لساعته وقذف بنفسه فى الترعة يبحث عن الموضع الذى استقرت به، حتى أمكنه بعد جهد ومشقة ، أن يمسك بها وأن يرفعها بساعده القوى من وسط الماء ، ثم أتى بها إلى الشاطىء وأجلسها على الحشائش الملاصقة للترعة ، وهو يحاول جهده أن يفيقها من غيبوبتها ، وكانت الفتيات يساعدنه بأن يفركن وجهها ويديها حتى تدب الحرارة إلى جسمها .

وعادت (شمس) إلى حالتها الطبيعية وكانت أول كلمة لفظت بها : (أنا فين ؟) فلما أطلعتها صويحباتها على الحقيقة المرة بكت وانتحبت وصممت على ألا ترد الماء مرة أخرى ، وتفوهت ببضع كلمات تشكر بها منقذها ، ثم انصرفت معهن إلى حال سبيلها تتوكأ على ساعد أختها فاطمة.

كان (عمران) إذ ذاك فى السادسة عشرة من عمره ، ولم يكن كشبان هذا الجيل من سكان المدن يتيه نحافة وضعفاً ، بل كان وهو فى هذه السن فتى يافعا ، تلوح عليه امارات الرجولة والخشونة ويملأ جسمه القوة والعافية ، فلا عجب أن يتزوج أهل الريف وهم فى هذه السن .

وشغلت (حادثة الترعة) ذهن (عمران) طول يومه ، فقد تحدث بها إلى رفاقه فتيان (المكتب) ورواها لأمه ولأسرته لدى أوبته ليلا إلى المنزل .

على أن حادثة كهذه ، سرعان ماتنتشر فى أرجاء هذه القرية الصغيرة فتملأ الأسماع ، ويلهج بها كل إنسان ، وكان من جراء هذه الهالة من المجد والاحترام التى أحاطت بعمران أن أوجدت له حساداً ومنافسين من شبان القرية، وممن كانوا يتسامون بجسم (شمس) عن أن يمسه مثل هذا الشاب الوضيع الذى يعمل أبوه (خوليا) فى (حقل الباشا) وان يكون لمثل هذه الحادثة أثر فى نفس الفتاة فتحله من قلبها مكانة رفيعة .

ومرت الأيام تباعا تحمل فى أعطافها حسد منافسيه وقسوة محبيه ، وكانت أواصر المعرفة والصداقة قد انعقدت بين أسرة (عمران) وأسرة (شمس) من جراء هذه الحادثة ، وصممت والدته على أن تطلب الفتاة زوجة لولدها، إلا أنها أرجأت هذه الفكرة حتى تبيع محصول هذا العام من القطن.

وبلغ (عمران) الثامنة عشرة من عمره ، وكان شهر (اكتوبر) وهو الشهر الافرنجى الوحيد الذى يعرف اسمه سكان القرى من كل شهور السنة الميلادية ، لأن فيه تباع أقطانهم فيروا دولاب الأعمال متحركا، وارتأى (عمران) أن يقصد إلى العاصمة للتبرك بأولياء الله الصالحين حتى ينصروه على

أعدائه وحساده ممن كانوا يزاحمونه محبة (شمس)، وليبارك الله فى محصوله حتى يتمكن من بيع أقطانه ويستطيع الزواج من (شمس)، فيحقق بذلك أمنية طالما خفق لها قلبه.

وعاد (عمران) إلى بلده بعد أوبته من أداء واجب الزيارة لأضرحة أولياء الله، فشعر بالايمان يعمر قلبه وبالتقوى تملأ صدره فتسد ذلك الفراغ الذى كان يحس به من قبل.

***

وذات يوم قصدت فيه (شمس) إلى سوق القرية المجاورة، برفقة أختها فاطمة لشراء بعض الحاجيات، وكانت أنوثتها قد كملت، فبرز نهداها وتوردت وجنتاها، ورآها (عمران) فتبعها عن بعـد، حتى لحق بها، فلما أبصرته ارتجفت وغاض لون وجهها وازدادت نبضات قلبها، فأقبل عليها يحدثها قائلا :

(على فين كده ياشـمس؟) صباح الخـير أولا (وانت كمان يافاطمة!!)

فحيته بتحية ملؤها الخجل والحياء، ثم شرحت له مهمتها فى الذهاب إلى السوق، فرجاها أن يصحبها حتى يعاونها على شراء وحمل حاجياتها فقبلت منه ذلك بعد تردد.

وفى الطريق وسط المزارع والحقول أقبل عليها يحدثها أولا عن سر التقائه بها صدفة، ثم عن حادثة الترعة إلى ان تدرج بها الحديث إلى ان يشرح لها شدة مايعانيه من الوجد والصبابة من يوم ان رآها، وعلق فؤاده بها وبحبها، وأنه ولا بد سيتذوق ثمرة هذا الحب وهو الزواج.

وكانت (شمس) تعرض عن حديثه فى بادىء الأمر، إلا أن اعترافه الأمين بهذا السر الدفين، من الوجد الصادق والرغبة الأكيدة فى الزواج، حملها على ان تستسلم له وأن تخفض لحبه جناح الذل من الرحمة.

وتعدد ذهاب (شمس) إلى سوق القرية المجاورة صباح كل أربعاء بحجة شراء بعض الحاجيات وحتى يتحدثا من وقت إلى الآخر أحاديث شتى، حديث الحب والزواج، الأمل الواسع والحلم المترامى الاطراف، حديث من يود أن يملك الدنيا ومن عليها، حتى تعاهدا على الزواج.

وتناقلت القرية شيبها وشبانها، اسم (شمس) ولاكته ألسنتها بالسوء والاشاعات الراجفة، حتى فطنت أسرتها إلى ذلك، فمنعت الفتاة عن الخروج من المنزل، حتى أنه لما ذهبت أسرة (عمران) لتخطبها، مانع والد (شمس) فى ذلك لما بين الأسرتين من الفوارق من حيث الجاه والثروة، والحسب والنسب، ولأن دور التجنيد السنوى لشباب القرية قد حل موعده واقترع (عمران) لينخرط فى سلك الجندية.

فتحطم فؤاده لهذه الصدمة الأليمة التى لاحول له بها ولا حيلة، من أين له فى هذه الازمة بعشرين جنيها يشترى بها راحته من الجندية؟ سوف يبعد منذ الصباح الباكر عن هذه القرية المحبوبة التى ازدهرت بين رياضها أحلامه وأمانيه، والتى خفق فيها فؤاده لأول مرة، إلى السودان

وسط الصحارى والفيافى ، يلفح رأسه حر الهاجرة ويذوق من عذاب الفراق أمره وأقساه، بعيداً عن أهله وذويه .

إلا أن الايمان يملأ قلب (عمران) فعرف أن هذه إرادة الله ولا مرد لارادته ، وطلعت شمس اليوم التالى و (عمران) فى القطار ينهب به الأرض نهبا إلى (العباسية) حتى إذا ماتلقى المبادىء الأولية للجندية وأنظمتها ، سافر إلى السودان ، كجندى عامل فى بناء مجد الوطن وعنوان فخره ، وذائد عن حياضه .

وحاول مرة أن يعود باجازته السنوية إلى القرية ، فكتب بذلك إلى ابن عمه ، إلا أن الرد سرعان ماجاءه وفيه خيبة الأمل التى تعلقت بأهدابه ، فان الأفراح سوف تقام فى هذه الفترة (لشمس) حيث تتأهل بابن العمدة ، وتحطم فؤاد (عمران) لهذه الصدمة، وحملته شدة الوجد الصادق للفتاة أن يظل فى السودان بعيداً عن رؤية أهله وذويه ، حتى لا يتخذ حضوره هناك ذريعة لاشاعات يتقول بها خصومه ، فقد كان يعلم أنها إنما تزوجت بابن العمدة قسرا عنها وطواعية لرغبة أهلها الذين ساقوها إلى هذا الزوج كالأنعام ، ليبنوا مجدهم ورفعتهم على حساب العمدة .

وساورته الأفكار والهواجس المظلمة ، إلا أنه استعاذ بالله خيراً منها ، وعرف أن كل شيء إنما يجرى بارادة الله ، وكانت الشمس قد بدأت تعود وراء جبال النوبة ، وظهر الشفق بلون أحمر حتى كنت تحسبه بحاراً من دماء ، فقصد لساعته إلى مسجد المعسكر ثم توضأ واستعد لصلاة المغرب م؟

محمد أمين حسونه

المجلد الاول

خواطر ونقدات

العلم وجريمة التبشير

توجه العلم إلى ارتكاب الجريمة فى وضح النهار ، وما على العلم من ضير ، ولكن الضير كله على من استخدموه . فقدكان التنويم المغناطيسى حتى اليوم أسلوباً من أساليب الثقافة والكشف – وإن كانت وجهته للسلوى أوفر انتشاراً ، ولكن المبشرين قد مهدوا به سبيلهم إلى الجريمة ، حتى تمكنوا من رأسها وولغوا فى دمائها وتمرغوا فيها إلى الأذقان.

تمكنوا من ارتكاب الجريمة الشنعاء حين أوقفوا علم التنويم على اقتناص عقلية بريئة لم يكن من شأنها ان تكون فريسة لهم لو لم يسلطوا عليها ذلك السحر الأخاذ .

على ان الله قد رفع الستر عن السر الخبىء ، فاذا بالحقيقة ترفع رأسها فى ضوء الشمس ، وإذا بقصة (يوسف عز الدين عبد الصمد) تجرد اللعنة على مؤلفيها الأشرار .

لقد شاءوا ان يكون الفتى نصرانيا ، فأذهلوا عقله ، وأزاحوه عن صوابه ، وأطلقوه جائعاً مروعاً فى حجرة لاعهد له بها ، بعيداً عن أهله ، ولكن الله قد فضحهم ومزق حبالهم وأزاح عن الفريسة نبالهم .

لقد ارتكبوا جريمة السرقة مرتين : سرقة الفتى من مستقره ، وسرقة عقله من رأسه ، أما الفتى فقد عاد إلى ابيه – ومن شأن القانون ان يقتص له – واما عقله فقد عاودته اللوثة إلى اليوم ، وما من ريب فى ان الأوصاب التى يعانيها إنما هى وليدة ذهوله المرير

إن « التبشير » فى الأوساط الاسلامية امر يدعو إلى العجب ، فما من مسلم واحد رضى الفرار من دينه حتى لو كانت الطبيعة قد اسلمته إلى اعمق اعماق الهوان ، ولكن المبشرين قد استحوذت عليهم روح الجهالة ، فهم يطمعون ويأملون ويعملون حتى تتحقق آمالهم واطماعهم.

إن هذا الحادث يصور لنا جانبا من حدة التبشير فى مصر ، ولكن الجوانب المستورة اروع واروع ، هناك تبشير فى المدارس والمقاهى والنوادى والمستشفيات ، وهناك مبشرون يلبسون الأدب إهاب الدعاية الحافلة بكراهية الاسلام .

ولكن واحداً منا لم يفتح عينيه على موضع السر فى ذلك ، وما نريد ان نستطرد او نسرف فى القول ، وإنما نريد ان يقف المبشرون عند حد معقول حتى لاتكون زوبعة تعصف باتحادنا المقدس ، فهل تدرك الرؤوس المفكرة ؟ وهل تعى ..؟ وهل للحكومة ان تفكر فى غل يد هذه المعاهد والنوادى والجمعيات ؟

وبعد : فاذا لم يدرك المبشرون ذلك تماما ، فسيدركونه قريبا ، يوم نحاربهم بسلاحهم الدنىء ، ويجرد لهم الازهريون « السلاح الأحمر » إذا لم يجد معهم سلاح المنطق .

مشروع القرش

يتساءل (بيرون) فى إحدى رسائله الخالدة فيقول : هل من قوة فى العالم تسير الأمم ، وتدبر أمر الشعوب غير قوة الشباب ؟ ولست أذكر الآن ماذا أجاب (بيرون) على نفسه ، ولكنى أذكر ان مجد الشباب وعظمته وقف على قوة دونها كل القوى البشرية ، تلك قوة الشباب التى تستطيع أن تبنى وتهدم فى دأب وفى جلد وهمة .

وإذا كان الأقدمون قد عرفوا الشباب بأنه «شعلة من جنون» فلعمرى ماذا أبقت الأيام من هذه القالة الجريئة ، ونحن نراه الآن شعلة من عقل ، أليس العقل تاج الارادة التى لا تتورط فى ضلال ، ولا يقف دونها حائل ؟

لقد احتمل الشباب أعباء البعث فى كل صوره ، وكانت النهضة المصرية - على ضروبها - وليدة جهادهم الحافل ، وجهودهم النافعة ، وها نحن اليوم نرى .. ماذا ؟ نرى انهم قد خلقوا « مشروع القرش » واستنفدوا فكرته من قرائحهم التى لم تجدبها شواغل الحياة .

وما أظننى فى حاجة لأن اقول عن مشروع القرش إنه رأس لمؤسسة مصرية تقينا - إلى حد محدود - شر احتكار الأجانب ، فقد يكون هذا القول من البداهة بمكان الشمس نفاذاً فى الأبصار ، ولكنا نقول إن «القرش» الذى لا يجدى عليك فى اتفه رغائبك ، واحقر مطالبك ، سيكون لبنة فى صرح كرامتك ، ولوناً فى صورة استقلالك .

أيها المصرى! إن اولئك الشبان الذين تطالعهم فى ناديك وفى مصنعك وفى حقلك ، وفى الشارع وفى كل مكان تختلف إليه ، ليطلبوا إليك (قرشا) واحداً ، إنما تتصل أسبابهم بأسبابك ، لأنهم بنوك وإخوتك ، ولأنهم اشبال اليوم وأسود الغداة ، ولأنهم إلى ذلك يتفيأون فى جولاتهم الجريئة بظل من آراء سديدة ، وعقول رشيدة ، آراء نخبة من خيرة القادة ، وعقول طائفة من أبنائك النابهين .

سترى ايها المصرى ان الأشبال الغزاة قد التفوا بك من اليوم (يوم أول فبراير ١٩٣٢) فليكن مقامهم حيالك كومضة الطيف ، أو غمضة الطرف ، لأنهم يبتغون لقاء الملايين من إخوانك ، حتى تكون جهودهم اجدى اثراً ، وأوفر إنتاجا .

هذا أوان الجد ، فاياك والعار تسجله على أمتك ، وتدع الأجانب بنا ساخرين .

حسن منصور

لم ينتصر أحد فى قضية الموت : فله وحده الغلبة والنصر ، وللصادقين الصالحين منه مقام هنىء رخى رضى ، فى جنات عرضها السماء والارض .

وليس على أحدنا أن تهده الفجيعة فى راحل يتصل بأسباب الخلد فى الآخرة ، ولكنها الطبيعة قد فطرتنا على التوجع ، وتعهدتنا بالأسى كلما عزب عن الدنيا وجه كريم .

وإذا كان ثمة من ألم يحفزنا على أن نسجل فجيعتنا فى الفقيد الكبير المرحوم الشيخ حسن منصور ، فما من ريب فى أن هذا الألم يدفعنا إلى إذاعة حياته فى الصورة التى طبعت بها وفطرت عليها ، وهى الصورة الرائعة المجيدة الخليقة بالبقاء والخلد .

كان الفقيد أسبق الذائعين فى ذهن الأستاذ الامام ، وانطلاقا على لسانه ، لأنه الرجل الذى عنى بالعلم للعلم ، خالصة نفسه من لوثة النفاق ، بريئة من أدران الدنيا وأوضارها الثقيلة ... وكانت صحبته للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مؤثرة على حواسه جميعاً ، فله منه اللسان الطلق ، والقلم الجوال ، والنظرة السديدة ، والرأى الرشيد ، والفكرة التى لا تلفها من اللبس أستار وحجب ... وله منه إلى ذلك العقل الحر الذى يعمل لينتج ، لا ليعيش فى ظل غيره .

ولقد وفرت عليه هذه الخصائص حالة الرضى ، بل قل وفرت عليه حالة الزهد ، فلم يسع إلى منصب ، ولم يكتنز العقار والذهب ، وإنما خرج من الدنيا فى حراسة قناعته ، وكأنه كان فى حياته الرجل المكدود الماحل .

ولعمرى ما يعيبه ذلك فى شىء ، فحسب العالم الاسلامى من أياديه أن استبقى من خلفه - دون ذريته - آثاراً فى التفسير باقيات : تفسير القرآن والحديث ، وحسب المناصب - إذا ما شئنا أن نتفاخر بها - أن يكون الفقيد قد رضيها فى حياته ، فكان له منها منصب الوكيل فى مدرسة القضاء الشرعى ، ومنصب الوكيل فى دار العلوم .

وإنه لباق على الزمن أن يحدد مكانة الفقيد الكبير ، وذلك التحديد رهن بصنائع تلاميذه ، أولئك الذين يجدر بهم أن يقدموا للعالم الاسلامى صور نتاجه فى سفر يتعهدونه بالضئيل الأقل من جهودهم المرتجاة .


ابواب المعرفة

فى دار العروبة

ليس فى « المعرفة » حنق دفين على أستاذنا شيخ العروبة حتى نتنبأ لمائدته بأنها حين تفلت من إسار جيش جرار ، إنما تستريح بعض الوقت لتحمل إسار جيش جرار آخر .

ولعلها نبوءة لم يدرك اسباب تحقيقها إلا الراسخون فى العلم .. ولكن « المعرفة » تعلن الناس جميعاً بأن شيخ العروبة قد أصبح وكل همه ألا يحقق من أمانيها إلا مايتصل بالمآدب

وهذا فى الحق كسب يغريها على أن تفتح الباب على مصراعيه ـ باب دار العروبة ، لا باب دار المعرفة ـ ثم تدعو كل « أكال » عظيم إلى مائدة الدار التى لا تضيق بوافد ولا يضطرب فى « ميزانيتها » باب المصروفات ..!

ولقد كانت حفلة «الشهر المبارك» باكورة البواكير من زميلاتها فى « رمضان المعظم» حين دعا شيخ العروبة إليها طائفة من رجال الشرق الممتازين ، فى مقدمتهم الأمير العربى العريق سعيد الجزائرى ، والأمير الشركسى العريق سعيد شامل ، وزعيم مسلمى روسيا الاستاذ عياض اسحاق بك ، وفضيلة السيد رشيد رضا ، وسعادة وزير الافغان السيد صادق المجددى والسيد عبدالعزيز الثعالبى زعيم تونس المعروف، وحسان فلسطين الكبير السيد ابو الاقبال اليعقوبى، والدكتور احمد بك عيسى ليكونوا على « المائدة الزكية» صحبة ذلكم الرهط الذى ألفته أرائكها... وماعلى « المعرفة » أن تتولى عملية التعداد، لأن الله لم يوفر لها حتى اليوم دماغا يعى الجميع ويحصى الجميع ـ وخاصة ما يتصل بأمر الأضياف فى دار العروبة ـ ولكنها تستطيع أن تذكر الأفغان ولبنان وسوريا والعراق والحجاز وفلسطين وتركستان وبولندا والصين والجزائر وتونس ومراكش . . . بل تستطيع أن تستحضر (الأطلس الحديث) لتنقل عنه دول الأرض دولة دولة ، فقد كان يمثل كل واحدة منها نفر .. قل واحداً أو اثنين أو ثلاثة ... أو ماشئت فلن يتهمك أحد بالافك والبهتان .

وإذا كانت مائدة « العروبة » قد أفزعتها هذه الألوان البشرية الكثيرة ، فالحق انها خرجت عن طوق الفزع ، وأسلمت نفسها إلى الراحة ، بعد أن زودت الضيوف كل واحد باللون الذى يتميز به بلده من ألوان الطعام . . وليس ذلك بعسير على صاحب السعادة شيخ العروبة الذى قلب بطون الكتب وبطون الدول ، بل قلب بطون الموائد على طريقته فى العناية بكل شىء والسؤال عنه والتدقيق فيه لتجربته وتطبيقه .

ولقد كانت خطب التأهيل بالمدعوين بالغة حد الامتاع .. كما كانت ظواهر الحفلة تدل على أن المحتفلين منها قد انتهوا إلى شأو الأخاء من أمد بعيد ... ومافى هذا الأخاء من ريب .

لأن العروبة تجمع .. ومحال عليها أن تفرق.

والآن .... هل تكون «المعرفة» صادقة فى إذاعتها بأنها ترى ـ من اليوم ـ شبح المائدة الزكية تتهامس أرائكها فيمن يقتعدها المرة الآتية ؟ لاشك أنها صادقة وصادقة جداً.

ولا شك ان شيخ العروبة سيرحم صاحب « المعرفة » فلم تعد له المعدة التى تحتمل «آدب دار العروبة»، وكل آت قريب .

في دار الشهبندر

يطبع الزعيم السورى الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر حفلاته جميعها بالطابع الذى يروق الأديب، ويفتن الشاعر ، ويطلق ريشة الفنان .. لافى مدارج الريح، بل فى غمرة الابداع والروعة ، فكل ما فى هذه الحفلات : أدب ، وشعر ، وفن، وعلم ، واجتماع .

ولقد كان بين الوافدين على مصر ومن خيرة أضيافها الزميل الفلسطينى الكبير الاستاذ عيسى العيسى صاحب جريدة « فلسطين » الغراء .

وليست « فلسطين » إذا ارتفعت بها عن مستوى السياسة التى لاتعنينا الآن ، إلا مرآة تتراءى على صفحتها آمال فلسطين كلها.. لأنها صادقة تكتنز للشعب الفلسطينى الشقيق ألواناً من الثقافات العالية ، ثم تقدمها له كل يوم بمقدار .

ولقد جرى الدكتور الزعيم (شهبندر) على سليقته فى تعريف الشرق بالشرق ـ وهى سليقة بلغ فى تجويدها الشأو حتى انتهت به إلى صميم الارتجال ـ فأقام فى داره حفلة زاهرة زاهية للأستاذ الصحفى الكبير، دعى اليها ـ كما هى عاداته ـ رهطا من أعلام الأدب والعلم فى مصر، وأعلام الأدب والعلم من نزلائها .

وكانت الخطب التى انفرطت من ألسنة المحتفلين ـ مع الدكتور بضيفهم وضيفه ـ خطباً لاسوابق لها . فقد أخذ كل منهم يتحدث عن ذكرياته ، وما أثرت به عليه تلك الذكريات .

وكان شيخ المربين أستاذنا العمروسى بك أوفر « الذاكرين » انطلاقا فى إذاعة ذكرياته وهى ذكريات الشباب والزواج والسفر والاقامة ـ ذكرها لمناسبة وجود تلميذه صاحب « المعرفة » وكأنما مست هذه المواضيع دخائل الجميع لأنها حركت فى كل فم لسانه، وماهو بجديد أن تقول عن ألسنة خطراتهم، بأنها من الألسنة الذربة الطلقة ، فأخذوا يقصون الذكريات، بينما كانت الحفاوة بصاحب (فلسطين) بالغة منتهاها، لأن الحديث العالى ـ فى عرفنا ـ أروع من خطابة بليغة أو قصيدة مؤثرة .

العلوم والفنون

الطيران قبل عهد نوح

أو لا جديد تحت الشمس

ليست فكرة الطيران فى العالم ، ولا حب الجولان فى الفضاء، ولا حب الاستطلاع إلى ماوراء الأفلاك ، ولافكرة المجازفات ، ولا الرحلات على متون الهواء ، بحديثة عهد أو من خواص و مميزات هذا القرن . بل ليست بابنة الألف أو الألفين عاماً ، إذ يحدثنا الطبرى المؤرخ فى أخبار (جم الشيز ويونجهان أخى طهمورت) (١) مايثبت أن هذه الفكرة كانت من قبل عهد نوح، ولو أنه حدثنا بها كأسطورة من أساطير الأقدمين ، فما أبدع الأساطير !! وما دلها على انتعاش المخيلة فى العصور الأولى !! وما أقواها برهانا على حب نفسية الانسان الاول فى مباراة الطيور فى هوائها !! ولولا حداثة عهد الأقدمين بالوجود لاخترقوا السبع الطباق.

ولما كانت أدمغة البشر إذ ذاك لم تبلغ تمام نموها وتكتمل نشأتها وتصطبغ بالصبغة العلمية كان من اللازم عليها أن تنسب كل ماجهلته ولم تتمكن عقليتها من معرفة علته والوقوف على أسرار غموضه إلى الشياطين والجان والعفاريت، شأنهم شأن الجاهل الغر الحديث العهد بالعجائب والغرائب .

وإننا لنعذرهم إذا علمنا أن الفرنسيين بعد مرور الكثير من الحضارات كالحميرية والفرعونية والرومانية والبيزنطية على الانسان- ظنوا أن الساعة التى اهداها هارون الرشيد إلى ملكهم شارلمان يديرها العفاريت .

قال الطبرى : « ثم أمر فصنعت له عجلة من زجاج فصعد فيها الشياطين وركبها وأقبل عليها فى الهواء من بلده من دنباوند إلى بابل فى يوم واحد، وذلك يوم هرمزر وزفروردين ماه. فاتخذ الناس للأعجوبة التى رأوا من إجرائه ما أجرى على تلك الحال نوروز وامرهم باتخاذ ذلك اليوم وخمسة ايام بعده عيداً » .

كيف لايتخذونه عيداً وقد شاهدوا فى ذلك اليوم معجزة بشرية وقطع طائرهم الأول من نوعه بطيارته البللورية ماينيف عن خمسمائة ميل تقريبا مابين دنباوند وبلاد بابل فى يوم واحد؟

الحديدة - اليمن عبد الله بن احمد بن يحيى العلوى

---

(١) تاريخ الطبري : ج ١ ص ٨٨ الطبعة الحسينية المصرية .

مكتبة المعرفة

قصص جديدة للاطفال

أخرجت مطبعة المعارف تحت هذا العنوان ستة قصص كل قصة تقع فى ٢٤ صفحة وهى ذات موضوع جذاب طريف مصورة بالألوان تصويراً غاية فى الدقة والاتقان،وحسبك من تقريظ هـذه القصص أن تقول إنها من تأليف الأستاذ كامل كيلانى المؤلف المصرى الذائع الصيت،ولا شك أن الأستاذ كيلانى قد أدى لأطفال الشرق خدمة تؤهله بحق أن يطلق عليه لقب«بانى الجيل الجديد » ومما لايصح أن يهمل التنويه عنه هو فضل مطبعة المعارف فى مشاركتها للأستاذ المؤلف فى عنايته بالأطفال فهو إذا كان له فضل التأليف والابتكار فى الأسلوب فان لهذه المطبعة فضل الجمع والنشر على أحسن وجه من حيث دقة الطباعة وإتقان التصوير، وبالجملة فى إبراز هذه القصص على وجه يسترعى انتباه الطفل ويحببه فى الكتاب . (م.ا)

النبوغ في النساء

أو

ماري كوريللى

(مارى كوريللى) علم ذائع من أعلام الانجليز ، تمكنت لها أسباب التوفيق فى قيادة الرأى العام إلى آراء فلسفية جليلة فى الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر ، ولقد كانت ثمراتها من النضوج بحيث كونت لها بين أفذاذ العلماء والأدباء منزلة حسدها عليها كثيرون ممن عاصروها حتى لقد لقيت فى أول مراحلها إلى تأدية رسالاتها القوية عنتاً بالغاً من رجال الصحافة . وحقداً هائلا من حملة الأقلام ، ولكنها مضت فى غير هوادة تسكب الضوء، ضوء الفلسفة العالية على أفق الجماهير حتى حملتهم على إكبارها إكباراً جماً .

ولقد عمل الأديب (بباوى غالى الدويرى) من قصة هذه السيدة الوثوب كتابا تحدث فيه عن حياتها ، وضم إليه الكثير من كلماتها ، فى أسلوب متزن ، وتفكير يدعو إلى الاعجاب.

المعين

فى تاريخ آداب اللغة العربية

اصبحت الكتابة عن تاريخ آداب اللغة العربية أمراً هيناً بعد أن اتسعت مذاهب الحديث فيه ، وكثرت مراجع الافصاح عنه ، ولكن تخير القادة الذين تقدموا حركة النهوض، ووثبة اليقظة لا تستطيع -إذا تقبلها قارىء- أن تجذب قارئاً آخر يقبل عليها ويضعها موضع التقدير، وإذا كنا

تتحدث عن عصر المماليك مثلا ، بأنه كان عصر موت وظلمة فى تاريخ الأدب ، فان أحداً لا ينكر علينا ذلك القول ، ولكننا متى تتحدث عن قائد من قادة اللغة ، ونؤمن به وبما أنتج إيماناً يدعونا إلى تمجيده ، فمما لاريب فيه أن هناك من يظاهرنا الرأى ويستقبلنا فى تسفيهه بحجة قد تكون سليمة مقنعة قوية .

تقدم لك ذلك القول وأمامنا فهرس « المعين فى تاريخ آداب اللغة العربية » من تأليف الأستاذ الخورى يوسف مارون المشعلانى ، وإنك حيال ذلك الفهرس ترى الجدة والذوق الطيب ، والكلم الجامع ، فقد رتبه الأستاذ المشعلانى على سياق أنيق تتمكن معه أن تقرأ فى سطر واحد اسم الفن،ومعه أسماء البارزين فيه من العصر الجاهلى إلى العصر الحديث .

وهو بعدئذ يتألف من خريطة فخمة خير ما فى حواشيها قول صاحبها الأديب : «ما هذه الخريطة إلا نتيجة نظرياتى الخاصة ،فهى لا تقيد الطالب،بل تترك لذوقه مجالا لاختيار شعراء وكتبة وعلماء لا يجد أسماءهم فيها».

هدية المعارف

أصدرت مطبعة المعارف الشهيرة مجموعة قيمة من رسوم قادة الفكر العربى واساطين العلم والأدب الذين طبعت لهم هذه المطبعة مؤلفاتهم وآثارهم العلمية والأدبية فصدرت هذه المجموعة المقدمة بقلم المؤرخ اللبيب الدكتور فريد رفاعي،ولعمر الحق انها لمقدمة تدل بحق على فضل ماقدمت اليه،فهى فوق ادائها للغرض المقصود منها ،غاية فى الفصاحة وجمال الوصف والانشاء، وقد استهلها الاستاذ بقوله: هذه كلمة إخلاص وولاء واعتراف بالجميل وإذاعة لفواضل أنف حسانة ترتهن بها اعناقنا نحو تلك الجهود المنتجة البريئة التى تخدم الوطن والفن فى غير ضجيج ولا ضوضاء ولا صلف ولا كبرياء، وهى جهود سادتنا المؤلفين والناثرين وكبار الكاتبين من علماء وأدباء وشعراء،أولئك الذين شرفهم الله برسالة قدسية مترعة بما يفيد وينفع،ويؤلف الشتات ويجمع،ويدعو للهدى والسداد،ويذيع بين الانسانية معالم الحكمة وفصل الخطاب..الخ

وبعد هذه المقدمة البليغة يطالع القارئ صورة كل مؤلف من هؤلاء السادة المشاهير من الشرق العربى كله ومعها كلمة تلخص ترجمة ذلك المؤلف، على ان هذه الكلمة وان كانت قصيرة إلا انها تعد فى التراجم من جوامع الكلم لأنها تعطى الصورة الكاملة للمؤلف التى تعنيه وهكذا لا تنتهى فى الاطلاع على تلك المجموعة حتى تكون اطلعت على التاريخ الكامل للثقافة العربية منذ سنة ١٨٩٠ إلى سنة ١٩٣١، وكل ذلك مطبوع على ورق من انخم الورق وبحروف طباعة من انقى وأتقن مارآه فن الطباعة فى بلاد العرب منذ ظهرت المطابع الى الآن.

فنحن نشكر لمطبعة المعارف هديتها مغتبطين بهذه الجهود المثمرة وبهذا النجاح الذى يبعث الغبطة والارتياح فى قلب كل مصرى صميم .

بين المعرفة وقرائها

أيهما أصدق عهداً ؟

(اسكندرية مصر ـ حسن رجب) قد يصادق الشاب المصرى فتاتين فى آن واحد ، إحداها إفرنجية ، والثانية وطنية متعلمة ، ولكنه يجد بونا شاسعا بين أخلاق الاثنتين : فالافرنجية تخلص لحبها ، على مالها من حرية فى الاستمتاع ورغبة إلى اللهو ، أما الوطنية فهى بالعكس ، إذ لاتخلص أو تصدق ، إلا إن كان بجانبها « دستة » من الشبان ـ هذا إذا جاز لنا أن نسمى ذلك إخلاصاً ، على أننا نرى أن فى الوطنيات رغبة خالصة للاختلاء بالشبان فى أمكنة داعرة . فى أوضاع مثيرة مخجلة . فأيهما أصدق عهداً من الأخرى ؟

« المعرفة » ذكرنى سؤالك ياهذا بقول الشاعر :

كلامك ياهذا كفارغ بندق ... خلى من المعنى ولكن يفرقع

على أنا بالرغم من هذا ، وبالرغم من أن قضيتك معكوسة ، فقد أخذنا من سؤالك ماصلح للنشر والرد ، وعليه نرى أن الوطنية لايمكن ان تكون بحال ما ، أقل شرفاً وحبا وإخلاصاً من الافرنجية ، إن لم تفقها بمراحل ، والافرنجيات يا أخى ـ أغلبهن ولا أقول كلهن ـ منبت السوء ، وموطن الاثم والفجور ، فلا تركن اليهن ، ولا يأخذك بهرجهن ، فبحسن السبك قد ينفى الزغل ، وما الذى تراه إلا الزغل عينه لو حققت ، وكنت من المبصرين .

وبعد ، فالمصرية بالغة مابلغت من البهر والاستهتار ، أكثر عفافا وأشد تحرزاً من غيرها بكثير ، وأما من تذكرهن فأمرهن معروف للجميع .

حبص ونبص

(القاهرة . ـ أحمد فتحى) فى الجملة الآتية «لمع البرق خفيا وما به حبص ولا نبص» فهل هما مترادفتان ؟

(المعرفة) فسر الأصمعى كلمة حبص بالتحرك ، وفسر صاحب القاموس المحيط : النبص بالكلام ومعناه الحركة أيضا .

وإذن تفهم من هذا أنهما مترادفتان او من باب الاتباع ، ولنهما من قبيل قولهم : بنصه وفصه ، وقضه وقضيضه ، وأف وتف ، وحسن وبسن ، وكاستشهاد زكى باشا شيخ العروبة بقولهم : بعجره وبجره .

ومن قول أحد الشعراء فى عصر المماليك يمدح أحد المماليك البحريين :

ملك فطن زكن ... حسن بسن أزكى الادبا

اشتراك المجلة

(اسكندرية. مصر ـ أحمد محمد الاسود) لماذا جعلتم الاشتراك خمسين قرشا مع أنه كان ثلاثين سابقا؟

(المعرفة) عملنا ذلك لعدة أمور منها : ـ

(١) غلاء الورق غلاء فاحشا (٢) هبوط سعر النقد المصرى (٣) زيادة الرسوم البريدية على المكاتبات، وما أظنك تجهل كم نتكلف فى هذه السبيل مع أشباه المشتركين الذين لا حس لديهم ولا مروءة (٤) أنا تحملنا خسائر كثيرة لاعداد لها (٥) أنا نصدرها ١٢ مرة وليس ١٠ كما يعمل غيرنا (٦) انا نهدى إلى المشتركين (الذين يسددون قيمة الاشتراك) كتابا علميا، لا يقل ثمنه عن ٢٠ قرشا صاغا.

الجبر والاختيار

قرأت سؤال حضرة محمد افندى حفظى بصفحة (بين المعرفة وقرائها، بالجزء السادس من «المعرفة»)، وأريد أن أجيبه على سؤاله ولكم أن تشاطرونى رأيى وتفيدونى إن كان صحيحاً وهو أنه لما كان كل شىء مقدوراً أزلا ولا راد لقضاء الله فيما قضى ولا لأى شفيع أن يشفع عنده الا بأذنه، فلذا اقتضت رحمة الحق أن يمحو مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، وقد قال الحق سبحانه وتعالى «كتب ربكم على نفسه الرحمة» ولعلمه القديم ان جميع خلقه اضعف من الضعف امام قوته الجبروتية، فبرحمته قد ادخل تلك العباد فى تلك الرحمة، وكما جاء فى حكاية: كان احد العلماء العارفين بالله (اى كبار الاولياء) يقرأ الدرس فى مسجد ببغداد فاذا به يسأل سؤالا من احد الجالسين، وكان ذلك السائل لم يسبق له أن جلس فى مجلس ذلك الشيخ ولم يعرفه أحد من أهل هذه المدينة فسأل الشيخ السؤال (ماشأن ربك اليوم ؟) فكان جواب الاستاذ (أمهلنى إلى باكر لأن هذا السؤال لم يسأله أحد فى تاريخ العلم قبل ذلك اليوم) فبعد ذلك انفض الدرس وقام الاستاذ العارف بالله حائراً وذهب إلى بيته وتصفح جميع ما كان عنده من الكتب العلمية فلم يهتد الى رد الجواب فبكى ما شاء له البكاء واستغاث برسول الله مراراً لأنه كان محباً له فأتاه المصطفى فى آخر هذه الليلة وخاطبه ان اقلل من بكائك واسمع منى رد السؤال والجواب (يرفع اقواما ويخفض آخرين) وعرفه بمكانة السائل فكان السائل لذلك السؤال هو سيدنا احمد الخضر عليه السلام.

لما أتى ثانى يوم فى الميعاد الذى حدده مع المصلين وجلس يقرأ الدرس فاجأه السائل وقال أريد جواب الأمس فرد عليه الجواب الذى تعلمه من النبى «صلعم» فقال له سيدنا الخضر (هذا هو الجواب الصحيح فصل على من علمك) وإقراراً بالعبودية اننا عباد يفعل الملك بنا ما اراد.

عبد العزيز جادو

فهرس المعرفة

الجزء العاشر من السنة الاولى

أبواب المجلة

المعرفة فى الخارج

الى حضرات المشتركين

ترجو الادارة حضرات المشتركين الذين لم يسددوا قيمة اشتراكاتهم أن يبادروا بارسالها رأساً إلى إدارة المجلة ولهم الشكر ،،

(مطبعة المعرفة)